سيكولوجية الجماعات

تشكيلها . حراكها

الإرشاد الجمعي

Psychology of Groups

الدكتور . نبيل عبد الهادي



الأمين

الرضوان للنشر والتوزيع

سيكولوجية الجماعات

تشكيلها . حراكها

الإرشاد الجمعي

الرضوان
للنشر والتوزيع

سيكولوجية الجماعات

تشكيلها . حراكها

الإرشاد الجمعي

Psychology of Groups

الدكتور . نبيـــل عبد الهادي



الأمين

الرضوان
للنشر والتوزيع

سيكولوجية الجماعات

الدكتور. نبيل عبد الهادي

الواصفات: علم نفس

الطبعة الأولى 1434 هـ - 2013 م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات الوطنية
2012/2/835

ISBN:9789957760915

الرضوان للنشر والتوزيع

دار الأمين للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية
عمان - الأردن - العبدلي - شارع الملك حسين
قرب وزارة المالية - مجمع الرضوان التجاري رقم 118
هاتف: 4616436 6 962+ فاكس: 4616435 6 962+
ص.ب. : 926414 عمان 11190 الاردن
E-mail : gm@redwanpublisher.com
gm.redwan@yahoo.com
www.redwanpublisher.com

رام الله - البيرة
شارع منتزه البيرة بجانب البنك الإسلامي الفلسطيني
تلفاكس: 7808 298 2 970+
خلوي: 769 49 996 5 970+
E-mail : aminamin1969@yahoo.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

المائدة: 2

الإهداء

.... إلى الذين ..... يجابهون العزلةَ والتهميش، ويُصارعون الفقر والظُلـم والاضِطهادْ، من أَجْلِ إيجاد واقعٍ أفضل، قائمٍ على الاحترام والمساواة.

أهدي كتّابي،،،

المُؤّلف

نبيل عَبد الهاَدّي

20/5/2012

الشكّر والتقدير

لا يسعني بعد أن أشرف هذا الكتاب على الانتهاء إلاّ أن أشكر الله العلـي القدير، الذي أعانني على أن أقدم هذا العمل المتواضع، مُسّدياً شكري وتقديري إلى كل من استفدت من مؤلفاتهم ودراساتهم في هذا المجال.

وشكرٌ موصول إلى طلبتي الأعزاء الذين ساعدوني في إعداد هذا الكتـاب، كما وأتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذنا الدكتور سرى نسيبة رئيس جامعـة القدس الذي يعمل بشكلٍ دؤوب على تطويرها، حتى تصبح صرحاً علمياً يُشَار إليه بالبنان.

والشكرُ موصول لدار الأمين للتوزيع والنشر، ممثلة في مـديرها أمـين أبـو بكر الذي يعود له الفضل في تشجيعي على نشر هذا المؤلف، وشكراً إلى الأخت الأستاذة منيرة نصري رزق الله لتدقيقها اللغوي الذي أثـرى هـذا المؤلـف وزاده جمالاً ورصانة، كما اشكر أخي الدكتور إبراهيم عوض لما قدمه مـن مسـاعده في ترجمة خاتمـة الكتـاب العامـة باللغـة الانجليزيـة، وشـكراً خاصـاً للاسـتاذه لمـى قصاص، لما قدمته من مساهمات وإسداء العديد من الأفكـار فيمـا يتعلـق بهـذا الكتاب.

المؤلف

نبيل عبد الهادي

المحتويات

الوحدة الثانية: البناء الاجتماعي للجماعة

الوحدة الثالثة: أنواع الجماعات

الوحدة الرابعة: التضامن والتكافل داخل الجماعات

الوحدة الخامسة: اتجاهات في دراسة السلوك داخل الجماعة

الوحدة السادسة: التغير داخل الجماعة

الوحدة السابعة: نظريات التغير داخل الجماعة

الوحدة الثامنة: أشكال الاتصال داخل الجماعة

الوحدة التاسعة": طريقة العمل مع الجماعات

الوحدة العاشرة: منهجية البحث في دراسة الجماعات

الوحدة الحادية عشرة: النظريات الاجتماعية التي فَسّرت تشكيل الجماعات:

الوحدة الثانية عشرة: التّغيير والتشكيل داخل الجماعات:

المقدمة

ما هذا الكتاب إلا مُحاولة متواضـعة، ستلقي الضـوء علـى سيكولوجية الجماعات وكيفيّة تشكيلها، وحراكها، حيث تعتبر الجماعات الركيـزة الأساسـية لحياة الأفراد وانتمائها وتشكيلها، لذلك نراها عنصراً بنائياً أساسـياً للمجتمعـات الإنسانيّة، سُواءً أكان ذلك اجتماعيـاً أم سياسـياً أم مهنيـاً، وكمـا تعتـبر البُوتقـة الأساسية في تشكيل سُلوك الأفراد من ناحية الانتماء إليها، والعمل مـن أجلـها، فالعلاقة بين الجماعات والأفراد علاقة جدلية، لا يمكن الفصل بينهما، لأن الفرد لا يمكن أن يعيش بعيداً عنها، ولهـذا تعـرف الجماعـة بأنهـا وحـدة تتكـون مـن مجموعة أفراد يشكلون تصوراً مشتركاً عن وحدتهم ويكون لديهم القدرة علـى التصرف كوحدة واحدة بينهم.

وتحقيقاً لذلك جاء هذا الكتاب في اثني عشرة وحـدة، يمكـن إجمالهـا علـى النحو التالي: الوحدة الأولى تطرقت إلى موضوع تعريف الجماعات، وهـذا بحـد ذاته يشكل مدخلاً هاماً لدراستها من ناحية تشكيلها وحراكها.

أما الثانية تطرقت إلى مفهوم البناء الاجتماعي للجماعة، وهذا يُعد أساسـاً هاماً في عملية تشكيلها وبنائها. أما الثالثة جاءت بأنواع الجماعات المختلفة وفقـاً لأهدافها. أما الوحدة الرابعة اشتملت على موضوع التضـامن والتكافـل داخـل الجماعات، وهذا بحد ذاته سيلقي الضوء على عمليـة الحـراك الـداخلي داخلـها ويوضح العلاقات السلوكية والاجتماعيـة لتلـك الجماعـات، وهـذا مـا يشـكل سلوك أفرادها. أما الخامسـة تطرقـت إلى الاتجاهـات السـيكولوجية في تفسـيرها لتشـكيل نمـاذج سـلوكية للجماعـات، وهـذا ممـثلاً بمجموعـة مـن النظريـات

السيكولوجية في مجال علم النفس الاجتماعي، جاءت باتجاهات مختلفة مفسّرة ذلك، أما السادسة تطرقت إلى مفهوم التغيرات البنائية داخل الجماعة متأثرة بمجالين العوامل الداخلية، والخارجية.

أما الوحدة السابعة كانت امتداداً للوحدة السادسة حيث وضحت أهم النظريات الاجتماعية، التي تحدثت في هذا المجال بشكل واضح، وكانت في مجال علم الاجتماع، خاصة فيما يتعلق بظواهر الصراع والتوافق. أما الوحدة الثامنة تطرقت إلى أشكال الاتصال داخل الجماعة، وهذا بحد ذاته يشكل التواصل بين الجماعات وأفرادها، وهذا بحد ذاته يشكل اتخاذ القرارات لكل أفراد الجماعات. وهذا يُعّد مؤشراً هاماً للتعرف على استراتيجياتها.

أما الوحدة العاشرة وضحت المنهجية العلمية لدراسة الجماعات، حيث تمثل هذه الوحدة الملامح العامة لطرق دراستها، وهذا يساعدنا على اكتشاف الشخصيات القيادية داخلها، وتقييم برامجها باستخدام وسائل مختلفة لتقييم لتلك البرامج، كما ورد في هذه الوحدة مشروعاً تطبيقياً لبرامج الجماعات وفقاً لمنهجية البحث العلمي الاجتماعي.

أما الوحدة الحادية عشرة جاءت بعدة نظريات اجتماعية هدفها تفسير تشكيل الجماعات وحراكها، وهذا يعد ذو أهمية في توضيح هذا الموضوع بشكل متكامل، كما جاء في هذا الكتاب الوحدة الثانية عشرة التي بعنوان التغير والتشكيل في الجماعات التي تمثل الأسباب الموضوعية للتغير والتشكيل والأسباب والنتائج المترتبة على ذلك. واستخلاص أهم الاستنتاجات. وجاء هذا الكتاب بخاتمة عامة توضح أهم النقاط الأساسية التي يمكن أن نستنتجها من الموضوعات التي تطرق إليها، للوصول إلى التوصيات التي تكون بمثابة طريقاً

يستدل من خلاله الباحثين في هذا المجال كما جاء في نهاية الكتـاب بسـردٍ لأهـم المصطلحات التي تتعلق في هذا الموضوع.

وفي النهاية ستحقق قراءة هذا الكتاب هدفين:

(1) التعرف على حيثيات تشكيل الجماعات وحراكها.

(2) التعرف على سلوكيات الأفراد الذين ينتمون إليها.

فمن خلال تحقيق الهدفين السابقين سيُساعد الباحثين في إعداد الدراسـات العلمية في هذا المجال.

وقد اعتمد المؤلف في إعداده هذه المادة التي احتـوى عليهـا الكتـاب علـى عـدة مصـادر ومراجـع في هـذا المجـال، تمثلـت في الكتـب والأبحـاث، وشـبكة المعلومات، المختصة في هذا المجال.

راجياً من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في تقديم مُؤلفٍ يرتقـي إلى المستوى المطلوب، ويكون خالصاً لوجه الله.

والله ولي التوفيق

المؤلف

المحامي الدكتور

نبيل عبد الهادي

رام الله

الوحدة الأولى

تعريف الجماعات

الوحدة الأولى

تعريف الجماعات

- مقدمة
- تعريف الجماعة
- خصائص الجماعة
- أنواع الروابط بين الجماعات
- كيفية تشكيل الجماعات
- أهمية الجماعة في حياة الفرد
- العوامل التي تساعد في بناء الجماعات
- خصائص تشكيل الجماعة
- تماسك الجماعة
- مصادر جاذبية الجماعة
- الأسباب التي تعيق حركة الجماعة وتعمق مشاكلها
- كيفية تجنب فشل الجماعة
- خاتمة

الوحدة الأولى

تعريف الجماعات

مقدمة

للجماعة (Group) أهمية كبيرة في حياة الفرد؛ ففي الأسرة ينمو الطفل ويتعلم، ومع الرفاق يلعب ومع الزملاء يعمل، ويكتسب إنسانيته من خلال تعامله مع جماعات مختلفة من بني جنسه، والدليل على ذلك حالات الإنسان المتوحش أو الأطفال الذين ربتهم الحيوانات في الغابات. فقد وُجدوا أطفالاً بكماً لا يتكلمون، ويسيرون على أربع، وأن حواس الشّم والسمع والبصر لديهم حادة كالحيوانات، كما أن سلوكهم في تناول الطعام مماثلاً لسلوكها؛ فلا يعرفون السلوك الاجتماعي كالابتسام، ولا يخجلون من الخّزي.

وتبدو أهمية الحياة داخل الجماعة في إشباع حاجات الإنسان المختلفة. فالشخص يحتاج إلى من يغذيه ويرعاه ويتقبله ويشعره بالدفء العاطفي. كما أنه يحتاج إلى من يقدّره ويشعره بالنجاح، فيفرح لفرحه ويشاطره أحزانه عند فشله. وقد اشارت الدراسات أن الإنسان إذا تعرض لمواقف مزعجة، تزداد حاجته للجماعة ليشعر بالأمن والاطمئنان، وليس هذا قاصراً على بني الإنسان، بل على قطيع القردة، التي بحاجة إلى الإحساس الجماعي، ولكن لفترة وجيزة، فعلى سبيل المثال القرد المعزول يئن ويتألم ويصدر أصواتاً تدل على حاجته للجماعة (السيد، **2002**).

ولا تقتصر أهمية الجماعة على إكساب الشخص إنسانيته، أو إشباع حاجاته الفسيولوجية والاجتماعية، بل هي تعُدّ ذات أهمية كبيرة في تحقيق ما

يصبو إليه من أهداف. فلا يمكن عزف قطعة موسيقية. بآلات مختلفة. بعازف واحدة، ولا تحقيق نصر لفريق الكرة من دون تعاون بين أعضائه. ويرجع ذلك إلى أن تجميع ما لدى الأفراد من إمكانيات يحقق لهم فائدة عامة مشتركة، لن يتم تحقيقها دون تعاون الجميع.

وتعتبر الجماعة ذات أهمية كبيرة في حياة الأفراد، لأنها تزودهم بوسائل تساعدهم على تقييم أنفسهم، فكيف يعرف الإنسان أنه طويل أم قصير، ذكي أم غبي، جميل أم قبيح، إذا لم يقارن نفسه بغيره؟ أي أن الإنسان بمقارنة نفسه بالآخرين، يمكن أن يقيِّم نفسه ويعرف قدراته ويتفهم إمكانياته.

كما تساعد الجماعة أعضاءها على تعريفهم بدرجة صحة آرائهم ومعتقداتهم. فللتحقق من صحة آراء الفرد ومعتقداته، يمكنه الاعتماد على عوامل اجتماعية تزوده بصحة نفسية متكامله. أما الاعتماد على درجة اتساق الآراء والمعتقدات بعضها مع بعض، أو بناء على ما يسود الجماعة من آراء ومعتقدات، فتزوده بصحة اجتماعية؛ فلكي يتبين الفرد من صحة رأيه في أن الآلات الحديثة تجعل الحياة سهلة على سبيل المثال يلجأ إلى الوقائع المادية؛ فيتبين له أنها تساعد في اختصار الوقت، وزيادة كمية الإنتاج، وارتفاع دخول الأفراد، فهذا بحد ذاته يدعم رأيه، أما إذا أراد أن يتبين من صحة معتقداته وآرائه حول خروج المرأة إلى ميدان العمل، أو حول الزواج المبكر أو المتأخر، فإنه يلجأ إلى الآراء والمعتقدات السائدة في مجتمعه ليتبين درجة تقبل الجماعة لرأيه، ومن ثم يتأكد من صحة معتقداته وآرائه.

وتسهم الجماعة في تحقيق الصحة النفسية لأفرادها. فهي تحدد لهم الأدوار الاجتماعية المناسبة، وتزودهم بمعايير للحكم على درجة السواء أو الانحراف، في

أداء تلك الأدوار. وتضع الجماعة المستويات المناسبة للأداء، التي إن ارتفعت أو انخفضت بدرجة كبيرة عن قدرات الأفراد التي أدت إلى إحباطهم وشعورهم بالفشل. كما أنه من خلال التنشئة الاجتماعية يتزود الأفراد بالوسائل الناجحة للتفاعل الاجتماعي، التي تحقق للأفراد الصحة النفسية والراحة والسعادة. كذلك، تلعب الجماعة دورها في العلاج النفسي، فالإرشاد الجمعي يهتم باستخدام الجماعة في تعديل سلوك الفرد، وتوجيهه لعلاج مشكلاته مع الآخرين وتعديل اتجاهاته نحوهم. ذلك أنّ العلاج الجمعي هو مجموعة العمليات، التي تحدث داخل جماعة منظمة تنظيماً خاصاً، وتتوافر فيها شروط الحماية لكي تحقق لأفرادها الشفاء مما يعانونه من اضطراب. والأصل في العلاج الجمعي حاجة الأفراد إلى الاتصال الاجتماعي كحاجة أساسية، وتبادل الفكرة والعاطفة بين الفرد والآخر من أعضاء الجماعة، في إطار مضبوط (علمياً ونفسياً واجتماعياً) من التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، بحيث يؤدي إلى الإحساس بالرابطة والتعاطف ونمو الشعور الجماعي، وإحساس الفرد بأهمية عضويته في الجماعة، والإحساس المتزايد نحو الشعور بالأمن والطمأنينة.

إذا كان للجماعات أهمية للأفراد، فإن أهميتها للمجتمع أكبر وأعظم؛ فما المجتمع إلاّ عديد من الجماعات مهما اختلفت مسمياتها. فالأسرة، وهي الخلية الأولى للمجتمع، ما هي إلا جماعة أولية؛ والمدارس ودور العبادة والمصانع إنما هي نتاج لجهود الجماعات؛ والحركات الاجتماعية ما هي إلا جماعات تسعى نحو تحقيق تغيير اجتماعي؛ وما البلد والمدينة والوطن إلاّ ثمرة جهد الجماعات، على المستوى الصغير والكبير.

تعريف الجماعة:

اختلفت وجهات النظر حول هذا الموضوع ولذلك. جاءت تصنيفات متباينة حول هذا المجال، يمكن إجمالها على النحو التالي:

أ. تعريف الجماعة من خلال تصورات أفرادها:

وحدة تتكون من مجموعة أفراد يشكّلون تصوراً مشتركاً عن وحدتهم، ويكون في قدرتهم التصرف كوحدة واحدة إزاء بيئتهم.

ب. تعريف الجماعة من خلال دوافع أفرادها:

جمع من الأفراد يشكلون في تجمعهم فائدة تعود عليهم. والعامل الأساسي لقيام جماعتهم، إشباع حاجاتهم. فالتاجر ينضم لعضوية الغرفة التجارية، التي تدافع عنه وتحقق له بعض رغباته، وينضم المدرس لنقابة المعلمين، لأنها تعبّر عن مطالبه وتسعى للمحافظة على حقوقه.

ت. تعريف الجماعة من خلال وجود أهداف مشتركة:

هي وحدة تتكون من فردين أو أكثر، يتفاعل بعضهم مع بعض تفاعلاً بناءً ذا معنى، من أجل تحقيق هدف محدد. ففريق كرة القدم، مثلاً، يتفاعل أعضاؤه بعضهم مع بعض تفاعلاً بناءً، من أجل إحراز النصر. (عطية، 2002).

ث. تعريف الجماعة من خلال تنظيمها:

وحدة اجتماعية تتكون من مجموعة من الأفراد يكون لكل منهم دور معين فيها، ومركز خاص به. وتقوم هذه الوحدة بوضع القيم والمعايير، التي تنظم سلوك أعضائها فيما يختص بشؤون الجماعة على الأقل.

ج. تعريف الجماعة بناءً على الاعتماد المتبادل لأفرادها:

مجموعة من الأفراد يشتركون في علاقات متبادلة تجعلهم يعتمدون بعضهم على بعض. وقد يكون هذا الاعتماد إيجابياً، عندما يؤدي تحرك الفرد لتحقيق أهدافه إلى تحقيق أهداف الآخرين (التعاون). وقد يكون هذا الاعتماد سلبياً، عندما يؤدي تحقيق الفرد هدفه إلى إعاقة وصول الآخرين إلى الهدف نفسه (التنافس).

ح. تعريف الجماعة بناءً على التفاعل بين الأفراد:

مجموعة من الأفراد يتفاعل بعضهم مع بعض، وبناءً على هذا التفاعل تتميز الجماعة عن أي جماعة أخرى.

وبناءً على ما سبق، يمكن تعريف الجماعة تعريفاً إجرائياً بأنها تمثل وجود فردين أو أكثر، تجمعهم مصالح مشتركة، مؤقتة أو مستمرة وسرعان ما تنتهي تلك المصلحة (الاجتماعية أو نفسية أو اقتصادية... الخ) مما يؤدي إلى أنها الجماعة.

خصائص الجماعة البشرية:

لكل جماعة بشرية مميزة أو خاصية، كما هو الحال في الكائنات الحية كالحيوانات والنباتات، وحتى نتعرف على ذلك لابد لنا من دراستها بشكل معمق ودقيق، خاصة الجماعة البشرية (Human group).

1. تتكون الجماعة من فردين أو أكثر وتبدأ من فردين فأكثر.
2. يتفاعل الأفراد مع بعضهم البعض لتحقيق هدف أو أهداف معينة إما خاصة أو عامة.

3. إدراك الأفراد أنهم أعضاء في جماعة بحيث ينمي الشعور بنحن.
4. يُعرف الأعضاء بناءً على عضويتهم في نوع الجماعة؛ فهذا عضو في نقابة الأطباء، وهذا عضو في فريق الكرة الطائرة... الخ.
5. تكون هناك معايير توجه سلوك الأفراد لتحقيق أهداف الجماعة.
6. لكل عضو في الجماعة مصادر قوة متعددة التي تمكنه من تيسير وتوجيه أنشطة الجماعة.
7. يربط أفراد الجماعة قيم ومعايير توجههم لتحقيق أهدافهم العامة والخاصة.
8. يجد أعضاء الجماعة أن انتماءهم لها يحقق الكثير من العوائد المادية والفوائد المعنوية.
9. يُدرك أعضاء الجماعة أنفسهم كوحدة واحدة، يربط بينهم الشعور بنحن.

أنواع الروابط بين الجماعات

تعرف الروابط بأنها الوحدة البنائية الاجتماعية داخل الجماعات فهي بحد ذاتها تحدد مفهوم التشكيل والحراك والتفاعل في الجماعة، ويمكن إجمالها على النحو التالي:

1. الروابط الوجدانية (Affect Linkage):

روابط خاصة تتعلق بمشاعر الحب والكره، والتقبل والنبذ، السائدة بين أفراد الجماعة. وتظهر عادة في مواقف تُتشَكل فيها هذه الروابط وخير مثال على ذلك انتشار التعاون والمحبة بين أعضاء الجماعة، حيث يهبُّون لمعاونة بعضهم بعضاً تلقائياً، من أجل تسيير حياتهم. وبصفة عامة، بحيث ينتشر بين أعضائها الشعور بالأمن.

2. الروابط المستمدة من السلطة والقوة Power Linkage:

للسلطة والقوة داخل الجماعة عدة مصادر، هي: قوة الإثابة، وقوة العقاب، والقوة الشرعية الرسمية، والقوة التوحدية (أي التوحد مع شخص له تأثيره على الآخرين، مثل الابن مع الأب والتلميذ مع المدرس).

ويظهر هذا النوع من الروابط في مشاركة كل عضو من أعضاء الجماعة في مسؤولية تنظيم أنشطة الجماعة وتنظيمها، تبعاً لما لديه من مصادر القوة، فيعرف كل منهم ما يجب عليه عمله، ومع من يعمل، ومتى يعمل، وكيف يعمل؟ ويكون ذلك من خلال تنظيم شامل تضعه الجماعة بتوجيه من القائد.

3. روابط الاتصال (Communication Linkage):

لا تستمر الجماعة عندما تكون الاتصالات بين أعضائها غير سوية أو مناسبة. ويظهر هذا النوع من الروابط في وجود قدر مشترك من المعلومات التي تهم الجماعة بين أعضائها. فلا يحتفظ القائد بكل المعلومات، كما لا يغرق الجماعة بالمعلومات. ويحرص كل فرد على أن يشارك غيره بما لديه من معلومات تهم الجماعة، وتساعد في تسيير أمور حياتها. أي أن شبكة المعلومات لا تكون من القمة للقاعدة فقط، بل من القاعدة للقمة وبين الأعضاء. إن هذا من شأنه أن يقلل من مشاعر النبذ والعداوة، ويزيد فرص تأثير كل عضو من أعضاء الجماعة في الآخر. (Aleen, 1972)

4. الروابط المستمدة من وجود هدف مشترك (goal Linkage):

من المعروف أن لكل جماعة هدف مشترك تسعى نحو تحقيقه، مما يؤدي إلى وحدتها وتماسكها، وتنظيم عملها وتوزيع الأدوار لدى أفرادها توزيعاً مناسباً. ويسهم هذا النوع من الروابط إلى معرفة أعضاء الجماعة وأهدافهم المشتركة، التي

تسعى إلى تحقيقها. ومن ثم يكون كل فرد من أفرادها مستعداً لأن يتعلم كل ما هو جديد. ويؤدي ذلك إلى تحقيق أهداف جماعته التي ينتمي إليها، وإلى تأدية ما يجب عليه أن يؤديه من واجبات، فلا يسعى إلى التهرب من أدائها، أو البحث عن طرق وأساليب ملتوية أو منحرفة لأدائها. كما يكون منتظماً وملتزماً ومتفانياً في أدائه للواجبات في مواعيدها، دون تلكؤ أو تسويف، وفضلاً عن ذلك يكون كل عضو من أعضائها مستعداً لتحقيق درجة من التوافق أو التكامل بين أهدافه الشخصية وأهداف جماعته، من أجل ألاّ تتعرض أهدافها للخطر.

كيفية تشكيل الجماعات:

يعتمد تشكيل الجماعات على تقسيم الجماعة الأم (جماعة التكوين) ومن ثم إلى جماعات عمل صغرى، بهدف تيسير التبادلات، ويُحدث دينامية الجماعة بشكل أفضل. حتى يتسنى لها أن تحافظ على بنائها التشكيلي، الذي يحدد وظائفها وتفاعل أفرادها، وهذا لا يتم إلا وفق معيارين.

* معيار كمي: أي تكوين مجموعات متساوية العدد من الأعضاء، بحيث يتراوح عدد كل جماعة صغيرة بين (2 و6) أفراد، والأمثل هو (5). ويمكن أن يصل هذا العدد إلى (15) فرداً في حالة وجود أعداد كبيرة من المشاركين.
* معيار كيفي: (معيار التجانس) أي تجميع المشاركين انطلاقاً من اعتبارات محددة (كالسن، أو الجنس، أو المستوى الدراسي، أو التخصص والخبرة ...).

يستحسن كمرحلة أولى الإبقاء على التشكيلات التي تكونت إما بشكل عشوائي (كالتقارب على مستوى المقاعد، أو القرعة، أو من خلال ترتيبهم في اللوائح الاسمية...)، أو انطلاقاً من علاقات الصداقة أو الجوار أو المهنة أو

التخصص الدراسي أو السن... مع ضرورة مراعاة مبدأ المساواة بين الجماعات على مستوى العدد والجنس. إلا أن الأمر يقتضي في حصص أو أنشطة موالية، تنويع التشكيلات، باستخدام أساليب متعددة، مما يتيح لكل المشاركين بالتفاعل، بكيفية منتظمة، مع كافة المنتمين للجماعة، خوفاً من تكوين جماعات مغلقة.

أهمية الجماعة في حياة الفرد:

تكمن أهمية الجماعة في حياة للفرد أو في أي تجمع اجتماعي في مدى جاذبية هذه الجماعة أو تلك لذلك الفرد أو لغيره. ولنا أن نتوقع أنه كلما زادت درجة جاذبية الجماعة للأفراد زادت درجة تمسكهم بها.

من خلال عرض ما سبق ويمكننا أن نلخص أهمية الجماعة بالنسبة للفرد فيما يلي:

(1) يحتل الفرد مكانة مميزة داخل الجماعة وهذا يساعده على الانضمام إليها وبالتالي، يزداد احتمال التماسك أكثر فأكثر.

(2) يعتمد الفرد على الجماعة في إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية فيشعر معها بالأمن والاستقرار.

كما تكمن أهمية الجماعة بالنسبة للفرد في نموه وتشكيل سلوكه الاجتماعي السلبي والإيجابي، فهي تعتبر مصدراً للصداقات المتعددة الناجمة عن التفاعل الاجتماعي، والذي يتم من خلال عضويته فيها، يكتسب المعايير الاجتماعية لسلوكه بشقيه السلبي والإيجابي، ومن خلالها تتبلور آراؤه الشخصية التي في حقيقتها انعكاساً لآراء الجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، ويتعلم الفرد

الشيء الكثير عن نفسه وأقرانه، وفيها يكتسب الفرد اتجاهاته السياسية والدينية والثقافية والفكرية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية وتتغير شخصيته وبيئته وتنمو فلسفته للحياة ويكتسب القيم وتنمو لديه مبادئ الجماعة كنتاج لعضويته فيها، فضلاً عن ذلك فإنه يستمد من خلالها عضويته وقوته الهائلة ويشعر بالأمان والاطمئنان ويشبع حاجاته التي يلبيها وانتماؤه لها.

العوامل التي تساعد في بناء الجماعات:

قبل البدء في هذا الموضوع، لابد لنا أن نؤكد بأن هناك مصطلحات كانت بمثابة الدليل التي اشارت إلى أهمية العوامل التي تساعد في بناء الجماعات وتماثلها حيث أن هناك الكثير من الآيات القرآنية التي وردت في القرآن الكريم التي بينت أهمية العلاقات الإنسانية.

كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ البقرة:237

وقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ المائدة: 2

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ الشورى: 38

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ النساء: 58

من خلال ما ورد في الأيات القرآنية الكريمة فإن هذا يعد دليلٌ واضح حول مفاهيم التعاون والتكامل بين الجماعات وتأكيد على ذلك يشير إنجيل يوحنا في هذا المجال، (وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد (إنجيل يوحنا)، (الاصحاح 17، ايه 22).

وتفسيراً لذلك أن للمؤمنين أن يكونـوا واحـداً، كالجسـد الواحـد، وهـذا يتناسب مع بناء الجماعات وعلاقة أفرادها مع بعضهم بحيث تقوم على التعاون.

وعلى هذا الأساس يمكن إجمال مجموعـة مـن المرتكـزات تـؤدي إلى بنـاء الجماعات:

(1) العوامل الطبيعية والاجتماعية: مثل، المساحة التي توجد فيها الجماعة.

(2) وفـرة وسـائل الاتصـال بـين الأفـراد، حيـث أن الترتيـب وطريقة جلوسهم أثناء التفاعل الاجتماعي ورؤيتهم وسماعهم له تأثير واضح.

(3) البيئة الاجتماعية، والتركيب الطبقي يـنعكس أثـره في بنـاء العلاقـات الاجتماعية للجماعات.

(4) حجم الجماعة، في الجماعات الكبيرة تكـون الفرصـة أمـام الأعضـاء للمشاركة والتفاعل الاجتماعي أقل وتكون أقل رضا عـن الاجتمـاع، ويستغرقون وقتاً أطول للوصول إلى اتفاق، أما الجماعة الصغيرة يكـون لهم تأثير في القرار الجماعي أكثر من تأثير القادة في الجماعات الكبيرة.

ولهذا نجد نظريتان في تفسير بناء الجماعة، أولهما تنظر إلى الجماعـة ككـل، وتبحث عن أنمـاط السـلوك المرتبطـة بوجودهـا، وتبعـد عـن النظـر إلى مفـاهيم الشخصية الفردية، وتركز على الجماعة كتنظيم لـه خصائصـه الـتي تختلـف عـن خصـائص الأفـراد الـذين تضـمهم، ويهـتم أنصـارها بمفـاهيم مثـل الأدوار الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي...، ومن أنصار هذه النظرة مكدوجل ولسيفين، وثانيتهما تفضل النظر إلى الجماعة ككيان اجتماعي يستجيب لـه الفـرد، ويعـزى أنصارها بأن للجماعة خصائص تستنتج من سمات اعضائها الذين يكونون هذه

الجماعة، ويهتمون بمفاهيم كالإدراك والانفعالات والآراء، ومن أنصار هذه النظرية ألبورت وفرويد. ومنظري نظريات التحليل النفسي، والنظرية المعرفية.

خصائص تشكيل الجماعة

لكل تشكيل خصائصه التي تمنحه، سمة أوصفة خاصة به، ولذلك فإن دراسة خصائص تشكيل الجماعة مقارنة في جماعة أخرى أو التشكيل في نفس الجماعة يختلف من وقت لآخر، ويمكن النظر إليه من زوايا متعددة، لعل من أهمها تلك السمات التي اقترحها كارترايت وزاندر (Cartrite and Wndes) التي وردت في كتاب ديناميات (الجماعات).

* بناء العلاقات الاجتماعية (العلاقات الاجتماعية التبادلية).
* بناء الاتصال الاجتماعي (طرق الاتصال بين أفراد الجماعة).
* بناء القوة الاجتماعية (السلطة النسبية للأدوار الاجتماعية).
* بناء الحراك الاجتماعي (Levin, 1971).

في ضوء ما سبق يمكن التأكيد بأن تلك العناصر تُعد ذات أهمية في تشكيل خصائص الجماعة.

تماسك الجماعة:

تتعدد معاني تماسك الجماعة، فنجده يتضمن شعور الأفراد بانتمائهم وولائهم لها وتستلهم بعضويتها ومعاييرها، وتحدثهم عنها بدلاً من تحدثهم عن ذواتهم وعملهم معاً، في سبيل هدف مشترك واستعدادهم لتحمل مسؤولية عمل الجماعة والدفاع عنها ويتضمن تماسك الجماعة أيضاً التقارب الشديد بين

مكونات الجماعة والروح المعنوية والاتحاد والقوة والإنتاج والعمل الجماعي بروح الفريق الواحد والاندماج في العمل والتكامل وجاذبية الجماعة.

وقد حدد البعضِ تعريف التماسك على أنه محصلة القوى الناتجة والتي تجذب الأفراد نحو الجماعة، وهذا التعريف يتركز حول جاذبية الجماعة لأفرادها (Festger & Other 1993) ويؤكد البعض أن التماسك يشير إلى جاذبية الجماعة لأعضائها (Cartright , 1980).

مصادر جاذبية الجماعة:

يكاد تماسك الجماعة، يتُوقف على جاذبيتها لأعضائها وهناك عدد من مصادر الجاذبية للجماعة، له دورٌ فعال في تشكيلها حيث يمكن إجمال ذلك على النحو الآتي:

* الجماعة نفسها: ويشمل ذلك جاذبية أفراد الجماعة لأنواع من النشاطات التي توفرها الجماعة وسلامة معاييرها ومتانة بنائها تحقيقاً لأهدافها.
* الجماعة كوسيلة لإشباع حاجات أفردها في إطارها: وخير مثال على ذلك اكتساب أفردها مكانة في المجتمع نتيجة الانضمام إلى تلك الجماعة كشعورهم بالأمن، كما هو الحال في أنصار الأفراد لجماعات الجيش واتحاد العمال ولجان العمل.
* الانضمام الإجباري للجماعة: مثالُ ذلك في الجماعات التي ينضم إليها الأفراد انضماماً إجبارياً بحيث لا يكون متماسكاً أكثر من تلك الجماعات التي ينضم الأفراد إليها نتيجة لضغط من الضغوط التي يفرض على الشخص للانضمام إلى العصابات الإجرامية.

الأسباب التي تعيق حركة الجماعة وتعمق مشاكلها

لعلّ من أهم الأسباب التي تعيق حركة الجماعة وتعمق مشاكلها، عدم وجود المعرفة الكافية للسلوك النفسي لأفرادها أو عدم معرفة ماهية ردود الأفعال السلوكية التي تصدر عنهم، ويكمن في عدم المعرفة التي تنطبق على نفس الفرد حيث يجهل ماهية سلوكه، وبالتالي قد لا يستطيع أن يقيم نفسه بصورة تحليلية، ناضجة وينطبق هذا أيضاً على المستويات الأعلى من مراتب الأعضاء في القيادة، حيث أن عدم معرفة القيادة بالدوافع النفسية يشكل الأنماط السلوكية، التي تتجلى في الأفراد وقد تدفع إلى زيادة الفجوات بين الأفراد.

وهناك الكثير من الروايات الواردة في (باب معرفة النفس) وأنها أفضل المعارف وأكملها ذلك أن الإنسان الذي يدرك ذاته ويعي نفسه ويفهم سلوكه بشكل واضحَ، ويراقبه بدقة، سوف يكون عمله سليماً وناضجاً ومنتجاً. يقول أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب كرم الله وجهه): {أفضل المعرفة معرفة النفس}، {وأعظم الجهل جهل الإنسان أمر نفسه}، {لا تجهل نفسك، فإن الإنسان الجاهل الذي لا يعرف نفسه يعتبر جاهلاً بكل شيء}، ويقول: {غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه}، لأنها توصل الإنسان إلى مقاصده وأهدافه بصورة سريعة وناجحة وبدون أن يضيع الإنسان وقته وجهده. (أوزوى، 2006)

إن أهم المشاكل التي تواجه الجماعات وخصوصاً العربية والإسلامية هو انتشار حالة الإحباط والتوتر، واللا أمن التي أثرت بشكل كبير على النتاج العملي والفكري لهذه الجماعات، بحيث أدى في بعض الأحيان إلى تغيير أهدافها ومناهجها، هذا الإحباط ينبع في الدرجة الأولى من عدم فهم الأفراد للمتغيرات التي تهب رياحها على العالم بصورة مذهلة، وفهم الفرد نفسه وفهم الأعضاء

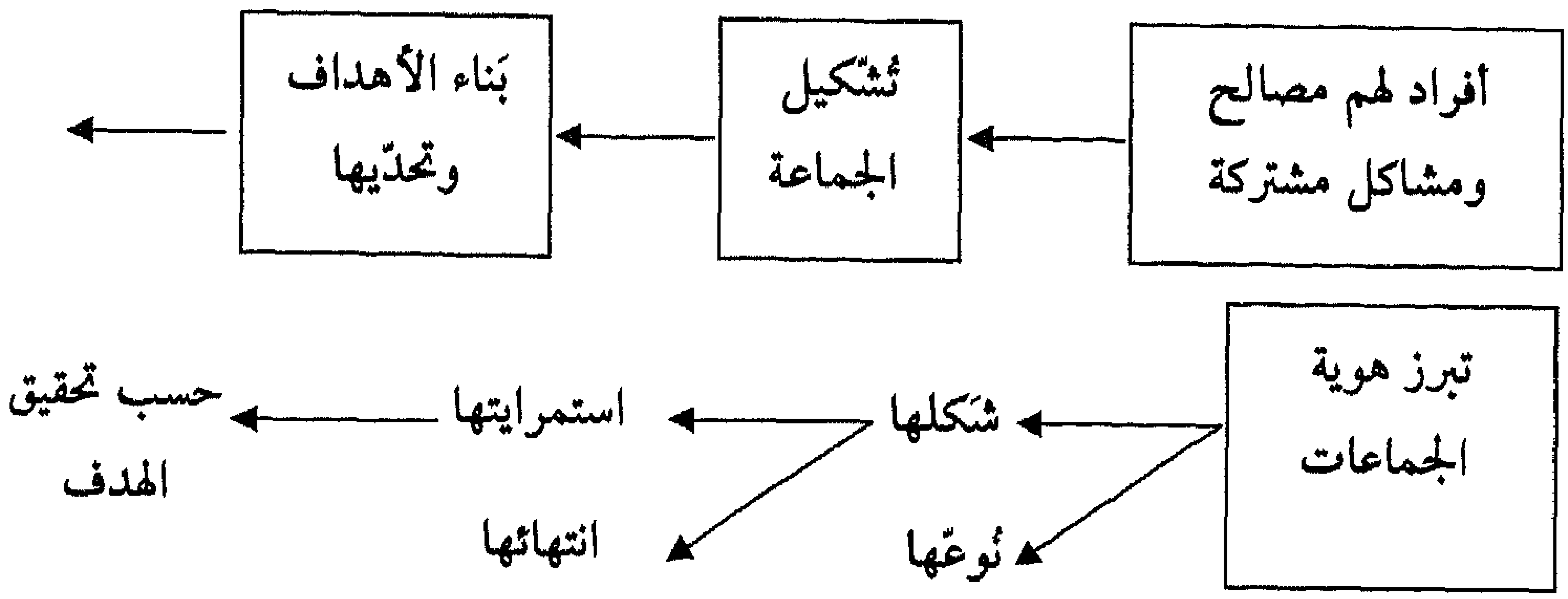
الآخرين ودراك القيادة بكافة مراتبها حتى أدنى عضو في الجماعة أعضاء الجماعة الآخرين إلى حد ما كأفراد ومعرفة حوافزهم ودوافعهم وكذلك الحاجات التي يحاولون إشباعها فإن الموقف سيكون أفضل لمعاملتهم كأفراد لهم حياتهم النفسية والفكرية المستقلة التي وهبها الله تعالى لكل إنسان.

كيفية تجنب فشل الجماعة

إن فهم الأشكال السلوكية التي يتلبس بها الأفراد يجعلنا قادرين على حل مشاكلهم وتجنيب الجماعة المزيد من المشاكل نتيجة لعدم الفهم الصحيح مما يؤدي إلى تعقيدها، وتزايدها، وكل ما نحتاجه في ذلك هو التحليل المنطقي للذات والأعمال التي يقوم بها الفرد. لذلك فإن الجماعة بحاجة لقيادة لها القدرة على النمو وبحاجة إلى التنبؤ بإحباطات الآخرين المحتملة، حتى يمكن إيصال هذه الإحباطات إلى الحد الأدنى بالنسبة إلى الجميع. ففي الجماعة الناضجة قد يستطيع قادة أعضاء الجماعة على فهم إحباطاتهم والتكيفات التي يقومون بها مع تلك الإحباطات ولذلك فإنهم سينضجون بأسرع ما يمكن كأعضاء في الجماعة، في نطاق هذا الإطار فإنه لا يتبقى الوقت والجهد لاتخاذ القرارات والعمل المنتج. إن عضو أو قائد الجماعة الذي يدرك هذه الحقيقة ويحاول أن يخلق أنماطاً للتفاعل الاجتماعي داخل جماعته، بحيث يقلل من الإحباطات إلى الحد الأدنى سيجد أن الروح الجماعية ستظل أكثر ارتفاعاً كلما تقدم بخطوات أسرع نحو تحقيق أهدافها. للحكم على استمراريتها أو إنهائها.

الخاتمة

من خلال عَرض ما سبق، يَتبَين لَنا مما ورد في الوحدة ألأولّى بأن الجماعة تنشأ نتيجة لهدف ما، في ظرفٍ ما، وتشكل إطاراً عاماً بها يميزها عن بقية الجماعات الأخرى، آخذين بعين الاعتبار الظروف أو العوامل التي تؤدي إلى تشكيلها وهذا بحد ذاته يبرز خصائصها وصفاتها ولابد لنا أن نوضح هنا بأن الجماعية تبدأ لوجود هدفٍ لابد من تحقيقه، وهذا يوضح شكل الجماعة ونوعها، ثم تنتهي تلك الجماعة بانتهاء الهدف وتوضيحاً لذلك نعرض النموذج التالي:



من خلال ما تم عرضه نصل إلى نقطتين:

أ. كيفية تشكيل الجماعات وبنائها.

ب. الحراك الذي يتم داخل الجماعات وكيفية بنائها.

الوحدة الثانية

البناء الاجتماعي للجماعة

الوحدة الثانية

البناء الاجتماعي للجماعة

- المقدمة.
- التشكيل الاجتماعي السيكولوجي للجماعة.
- ما الذي جعل علماء الاجتماع يختلفون في تعريفهم للجماعة والبناء الاجتماعي؟
- الشكل الاجتماعي السيكولوجي للجماعة.
- الطرق التي تتبعها الجماعة في عملية التواصل.
- الأهداف التي تتحقق من خلال الجماعة.
- أهم أهداف النظام التربوي في المجتمعات المعاصرة في نظرتها لجماعاتها.
- العلاقات التفاعلية بين أفراد الجماعة.
- القيادة والجماعات الإنسانية.
- علاقة التوازن والصراع السيكولوجي الاجتماعي داخل الجماعة.
- علاقات التوازن والصراع الاجتماعي النفسي خارج الجماعة.
- العوامل الحاسمة في تشكيل سلوك الجماعة .
  أ- الصراع.
  ب- التوافق.
- الخاتمة.

الوحدة الثانية

البناء الاجتماعي للجماعة

مقدمة

في هذه الوحدة سيتم تفسير مفهوم البناء الاجتماعي الذي ورد في علم الاجتماع والنفس، حيث يعد علم النفس الاجتماعي جزء من علم النفس العام الذي يهتم بدراسة أثر الفرد في الجماعة وأثرها عليه، كما يركز على دراسة الجماعة وتصنيفها وتبيان أدائها وتفاعلاتها ووظائفها داخل المجتمع وبالتالي، فهو بمثابة الدراسة العلمية للإنسان ككائن اجتماعي يعيش في مجتمع يتخذ له أصدقاء يتفاعل معهم ويتأثر بهم ويؤثر فيهم.

ومن أهم المعارف والمجالات التي تفرعت عن علم النفس الاجتماعي نجد بكل تأكيد مسلك ديناميكية الجماعات، وهذا يقودنا إلى عدة أسئلة سنحاول الإجابة عليها من خلال موضوعات التي ستورد في هذه الوحدة عن مفهوم ديناميكية الجماعات وما هو موضوعها؟ وما هي مرتكزات هذا العلم الجديد؟ وكيف يتشكل التوازن والصراع داخل الجماعة ومع الجماعات الأخرى؟

التشكيل الاجتماعي السيكولوجي للجماعة

قيل الخوض في ذلك لابد التحدث عن تعريف البناء الاجتماعي الذي يمكن تعريفه بأنه الشكل المترابط والمتفاعل من الجماعات الاجتماعية والنظم الأساسية والأدوار التي يزاولها الأفراد داخلها وما يقوم بينهم من علاقات اجتماعية متبادلة.

ومن هذا التعريف يتضح أن كل مجتمع يتكون من أربعة عناصر:

(1) مجموع الجماعات الاجتماعية. كجماعة المدرسة والأسرة والنادي والمصنع .. وما إلى ذلك.

(2) مجموع النظم الاجتماعية التي يضعها لتحقيق أهدافه. كالنظام الاقتصادي والسياسي والتعليمي والإعلامي.

(3) مجموع العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الأفراد ببعضهم وبينهم وبين الجماعات.

(4) مجموع الأدوار والوظائف التي تمارس داخل المجتمع، كدور المدرس والأب والعامل والجندي.. الخ.

من خلال عرض ما سبق نجد بأن هناك اختلافاً في المجتمعات فيما بينها، بالرغم من الخصائص المشتركة التي تجمع بينها، كما لا يوجد نمط واحد للمجتمعات، وإنما هناك أنماط متعددة متباينة فيما بينها من حيث خصائص بنائها، وظواهرها، ونظمها الاجتماعية، ونمط الحياة السائدة فيها وثقافتها ومشكلاتها، وعليه يمكننا القول إنَّ البناء الاجتماعي يتّسم بالخصائص التالية:

(1) يتكوّن البناء الاجتماعي من أنماط العلاقات الاجتماعية، ولذلك لا يمكن ملاحظته بشكل مباشر، إلاّ من خلال الصورة المحسوسة للعلاقات الاجتماعية بين الأفراد أو الجماعات، في مجتمع معيّن.

(2) البناء الاجتماعي، هو الكل المتكامل أو نسيج متشابك الأجزاء، وتعدّ دراسة أجزاء البناء الاجتماعي كلّها، من أهمّ خصائص الإنسانية الاجتماعية، والتي تميزها عن باقي العلوم الاجتماعية الأخرى، وهذا يتبين

بالكشف عن العلاقات المباشرة وغير المباشرة، لكل من العنصر أو الفرد وأجزاء البناء الاجتماعي.

(3) البناء الاجتماعي مستقرّ وثابت نسبياً، إذ إنّ أهمّ شروطه، الحفاظ على تماسكه واستمراريته فترات طويلة من الزمن، ولكن الاستمرار لا يقصد به الجمود، بل التغير كما هي الحال في استمرارية البناء العضوي للجسم الحي.

كما أنه يمكن تصنيف المجتمعات بطرق متعددة حسب طبيعة البناء الاجتماعي السائد في داخلها ويقوم التصنيف على أساس أو معيار نحدد من خلاله طبيعة المدخل الذي تركز عليه في دراسة البناء الاجتماعي، ويمكن إجمال ذلك على النحو التالي:

(1) المدخل الاقتصادي: يمكننا من خلاله أن نميز بين المجتمع الإقطاعي مقابل المجتمع الرأسمالي، أو بين المجتمع الزراعي مقابل المجتمع الصناعي.

(2) المدخل الثقافي: أن نقارن بين المجتمع التقليدي والمجتمع الحديث.

(3) مدخل العمران البشري: من مقارنة المجتمع الريفي بالمجتمع الحضري.

(4) المدخل السياسي: نوضح بصورة موضوعية بين المجتمع الذي يُحكم بالنظام الجمهوري وآخر يُحكم بالنظام الملكي.

بعد سرد النقاط السابقة، يمكن اعتبارها خطوطاً عريضةً، يمكن الاستناد إليها في بناء دراسات مرتكزة على تلك المداخل.

ما الذي جعل علماء الاجتماع يختلفون في تعريفهم للجماعة والبناء الاجتماعي؟

للجواب على مثل هذا السؤال المُحوّري الهام في هذا المجال لابد من

التأكيد ان أختلاف علماء الاجتماع في تعريفهم للجماعة ويعزى ذلك للاختلاف الجماعات بصغرها أو كبرها وعلاقتها العاطفية والرسمية. كالأسرة والمدرسة والمصنع، ولهذا السبب الهام ركزوا على الأسس العامة التي يجب توافرها لقيام جماعة اجتماعية معينة تختلف عن بقية الجماعات الأخرى حيث لابد من توفر مجموعة من الأسس:

1) الهيكل أو البناء المحدد للجماعة يضم وحدات مختلفة.

2) أشكال التفاعل داخل الجماعة.

3) الإحساس بالانتماء للجماعة والعضوية فيها.

4) المصالح والاهتمامات المشتركة بين أفرادها.

5) المعايير والقيم الاجتماعية المتفق عليها داخل الجماعة.

مثال: تلعب الأسرة أو المدرسة دوراً هاماً في حياة الجماعات بحيث يكون لها هيكل وبناء محدد، يقوم بين أفرادها على درجة معينة من التفاعل، ويشكل لديهم إحساساً بالانتماء، ومصالح واهتمامات مشتركة، كما تحكمها معايير وقيم اجتماعية معينة.

الشكل الاجتماعي السيكولوجي للجماعة

للعوامل السيكولوجية دوراً هاماً مختلفاً وفي شرح السلوك الاجتماعي للأفراد ونشاطهم الاتصالي، فالعلاقات بين الأفراد في المجموعات الصغيرة تتحدد بالقوانين السوسيولوجية، ويفسر سلوك بعض الأفراد داخل الجماعة على الأغلب طبقاً لنظام القوانين الاجتماعية- السيكولوجية للجماعة التي ينتمي إليها.

كما تؤدي وسائل الإعلام الجماهيري وظيفة مهمة في إفهام أفراد الجماعة لمهامهم واحتياجاتهم، في التربية مثلاً ذلك في الإعداد النفسي للعمل والحركة، كما تقوم بدور خاص في العمليات الاجتماعية- السيكولوجية لترضي ووحدة الذات الاجتماعية نشاط الفرد الاتصالي داخل الجماعة. إن الآلية الاجتماعية- السيكولوجية لتشكيل وتكوين ذات الفرد وفاعليتها الاجتماعية، لا يمكن حصرها في الآلية السيكولوجية التي تجري على أساس عمليات التفاعل، وفي هذا الحال تكمن الوسيلة الاتصالية الهامة لتحقيق الاتفاق في التواصل المباشر بين الأفراد، والذي يحدث في أثناء تبادل النشاط الاتصالي والمعلومات وتحقق المستوى الضروري من التفاهم المتبادل والاتفاق بين الأفراد الذين ينجزون عملية الاتصال.

كما أن للعوامل الاجتماعية والسيكولوجية أهمية في تنظيم الجماعات وتلعب دوراً أكبر في بلوغ التضافر والتضامن من التواصل المباشر بين أفرادها وتكسبها التواصل في هذه الأبعاد طبقا لذلك بحيث تكون أكثر وسطية. غير أنه تستند أهمية النشاط الاتصالي من خلال ما يقدمه هذا الاتصال من وظائف تحقق الصلات بين أفراد الجماعات ممثلاً بالوسائل الإعلامية وقنواتها الموجهة على أساس أهداف الرسالة وما يحمله مضمونها والتي تعبر في الأغلب بشكل مكثف عن متطلبات الفرد ومصالحه في الجماعة أو تأكيد ما ورد في العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي بأن هناك معطيات غير كافية تبرهن على أن العمليات السلوكية في تأدتيها تحفز النشاط الفردي، كما أنها تؤدي إلى تحقيق المتطلبات الأساسّية وتسلسلها من حيث تحقيق المصالح

والتوجهات القيميه، وكما أن بواعث الفرد تتصف بفوارق جوهرية تبعاً لنموذج الجماعة التي ينتمي إليها والأنظمة العلاقات الاجتماعية بداخلها.

الطرق التي تتبعها الجماعة في عملية التواصل:

يعد التواصل عملية بيولوجية سيكولوجية هامة مثلاً في وظائف الحواس الخمسة التي تؤدي إلى اتصال الفرد بالعالم الخارجي، سواء أكان ذلك على صعيد فيزياني بيئي أو اجتماعي يختص بالجماعة التي ينتمي إليها، وهذا بحد ذاته يؤدي إلى التفاهم بينه وبين أفراد الجماعة، ويمكن إجمال عناصر الاتصال على النحو التالي:

1) اللغة: نظام صوتي يتفق عليه مجتمع بهدف التفاهم ولها وجهان مقروء ومكتوب ولكن يشترط الاتفاق (عبد الهادي، **64**).
2) الإيماءات: حركات الجسد التي تعبر عنها ثقافة المجتمع.
3) الكتابة والرموز المتفق عليها. تعد عملية هامة في التواصل بين الآخرين.
4) الألوان واللباس: للون وللباس دلالات في عملية التواصل وهذا ما ورد في بعض مواضيع علم النفس الاجتماعي، وسيكولوجية الجماعات.

وظائف التواصل:

للتواصل أهمية بالغة في عملية الفهم الاستيعاب والإدراك، وتشير الدراسات في هذا المجال بأن للتواصل أهمية بالغة في تشكيل سلوك الأفراد داخل الجماعات، ولا بد أن تتوفر عدة وظائف يمكن أن تحققها عملية التواصل يمكن إجمالها في النقاط التالية:

1) التوافق والانسجام بين أفراد المجموعة.
2) الشعور بالانتماء بين أفراد الجماعة.

3) بناء العقل الجمعي (الفرد يمثل الجماعة).

4) التواصل له علاقة في تشكيل السلوك الاجتماعي.

5) للتواصل أهمية في ترسيخ قواعد التنشئة الاجتماعية.

الأهداف التي تحقق من خلال الجماعة:

يعرف الهدّف أنه تصور مستقبلي يضعه الفرد في قراره نفسه، ويعمل على تحقيقه بطرق وأساليب مختلفة، وقد يكون قصير الأمد أو طويل الأمد.

ولـذلك تختلف أهداف التربية وأساليبها باختلاف أبنية المجتمعات، ويتضح ذلك من المقارنة بين التربية وأهدافها في كل من المجتمعات البسيطة والمجتمعات المعاصرة:

فالتربية في المجتمعات البسيطة: تهدف إلى تحقيق تكيف الإنسان مع بيئته الطبيعية ومواجهة مشكلاتها بتعلم أنماط السلوك البسيط من خلال التقليد والمشاركة. حيث ينعكس ذلك من خلال قواعد وأنظمة ذات علاقة في عملية التنشئة الاجتماعية.

أما التربية في المجتمعات المعاصرة: فيتسع نطاق أهدافها إلى إعداد المتخصصين في كافة المجالات كالطب والهندسة والفضاء..... الخ لمواجهة مشكلات العصر بتعلم أنماط معقدة من السلوك من خلال مؤسسات متخصصة كالمدرسة والجامعة وغيرهما.

أهم أهداف النظام التربوي في المجتمعات المعاصرة في نظرتها لجماعاتها:

كما نعلم بأن لكل مجتمع أهدافه، ممثلاً في جماعته وأفراده ولذلك تكمن أهداف النظام التربوي في المجتمعات المعاصرة في النقاط التالية:

(1) الحفاظ على التراث الاجتماعي المتمثل في اللغة والدين والعادات والثقافة وتقاليد وقيم المجتمع ونقله للأجيال التالية.

(2) تنمية قدرات الفرد ومهاراته في التغلب على ما يحيط به من تحديات.

(3) إكساب الفرد الشخصية الاجتماعية القادرة على التكيف مع المواقف الجديدة، والطارئة.

(4) ربط الفرد بمصادر المعرفة والثقافة والتعلم المتعددة كالمكتبات ووسائل الإعلام والمتاحف والمعارض، وشبكة المعلومات.

(5) تزويد المجتمع بالأفراد المتخصصين لتنفيذ خطط المجتمع ومشاريعه كالمهندسين والعلماء والمعلمين.

العلاقات التفاعلية بين أفراد الجماعة

تُعرف الروابط بأنها مجموعة العلاقات البسيطة أو المعقدة التي تحدد المفاهيم الملائمة بين أفراد المجموعة حيث يسود داخل الجماعة عدة أنواع من الروابط، يمكن تصنيفها إلى الروابط الوجدانية المستمدة من السلطة والقوة، وتكون تلك الروابط قائمة على الاتصال بين الأعضاء، أو المستمدة من وجود هدف مشترك. حيث تم التطرق لهذا الموضوع في الوحدة السابقة.

ولهذا يمكن توضيح ذلك بشيء من التفصيل فعلى سبيل المثال الروابط الخاصة بمشاعر الحب والكره، والتقبل والنبذ، السائدة بين أفراد الجماعة. كما تظهر، عادة، في انتشار التعاون والمحبة بين أعضاء الجماعة. وتنتشر بين أعضاء الجماعة روح المرح والمداعبة، دون حساسية شديدة تؤدي إلى جرح للمشاعر والأحاسيس. ويتقبل أعضاء الجماعة اختلاف وجهات النظر بصدر رحب، مما

يساعد على تطوير أساليبهم في الأداء. وبمعنى آخر، لا يكون اختلاف وجهات النظر مدعاة لثورة الغضب والتفكك الاجتماعي داخل الجماعة. وهذا كله يؤدي إلى تماسك الجماعة، فلا يرغب أحدهم في تركها أو مغادرتها ويكون كل عضو فيها فخوراً بانتسابه إليها. وبصفة عامة ينتشر بين الأعضاء الشعور "بالنحن".

وقد يكون هناك روابط قائمة على التماسك والقوة داخل الجماعة، وتكمن أهمية السلطة بداخلها في: التعزيز، والعقاب، كعلاقة الابن مع الأب والتلميذ مع المدرس.

ويظهر هذا النوع من الروابط في مشاركة كل عضو من أعضائها بمسؤولية تنظيم أنشطتها وتنفيذها، تبعاً لما لديه من مصادر القوة. فيعرف كل فردٍ داخل الجماعة التي ينتمي إليها ما يجب عليه عمله، ومع من يعمل، ومتى يعمل، وكيف يعمل، ويكون ذلك من خلال تنظيم شامل تحدده الجماعة بتوجيه من القائد الذي يقودها ويحظى بثقتها.

وبناء على ما سبق فإن هذه الروابط تسهل ضبط الجماعة والسيطرة عليها، دون إفراط أو تفريط، إذ إن الإفراط في الضبط يجعل المحافظة على بنية الجماعة مسؤولية القائد وأفراد جماعته، كما أن التفريط في الضبط يؤدي إلى الفوضى والاضطراب.

كما أن الروابط تؤدي إلى سرعة اتخاذ الجماعة للقرارات، لأن السلطة تكون موزعة، ولأن الجميع يشارك في اتخاذ القرار، ومستعد للمشاركة في تنفيذه،

ولأن الجميع مستعد أيضاً لتقبل المخالفة في الرأي بطيب خاطر، ودون قسر أو قهر ويساند قائد الجماعة من يوكل إليهم لتنفيذ المهام.

كما أن هناك نوعاً من الروابط تقوم على الاتصالات بين أعضائها ممثلة في المعلومات التي تنشرها الجماعة بين أعضائها. فلا يحتفظ القائد بكل المعلومات كما لا يغرق الجماعة بها، ويحرص كل فرد على أن يشارك غيره فيما لديه من معلومات تهم الجماعة، وتساعد في تسيير أمور حياتها. أي أن شبكة المعلومات لا تكون من القمة للقاعدة فقط، ومن القاعدة للقمة وبين الأعضاء. إن هذا من شأنه أن يقلل من مشاعر النبذ والعداوة، ويزيد فرص تأثير كل عضو من أعضائها في الآخر.

كما أن هناك روابط علائقيه بين أفراد الجماعة تقوم على وجود هدف مشترك تسعى الجماعة نحو تحقيقه، مما يؤدي إلى وحدتها وتماسكها، وإلى تنظيم العمل وتوزيع الأدوار توزيعاً مناسباً بداخلها، ويظهر هذا النوع من الروابط في معرفة أعضاء الجماعة الأهداف المشتركة، التي تسعى نحو تحقيقها وكيفية تحقيقها. ومن ثم يكون كل فرد مستعداً لأن يتعلم كل ما هو جديد. ويؤدي ذلك إلى تحقيق أهداف الجماعة، وإلى تأدية ما يجب على الفرد أن يؤديه من واجبات، فلا يسعى إلى التهرب من أدائها، أو البحث عن طرق وأساليب ملتوية أو منحرفة لأدائها. كما يكون الفرد منتظماً وملتزماً ومتفانياً في أدائه للواجبات في مواعيدها، دون تلكؤ أو تسويف، وفضلاً عن ذلك يكون كل عضو مستعداً لتحقيق درجة من التوفيق أو التكامل بين أهدافه الشخصية وأهداف الجماعة، من أجل ألاّ تتعرض أهدافها للخطر.

القيادة والجماعات الإنسانية

العَلاقَة بيّن القيّادة والجمّاعة علاقة جدلية، وهذا يُعد أمراً أساسياً، فلا تخلو الجماعة من وجود القيادة التي تشكل ضرورة اجتماعية، موجودة منذ بدء الحياة الاجتماعية، فهناك قيادات مهنية وأخرى طبيعية، فهي تلعب دوراً حيوياً في التأثير والتفاعل لتقود الجماعة نحو إنجاز الأهداف الموضوعة، وينتج عن ذلك تغييراً في البناء الاجتماعي، فالقيادة هي نوعٌ من التطوير الاجتماعي والبيئي والنفسي، بمعنى تحقيق تماسك الجماعة، ونلاحظ هنا أوجه الاختلاف بين نوعين من القيادة حيث يمكن أن نبين توضيحاً كما يراها الصاوي (Elsawi) فيما يلي:

أولاً: القيادة المهنية: يتم تعيين أفرادها غالباً من الجهات المتخصصة بالدولة أو المؤسسات العامة والخاصة التي يعملون فيها وفقاً لكفاءتهم في العمل أو لاعتبارات أخرى.

ثانياً: القيادة الطبيعية: يتم اختيار أفرادها من داخل الجماعة أو الهيئات أو المؤسسات ويتميز القائد الطبيعي بشعبية، وحب زملائه له ويكون موضع احترام وتقدير الجميع وغالباً ما يتم وذلك عن طريق الانتخابات ويكون غالباً كفء في أداء عمله.

وقد عرف العلماء أمثال (Bernard, 1960) القيادة بأنها: "القدرة في التأثير بالجماعة كي تتعاون لتحقيق هدف يشعر الجميع بضرورته وأهميته وهناك أوجه اختلاف لكلا النوعين في القيادة موضحاً كالآتي:

فالأولى: يتم تجهيزه وإعداده بفترة قبيل العمل، أما القائد الطبيعي فغالباً يتم إعداد وتجهيزه بعد الانتخابات.

كما أن الثانية: تشمل إدارة النشاط وتضع المثل أو التدريب لأفراد الجماعة، وغالباً ما يتولى القائد إدارة النشاط والاشتراك فيه مباشرة.

وبهذا الخصوص يشير علماء النفس والاجتماع في (نظرية الرجل العظيم Great Man Theory) إن الرجال العظماء يكون لهم دوراً بارزاً في المجتمع ويمتلكوا قادراً من الخصائص والمواهب توضعهم في مركز القيادة مهما كانت الظروف والمواقف المختلفة التي يواجهونها.

وتأكيداً على ذلك هناك عدة نظريات فسرت علم نظرية السمات، (Trait Theory) تعتبر القائد لديه خصائص تكوينية داخلية (خصائص شخصية) تجعله قادراً على القيادة الناجحة بصرف النظر عن الاعتبارات الأخرى كالثقافة أو الموقف.

أما عن النظرية الوظيفية (المادية) (Function al Theory) توضح أن القيادة تهتم بدراسة خصائص الجماعة التي ينتمي لها القائد والتي تساعده على تحقيق الأهداف وبصرف النظر عن البحث عن خصائصه.

واهتمت النظرية الموقفية Situational Theory بشخصية القائد في المواقف المختلفة، والتغير في سلوكياته وفقاً للمواقف المختلفة والظروف والقوي الاجتماعية المحيطة به ويملك القائد قدراً قليلاً من السيطرة والنفوذ وفقاً للموقف.

وفسرت النظرية التفاعلية القيادة على أساس التكامل والتفاعل بين المكونات المختلفة الجسدية والعقلية والنفسية والاجتماعية.

ويرى الصاوي (Elsawi) بهذا الخصوص بأن النظرية التكاملية للقيادة تعتمد على عنصرين هما:

(1) القيادة كفن. ونعني بذلك بأن القيادة تمثل مجموعة المهارات التي يمتلكها القائد في إدارة المواقف التي تتعرض لها الجماعات.

(2) القيادة كمعلم. ونعني بهذا النمط تعليم القيادة للآخرين.

في ضُوء ما سبق يمكن التأكيد بأن القيادة هي القدرة والاستعداد على التوجيه والتأثير والتفاعل مع الأفراد والتخطيط لإنجاز الأهداف لتحقيق التوازن والتغير البنائي. وهنا القيادة كفن ومن خلال ذلك يحقق الصاوي في نظرية التكاملية الأبعاد الأساسية للنظريات المختلفة في القيادة موضحاً ما يلي:

1) القيادة هي التأثير والتفاعل مع الأفراد ويتفق في ذلك مع النظرية التفاعلية على أساس التكامل.

2) القيادة هي التخطيط لإنجاز الأهداف ويتفق ذلك مع أصحاب النظريات الوظيفية.

3) القيادة هي تحقيق التوازن والتغير البنائي وفقاً للنظرية الموقفية التي يتم تحقيق التوازن من خلالها الاجتماعي والنفسي، والتغير في البناء الاجتماعي وفقاً للمواقف والظروف المحيطة بالمجتمع، وبذلك يتم تحقيق أهداف النظرية الموقفية في خدمة المجتمع والجماعة. وإذا تمعنا في النقاط السابقة تمثل القيادة كمعلم، وهذا بدوره يشكل قيادة تكاملية.

أساليب القيادة:

يعتبر الأسلوب القيادي وسيلة التغير في السلوك الذي يقوم به القائد ويتبعه لمساعدة الجماعة وإشباع متطلباتهم واحتياجاتهم لتحقيق الأهداف.

وقد يتم تغيير أسلوب القيادة وفقاً للمواقف والظروف، ويقوم القائد هنا بالسيطرة على الموقف بحيث يعزز العلاقات الإيجابية بين أعضاء الجماعة فمثلاً بتحديد أساليبه.

في ضوء ما سبق يمكن تحديد الأساليب القيادة وإجمالها على النحو التالي:

(1) الأسلوب الأوتوقراطي أو القيادة الديكتاتورية:

ويستخدم هذا الأسلوب في الجماعات حديثة التكوين حيث تعني السيطرة الكاملة على مجريات الأمور والتحكم في اتخاذ القرارات دون رأي أو مشورة، فالقائد الديكتاتوري يفعل ما يريد كما يتراء له. فهو يعتمد على المركزية في إدارة شؤون الجماعة حيث يتميز بالأسلوب المسيطر يستخدم القائد نفوذه وسلطته مما يجعله ينجرف بالسلطة تحقيقاً للمصالح الشخصية والمنافع المتبادلة، وهنا يجب على أفراد الجماعة الطاعة العمياء والخضوع لقرارات القائد متعدياً بذلك كل القيم والقوانين واللوائح والتشريعات المتعارف عليها والمنظمة للعمل فلا يقبل القائد النصح أو التوعية أو يتخلص من كل صاحب رأي أو معارض بالطريق المشروعة أو غير المشروعة وبذلك لا تنمو شخصية الأفراد داخل الجماعة بما لا يحقق نمو الجماعة وتطويرها المطلوب لخدمة المجتمع.

(2) أسلوب ترك الجماعة دون تدخل القيادة السلبية أو المتساهله:

يستخدم هذا الأسلوب مع الجماعة المتقدمة أو الناضجة ويقل توجيه القائد للجماعة بمعنى السلبية المطلقة في اتخاذ القرارات وعدم تحمل المسؤولية والهروب من المشكلات والصعوبات التي قد تواجه الجماعة.

فالقائد السلبي أو المتساهل يخشى مواجهة أعضاء الجماعة والتعامل معهم، فلا يدلي بأي نصائح أو رأي وليس لديه القدرة على معاقبة المنحرفين من أعضاء الجماعة ولا يستطيع تطبيق أسلوب الثواب والعقاب. ويعتمد على غيره في إدارة وتنظيم شؤون العمل ولا يسهم في إيجاد الحلول فشخصية القائد السلبي ضعيفة لا تساعد على تكوين جو من المنافسة والتطوير.

(3) الأسلوب الأبوي أو القيادة الإيجابية:

القائد يكون متفهماً لمتطلبات الجماعة فالأعضاء ما زالوا قليلوا الخبرة الاجتماعية وفي مرحلة النمو، ويكون القائد أباً وصديقاً لأعضائها معبراً عن آرائهم في القدرة على اتخاذ القرارات ويهتم القائد بكل فرد في صورة متشابهة لاهتمام الأب لأبنائه مع الاهتمام بالجماعة ككل، فالقائد هنا محور التفاعل فهو يتم بالاستجابة للأفراد ومتطلباتهم واحتياجاتهم.

فهو يتعامل مع الأعضاء بأسلوب مميز، لإدارة وتنظيم العمل وكثيراً ما يستخدم هذا الأسلوب مع الأطفال والنشىء والفرق الرياضية حيث يحتاج إلى توجيه المسؤولية وتشجيع القائد وبذلك تحقق خدمة الجماعة والمجتمع.

(4) الأسلوب الديمقراطي: أو القيادة الديمقراطية:

الأسلوب الديمقراطي يتيح الفرصة لكل فرد في الجماعة أن يعبر عن رأيه ويؤثر في التجارب الجماعية، فهو يعمل وفقاً لأسلوب الشورى مع أعضائها ومن خلال الحكم الذاتي الذي ينبع من داخلها.

كما يشارك غيره في قيادة الجماعة وتحمل المسؤولية، وفقاً للمصلحة العامة ويتم اتخاذ القرارات بأسلوب ديمقراطي، فيمنح السلطة الكاملة للجماعة للتفاعل مع بعضها في إطار اجتماعي، تحقيقاً للتوازن ما بين الاحتياجات والمتطلبات وما يتم تحقيقه من أهداف وفقاً لمصلحة العليا للجماعة فالقائد يعمل على تنمية القدرات والمواهب في إطار اجتماعي سليم ووفقاً للتقاليد والقوانين والنظم المتعامل بها داخل الجماعة ويعتبر الأسلوب الديمقراطي من أنجح الأساليب للجماعات المنظمة التي تتمتع بالخبرة في إدارة شؤونها لتحقيق التقدم والتطور (أميل، **1962**).

علاقة التوازن والصراع السيكولوجي الاجتماعي داخل الجماعة

إذا كان الأفراد يعرفون العديد من المشاكل الذاتية والموضوعية، فإن الجماعات هي بدورها لديها مشكلات مشتركة عامة، وتتمثل في مشكلات الوظيفية الناتجة عن السلوك والعلاقات الشخصية، وتكمن أيضاً في المشكلات الوظيفية الناتجة عن عدم فهم الأفراد لأهداف الجماعة وأغراضها، يليه وجود منازعات داخل الجماعة تعيق نمو المهارات القيادية وتساهم في ظهور الشللية داخل الجماعة ناهيك عن مشكل الروتين الإداري والبيروقراطية والتنافس الشديد بين الجماعات لأغراض شخصية أو اجتماعية حول الزعامة والتفوق والتميز؛ مما يسبب هذا في توليد الصراع وتأجيج النزاع وخلق التوتر وبروز التنافر بين الجماعات.

الصراع داخل الجماعة

الفكر الاجتماعي للقرن التاسع عشر غالباً ما كان يؤكد على أهمية الصراع الاجتماعي. لهذا اهتم العلماء والمفكرون الاجتماعيون منذ عصر كومت فصاعداً بالبحث عن النظم والأحكام الاجتماعية الضرورية والظروف الموضوعية التي تستطيع تحقيق التكامل والانسجام والتوافق الاجتماعي الذي كان الإنسان آنذاك بحاجة ماسة إليه. (تيماشيف، **1975**).

وظهرت في ذلك الوقت نظريتان تفسران طبيعة وخطورة الصراع الاجتماعي، كل نظرية كانت تستند على افتراضات معينة تتناقض مع افتراضات النظرية الأخرى؛ فهناك نظرية (هويز) التي أيدتها النظرية الداروينية والتي تؤكد بأن المجتمع البشري في حالة صراع وحرب مستمرة، فالقوي دائماً يسلب حقوق الضعيف، والقوي لابد أن يضعف فيقدم عليه شخص أقوى منه فيسلبه أمواله

وحقوقه، وقد دعمت نظرية (دارون) ونظرية هويز هذا الاتجاه أضافت بأن البقاء هو للأصلح والصراع الذي يخوضه الجنس البشري ما هو إلا حالة طبيعية يمارسها بصورة مستمرة من أجل البقاء.

أما (ماركس) فقد اعتقد بأن جوهر الصراع يكمن في التضارب والتناقض بين مصالح الطبقات الاجتماعية، التي تقررها طبيعة العلاقات الإنتاجية التي يكونها الإنسان مع وسائل الإنتاج والتي تقود إلى الصراع الطبيعي الدائم. إلا أن جميع هذه الآراء المتضاربة التي تدور حول دور الصراع في الأنظمة الاجتماعية لا تزال تسيطر على نظريات ومفاهيم علم الاجتماع المعاصر فعلم الاجتماع المصغر، (Micro- Sociology) يدرس حالة الصراع الموجودة بين الأدوار والعلاقات الاجتماعية التي تربط أبناء الجماعة، كما فسر هذا العلم على حالة الصراع الموجودة في الأنظمة الحضارية والاجتماعية للمجتمعات.

فمثلاً تركز نظرية العالم (تالكت بارسن) (Talcot Barson Theory) على موضوع الذي جاء ليفسر العلاقات الاجتماعية النظامية التي تحددها القوانين المدونة أو غير المدونة أو المتعارف عليها. وفي هذه العلاقات يتوقع كل شخص يدخل فيها سلوكية وأخلاقية الشخص الآخر، ومثل هذا التوقع يفهمه الشخص الذي يكون العلاقة الاجتماعية التي تساعده في تحقيق أهدافه وطموحاته، لكن العلاقة الاجتماعية معرضة لاحتمالين. الاحتمال الأول هو عدم فهم الشخص توقع سلوك الشخص الآخر الذي يدخل في علاقة معه، والاحتمال الثاني هو فهم الشخص توقع سلوك الشخص الآخر. بيد أن هذا التوقع لا يساعده على تحقيق طموحاته وأهدافه وفي هذه الحالة لابد أن تسبب الصراع بين الأطراف المعنية على مستوى المكروسسيولوجي.

يكون الصراع على أشكال مختلفة، كالمنافسة التي تقع بين شخصين

للحصول على المواد الأولية هي منافسة مجردة، لكنه عندما تكون المنافسة بينهما غير سلمية أي أن كل واحد منهما يكون مستعداً لاستخدام أسلوب العنف أو الإجراءات الانتقامية ضد الشخص الآخر فإن هذه المنافسة تتحول إلى صراع خفي أو ظاهر حسب الأحوال والظروف التي ينشب فيها.

عندما يدرس علماء الاجتماع طبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمعات الصناعية يكون اهتمامهم الأساسي بموضوع التكامل الاجتماعي لهذه المؤسسات، هذا التكامل الذي قد ينقذها من احتمالية وقوع الصراع بينها أو بين أفرادها. بيد أن هناك آراء أخرى تقول بأن التكامل بين المؤسسات الأخرى لا يعمل على إنقاذها من الصراع الذي تتعرض إليه إذ أن الصراع هو ظاهرة حتمية لابد من ظهورها في المؤسسات الاجتماعية أو أن أعضاء المؤسسات لابد أن يكونوا في حالة صراع الواحد مع الآخر. وعمليات التكامل الاجتماعي أو الإجراءات السلمية التي يتخذها المجتمع بصدد الصراع القائم فيه لا يمكن أن تنجح في القضاء عليه أو تخفيف وطأته.

لكن المحاولة الرئيسية التي تفسر نظرية الصراع تفسيراً منطقياً تكمن في أفكار ومبادئ كارل ماركس، إذ أنه يعتقد بأن طبيعة العلاقات الاجتماعية للإنتاج هي التي تسبب الصراع الذي ينعكس في جميع المؤسسات الاجتماعية للإنتاج هي التي تسبب الصراع الذي ينعكس في جميع المؤسسات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع، فالمؤسسة الواحدة حسب اعتقاد ماركس تتكون من جماعتين أو طبقتين، الجماعة أو الطبقة الحاكمة وهي الطبقة البرجوازية والجماعة المحكومة وهي الطبقة البروليتارية. الطبقة الحاكمة أو البرجوازية في المجتمع الرأسمالي هي الطبقة التي تمتلك وسائل الإنتاج بينما الطبقة الثانية لا تمتلك أي شيء ما عدا الجهود البشرية التي تبيعها بأجر زهيد إلى الطبقة الحاكمة. لكن الواقع الطبقي

للمجتمع الرأسمالي يعكس الحالة التي تعتقد فيها كل من الطبقتين بأنها المالكة الشرعية لوسائل الإنتاج والمؤسسات الاقتصادية والسياسية. ومثل هذا الاعتقاد الذي تحمله الطبقتان المتصارعتان يسبب التناقض والصراع بينهما، بحيث يتطور هذا الصراع فيشمل جميع مؤسسات وقطاعات المجتمع وبالتالي سيقسم المجتمع إلى معسكرين متصارعين يحارب أحدهما الآخر.

أما العالم داهرندورف (Dahrendorf) عميد مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة لندن فيعتقد بأن سبب الصراع الذي يسيطر على مؤسسات المجتمع يعزى إلى رغبة الأشخاص المتصارعين في استلام زمام السلطة والقيادة. ويضيف قائلاً بأن الصراعات والمواجهات الصناعية في الدول الرأسمالية بين أصحاب العمل والعمال أصبحت من الأشياء المألوفة والمتعارف عليها بين أبناء هذه المجتمعات.

والعالمان كوزر وكلوكمان (Conser & Gluckman) يعتقدان بأن النظرية الوظيفية لا تعطي وزناً كافياً لموضوع الصراع الاجتماعي، لذا يجب إعادة النظر فيها وبناءها على أساس جديد يعطي موضوع الصراع حقه. ويعتقدان أيضاً بأن الصراعات والمواجهات التي تقع في جوانب مختلفة من المجتمع قد تسبب الاستقرار والهدوء حيث أن الصديق في جبهة معينة قد يكون عدواً في جبهة أخرى وهذا ما يدعو إلى الاستقرار والهدوء.

يعترف (علم الاجتماع المعاصر) بظاهرة الصراعات المنظمة التي أصبحت في الوقت الحاضر من السمات الدائمية التي تميز البنيات الاجتماعية. إلا أنه لم يعط التفسيرات الموضوعية الكافية للصراعات الاجتماعية الصورية. فعلم اجتماع الثورة السياسية بحاجة إلى معلومات وحقائق نظرية تتميز بالأسلوب العلمي التجريبي، لهذا قام عدد كبير من علماء الاجتماع بتطوير هذا

الموضوع ومن أشهرهم كارل منهايم (Karl Mannheim) وسي. رايت مل (C. Wright Mill).

علاقة التوازن والصراع الاجتماعي النفسي خارج الجماعة

العلاقة التي تربط الإنسان بالجماعة علاقة ضرورة وليست علاقة سلبية أو علاقة تعارض متضادة، ومن أبرز معالمها أنها ديناميكية، ملؤها التفاعل والتبادل المستمر..، فبتفاعل الفرد مع الجماعة بحيث يُكّون التماسك والتداخل والتشابك الاجتماعي بأشكاله الثقافية والاقتصادية والسياسية والروحية، وبتأثير هذا التبادل والتفاعل للأدوار الاجتماعية، يحصل التكامل النفسي للفرد والتكامل الاجتماعي للمجتمع ككل، فالفرد يحقق ذاته من خلال الجماعة، وهي تحقق وجودها من خلال مجموع الجماعات والشعوب في وحدتها الكلية لتشكل ديناميكية ارتقائية تنشد الرقي وليس نقيضه.

إن موضوع اتجاهات التعصب (التطرف) بكل أشكالها وأنواعها تشمل الإنسان بما هو إنسان .. في شقائه أو راحته.. فهذا الشقاء هو شقاء النفس في صراعها مع الداخل أولاً، ومع المجتمع ثانياً. أو في راحتها مع النفس ومع المجتمع لذا فإن الحياة لا تستقيم مع الصراع غير المحسوم سواء أكان ذلك داخلياً يهزّ الكيان النفسي للإنسان ويحرم عليه راحة البال في وجوده الإنساني، أو كان خارجياً يهزّ صلته بالوجود الخارجي وبحضوره أمام الآخرين كإنسان خلقه الله وجعل فيه عقلاً مدبراً، ولكن تعُد هذه القدرة التي منحها الله (عز وجل) له قدرة تكفيه مع الآخرين.

لاشك أن مفهومي الاتجاهات والتعصب (التطرف) يحتلان مكان الصدارة في الدراسات النفسية الاجتماعية المتخصصة ليس من حيث المنهج الأكاديمي

فحسب، وإنما بسبب صلتهما المباشرة والدقيقة بحياة الإنسان والمجتمع، وآثارهما المتوقعة في النتائج، لما يحملانه من عواقب، إذا ما فشلت الجهود في البناء والتربية والتنشئة الاجتماعية الأولى، فالاتجاه يعرّف بأنه نزعة (نحو) أو (ضد) بعض العوامل البيئية، تصبح قيمة إيجابية أو سلبية، أما التعصب فهو اتجاه نفسي لدى الفرد يجعله يدرك فرداً معيناً أو جماعة معينة أو موضوعاً معيناً إدراكاً إيجابياً محباً أو سلبياً كارهاً دون أن يكون لذلك ما يبرره من المنطق أو الشواهد التجريبية، أو مشكلات نفسية- اجتماعية معاصرة، لذا فإن مناقشة موضوع التعصب أو التطرف بكل أشكاله السياسية أو الأدبية أو العنصرية أو الدينية، إنما هو سبر أغوار النفس الإنسانية بنشأتها وتكوينها، وهي محاولة لا يألوا الإنسان فيها جهداً لمصارعة ذاته بذاته، فإما أن ينتصر عليها ويخضعها لسلطان العقل، أو أن تلفت من العقل وتنحدر نحو الحيوانية بعد أن خلقها الله بأحسن تقويم. ويقول الرسول (ﷺ): (ما عبد الله بمثل العقل وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال، وأما العاشرة لا يرى أحداً إلا وقال هو خير مني وأتقى، فإذا التقى الذي هو خير منه وأتقى تواضع له، وإذا التقى الذي هو شرّ منه وأدنى، قال عسى أن يكون خير هذا باطناً وشره ظاهراً فإذا فعل علا مجده وساد أهل زمانه). (صحيح مسلم)

العوامل الحاسمة في تشكيل الصراع والتوافق بين الجماعة والجماعات الأخرى:

أ- الصراع

يعد الصراع من المشاكل السلوكية الرئيسية التي يواجهها الأفراد خلال عملهم اليومي سواء أكان على مستوى الفرد أو الأفراد في الجماعة ككل وفي

مختلف المؤسسات الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والحضارية، خاصة ونحن في عالم يختلف تماماً عن عالم ما قبل قرن مضى فنحن في عالم القرية الصغيرة أو العصر المعلوماتي، وبما أن الصراع هو أحد أنواع التفاعلات الاجتماعية التي يمارسها الفرد بشكل علني أو ضمني، بغية تحقيق هدف معين، عليه لابد من توجيه الجماعة بسبل قادرة على تكييفه لمصلحتها في الوقت التي تسعى فيه لتحقيق أهدافها والتي تمثل مجموع أهداف الأفراد داخل المؤسسة ككل.

ولأجل تفسير هذه الظاهرة الشائعة بشكل علمي وأكاديمي لا بد من التعرف على الصراعات المختلفة في ظل العراك داخل الجماعة، وعلى أية حال لابد من طرح الأسئلة التالية: ما مفهوم الصراع؟ وما هي أسبابه؟، والمراحل التي يمر بها؟، وما هي مستوياته وأنواعه؟، وهل الصراع سلبي (ضار)، أم إيجابي (مفيد)؟، وما هي استراتيجيات إدارته؟، والإجابة على تلك الأسئلة تؤكد بأن الحقيقة الجوهرية الأولى هي وجود الصراع في مختلف الجماعات بدءاً من الأسرة ومروراً بالجماعة وانتهاء بالدولة والتي هي أم المؤسسات جميعاً، أما الحقيقة الثانية فهي أن الصراع شيء ظاهر لابد منه ولن تتمكن الجماعة من إزالته أو إبعاده، بإدارة منهجية علمية والاستعانة بخبرات العناصر الفعالة الكفؤة.

فيما يخص مفهوم الصراع: فقد عرفه سميث (Smith, 1967: 382) بأنه الموقف الذي تتعارض فيه بشكل أساسي، الظروف والممارسات والأهداف المختلفة، كما عرفه ليتر (Litter, 1966)، بأنه المحاولات النشيطة المبذولة من قبل الفرد لتحقيق الأهداف المعينة، وإذا تحققت أهداف الآخرين والتي يبتغون تحقيقها بأنه ينشأ العداء بين الجانبين. كما عرفه بولدج (Boulding, 1962) بأنه الوضع التنافسي بين طرفين مدركين لطبيعة التعارض الناشئ بينهما، ويرغب

كل طرف في الحصول على المركز المتعارض مع رغبة الطرف المقابل. وعرفه ليفيت (Leavitt, 1972) بأنه نوع من الإحباط الذي يتميز بالضغط في اتجاهين مختلفين في الوقت ذاته أو حالة تتطلب اتخاذ قرار بين حاجتين متعارضتين.

أما سيمون ومارث (Simon, 1958) فقط أكد أن الصراع ما هو إلا عبارة عن حالة اضطراب وتعطيل لعملية اتخاذ القرار، بحيث يواجه الفرد أو الجماعة صعوبة في اختيار البديل الأفضل والأنسب.

ومن الملاحظ بأن التعريفات السابقة على الرغم من التباين الشكلي منها في تحديد مفهوم الصراع، لا توجد فيها تباين حول مضمون الصراع وأهميته.

أي أن الصراع هو عبارة عن حالة عدم توازن تتعرض لها الجماعة نتيجة لتعارض المصالح والأهداف بين الأفراد والجماعية والجماعات فيما بينها.

مستويات الصراع:

الصراع داخل الجماعات وبين الأفراد وبين الأفراد والجماعات يأخذ عدة مستويات منها:

أولاً: الصراع الفردي، أي صراع الفرد مع ذاته عند قيامه لاتخاذ القرارات، حول موقف تعرض له، حيث يأخذ الأشكال التالية:

1. عدم تقبله القرار لعدم توافر البديل، الذي يحقق له المطلوب بكفاءة عالية.
2. عدم إمكانية المقارنة، وهذا يعزى لعدم إمكانية من تشخيص القرار الأفضل اللازم لمعالجة المشكلة أو موضوع القرار.
3. تعذر الفرد من معرفة النتائج المتوقعة، بسبب المشكلات الناجمة عن تداخل البدائل التي تعيق تحقيق أهدافه.

ثانياً: الصراع في الجماعة

نتيجة لاختلاف الأفراد الجماعة، أو نتيجة إمكانية اختيار البديل المعروف أو المقبول بين الأفراد والمقصود به صراع الفرد مع الأفراد الآخرين داخل الجماعة والسبب الأساسي وراء هذا النوع هو اختلاف الشخصيات الفردية والتي هي حصيلة التباين في الخلفية الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية بين مختلف افرادها ويمكن أن تتبلور هذه الحالة نتيجة لاختلاف نوعين من العوامل: الأولى العوامل الوراثية وتشمل جميع العوامل الموروثة بالولادة منها سمات الفرد الشخصية كالطول والشكل ولون البشرة والعين، وغيرها والتي ليست للبيئة الخارجية أثر في تكوينها. أما الثانية العوامل المكتسبة والمتمثلة بالخصائص التي يحصل عليها الفرد نتيجة للتعلم والتدريب والخبرة والتكيف مع المجتمع، حيث أن الفرد منذ نشأته يمارس الوجود في كيان دائم التغير والتبديل بحكم البيئة الخارجية ومتغيراتها ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى اكتساب الخبرة والتجارب والمعارف المختلفة، وسبب التباين بين الأفراد يعود إلى أثر البيئة التي عاش فيها الفرد منذ الطفولة وحتى دخوله الجماعة، والاختلافات هذه تتأثر بعاملين هما المرفوضية (عدم التقبل) والمجهولية (عدم التأكد) ولكل من العاملين علاقة وثيقة بمتغيرات أخرى. (Ferstger, 1993)

فعدم التقبل يتأثر بمستوى الطموح ورغبة الفرد للإنجاز، الذي يؤدي إلى خلق توزيع الصراع بين الأفراد.

أما عدم التأكد فيتأثر بدرجة تعقيد القرار وتداخل الصور التي يمتلكها الفرد إزاء البدائل أو القرارات الممكنة، وتعمل التجارب والخبرات الذاتية للفرد دوراً كبيراً في تعميق أو تقليص الصراع القائم بين الأفراد.

أما بخصوص الصراعات بين الجماعات يتمثل بطبيعة الصراعات الناشئة على مستوى محدد في داخلها وله شكلين

الأول: الصراع بين الأفراد على اختلاف اجناسهم وثقافاتهم داخل الجماعة.

والثاني: الصراع بين القاده الاستشاريين والتنفيذيين داخل الجماعات

وهناك عوامل رئيسية تؤدي إلى هذا النوع من الصراع منها:

1. التباين والاختلاف في مدركات الجماعات المتصارعة وتنشأ هذه الحالة بسبب تعدد مصادر المعلومات التي تشترك في تحديد العمليات الإدراكية للأفراد أو الجماعات في داخلها، كما وتلعب وسائل تدفق المعلومات عبر شبكات الاتصال دوراً مهماً في تعميق أو تقليص من حدة الصراعات الناشئة. وخير مثال على ذلك ما حدث في الثورة الشعبية التونسية والمصرية وما يحدث الآن من احتجاجات شعبية لدى الشعوب العربية وما يطلق عليه بالربيع العربي.

2. الاختلاف والتباين في الأهداف بين الأفراد داخل الجماعة حيث يعد سبباً من أسباب الصراع بينهم ويتأثر هذا النوع بمتغيرين أساسيين هما: محدودية الموارد المتاحة للجماعة، كلما كانت الموارد البيئية محدودة، كلما أدت إلى زيادة درجة وعمق الصراع بين الأفراد في داخل الجماعة والمتغير الثاني هي طبيعة الأهداف التي تسعى الجماعة لتحقيقها إذا كلما اتسمت هذه الأهداف بالوضوح وعدم التعقيد كلما أدى ذلك إلى تقليص حدة الصراع والعكس صحيح.

ويتضح من خلال المتغيرين، بأن الصراع ينشأ، حينما تتعارض الأهداف

بين الجماعات وتعذر توفير الموارد البشرية والمادية والمالية المتاحة لتحقيقها. كما أن وجود المتغيرين السابقين معاً ينتج منهما متغير آخر المتمثل بصعوبة اتخاذ القرارات الجماعية وهو ما يؤدي إلى تعميق حدة الصراع بين الجماعات ويتأثر هذا المتغير بثلاثة عوامل رئيسية، محدودية الموارد البيئية، المستويات التنظيمية المختلفة والمشاركة في اتخاذ القرار، ودرجة الاعتمادية بين الأقسام التنظيمة في إطار إعداد البرامج المختلفة للجماعة.

ثالثاً: الصراع بين الجماعات المختلفة:

الصراع بين الجماعات تكاد لا تختلف عن طبيعة الصراعات التي تنشأ بين الجماعات ذاتها فالتباين بين المدركات والأهداف وسبل تحقيقها إضافة إلى محدودية البيئة الوضع الاقتصادي كحجم الأسواق وهيكل العرض والطلب والأسعار، والقدرة الشرائية المتباينة للأفراد والمنافسة بين الجماعات وغيرها من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، التي تؤدي إلى ظهور الصراع بين الجماعات.

أسباب الصراع:

تعتبر أسباب الصراع ظاهرة تستدعي الدراسة والاهتمام ولابد من معرفة الأسباب التي تؤدي وتسهم في ولادته، وفي هذا السياق أشار كل من "كاتز وكان" (Cartez and kane) إلى نوعين من الأسباب، (عقلانية) و(غير عقلانية)، فالعقلانية تنشأ عن الاختلاف أو التباين الحاصل في الأهداف أما غير العقلانية فتنشأ عن العدائية في السلوك وتحريف المعلومات.

أما "هوج وانتوني" (Hoge and Antoni) يرو بأن الأسباب تكمن في التغيرات التي تحصل في الصلاحيات أو المراكز والأدوار، وكذلك في الأهداف،

وقد تكون نتيجة التداخل في العمل، كما بين "تومبسون" (Tompson) إن مسببات الصراع تكمن في الخلاف حول حقيقة الاعتماد المتبادل بين الوحدات أو الأفراد أو الوظائف، أو نتيجة للنقص في القيم المشتركة في إدراك الحقائق المختلفة بالإضافة إلى دور العوامل الذاتية في خلق الصراع.

كما عزى "مارج سيمون" (Semon) الأسباب الرئيسية للصراع تكمن في صعوبة اتخاذ القرار، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي أو نتيجة للاختلاف في الأهداف بين الأفراد أو بين الجماعات.

وفي ضوء ما سبق في التحدث عن الصراع، يكمن استنتاج الأسباب المباشرة المؤدية إليه ويمكن أجمالها بمايلي:

* درجة الاستقلال الوظيفي: ظاهرة الاعتمادية بين الجماعات المختلفة في وحاجة كل منها للآخر في الأداء الفني والخدمي، غالباً ما يؤدي إلى زيادة احتمال حدوث الصراع، والعكس صحيح أي كلما زادت درجة استقلال الجماعات عن بعضها فإن احتمال حدوث الصراع يصبح أقل محدوداً أو معدوماً أحياناً.
* الاختلاف أو التباين في الأهداف أو القيم: تعد أحد المصادر الرئيسية للصراع، بحيث كلما ازدادت حدة المنافسة بين العاملين أو الأفراد في الجماعات ذات الأهداف المختلفة كلما تعرضت الجماعة إلى بروز الصراع بدرجات احتمالية عالية، وقد يزداد الصراع التنافسي بين الأفراد أو الجماعات حسب مستوى درجة الولاء للجماعة أو القيم التي يؤمن بها أعضاؤها.
* تداخل في الصلاحيات والمسؤوليات في الهيكل التنظيمي يحصل الصراع حيثما تتداخل الصلاحيات والمسؤوليات المحددة للأفراد في المستويات

السلوكية المختلفة وإما يكون الصراع أفقياً بين الجماعات في نفس المستوى بوجود الاختلاف والمفاهيم المرتبطة بالوحدات التنظيمية بصورة أفقية أو يكون الصراع عمودياً بين الرؤساء والمرؤوسين حينما يحاول الرؤساء السيطرة على تصرفات المرؤوسين والتدخل في شؤونهم التفصيلية، وغالباً ما يقابل هذا الصراع بمحاولات عنيفة للضغط على السلوك، وقد يحصل نتيجة وجود تباين في الاهتمامات الشخصية لمختلف الأفراد في الجماعة والمستويات كافة، ويتسم هذا النوع منه في الغالب بالتحدي والعنف مما يستدعي من إدارة الجماعة وبصورة جادة لمواجهته واتخاذ السبل الكفيلة بمعالجته.

* الخلافات بين الأقسام التنفيذية والاستشارية بحيث أن كلا منهما يعتمد في أدائه على الآخر وقد حدد "ليتر" (Letar) عدداً من البواعث وراء ها النوع من الصراع وقال: أن الجدل وعدم الانسجام هما من الظواهر الملازمة لهذين القسمين ومن الأسباب الداعية للصراع هو أن وجود الاستشاريين غالباً ما يدعو إلى تقليل نفوذ التنفيذيين، والاستشاريين يمتلكون من القوة المعنوية في ممارسة أنشطتهم الاستشارية ما يفوق العناصر التنفيذية، والاستشاريين غالباً ما يكونون من مستويات اجتماعية أرفع وأكثر إلماماً ومن مستوى تعليمي أعلى. والاستشاريين غالباً هم أصغر سناً مما يدفعهم إلى البحث عن زيادة نفوذهم في الجماعة وتوسيع رقعة سيطرتهم قياساً بالتنفيذيين الذين يرون في القدم وكبر السن، دلائل على تجارب أفضل.

وهذا يعني أن التنفيذيين غالباً ما ينظرون إلى الاستشاريين على أنهم يحاولون انتزاع السلطة منهم، وهو ما يؤجج الصراع بينهم ويدعو إلى تبنى سياسات حادة أساسها المنافسة والتحدي بينهما.

ومن هنا يظهر بوضوح أن الأسباب الكامنة وراء الصراع لا تنشأ من فراغ إطلاقاً، فظاهرة الصراع في الجماعة تترعرع باستمرار في ظل ظروف مشجعة، كالتباين في الأهداف والاتجاهات والقيم الشخصية والتداخل في العمل والاعتمادية بين الأقسام والشعب المختلفة، والتناقض بين الأدوار التي يمارسها الأفراد والتغيرات، وعدم وضوح الصلاحيات والمسؤوليات وكذلك التغيرات التي تطرأ على الجماعة عموماً، كلها تعد بمثابة مؤثرات قادرة على خلق الصراع بين الأفراد والجماعات المختلفة.

وفيما يتعلق بالمراحل التي يمر بها الصراع فعند النظر إلى الصراع كعملية ديناميكية أو النظر إليه كسلسلة من الأحداث المتعاقبة يمكن الاعتماد على ما ذهب إليه في هذا السياق "بوندي (Pondy)" الذي قال أن الصراع يمر بالمراحل التالية:

(1) مرحلة الصراع الضمني والمتضمنة الظروف والشروط التي تغذي الصراع كالتنافس على الموارد المحدودة أو الاختلاف في أهداف الأفراد.

(2) مرحلة الصراع المدرك أو الملاحظ ويمكن من خلالها إدراك إمكانية الصراع من قبل الفرد أو الجماعة، والتي تلعب المعلومات ذات العلاقة بموضوع الاتصال دوراً هاماً في المجال الإدراكي للصراع.

(3) مرحلة الشعور بالصراع: وتعتبر هذه المرحلة متداخلة مع المرحلة السابقة وغالباً ما يصعب الفصل بينهما، فحينما يتولد القلق لدى الفرد بشأن الصراع والمدرك يصبح أمامه هدفاً مرئياً يحاول النيل منه لغرض تخفيف هذا القلق وإزالته.

(4) مرحلة الصراع العلني: وفيها يمارس الفرد أو المجموعة الصراع بشكل ظاهر يتبلور في سلوك علني، بصورة متعددة كالمجابهة والعدوان والمشاحنات

العلنية التي تُحرّمها القواعد التنظيمية والقوانين وقد يأخذ شكل اللامبالاة أو الطاعة العمياء للقواعد كنوع من العصيان.

(5) مرحلة ما بعد الصراع والمسماة أيضاً بالحرب العلنية وفيها يتم أحد الأمرين: الأول، إن الموقف الصراعي قد يدرك على أساس أنه لا يمكن حله أو إصلاحه وقد يقود ذلك إلى تحطيم الجماعة أو إهلاكها تماماً والأمر الثاني وهو الأكثر احتمالاً، فينصب في البحث عن طرق وبدائل لحل الصراع. فإن تم الصراع بأسلوب تحقيق الرضا لجميع الأطرف (التوافق) ازداد ذلك من احتمال تعاونهم الوظيفي. أما إذا حاولت السلطة التي تحكم الجماعة كتم أو خنق حالة الصراع دون حله، أو حاولت إيجاد حلول جزئية أو غير شاملة والتي هي السائدة مع الأسف، فإن التركة غير المحلولة سوف تعيد مراحل الصراع مجدداً من المرحلة الأولى إلى المرحلة التالية ومروراً بالمراحل الأخرى ويصبح حدة الصراع أشد وأعنف من خلال عرض النقاط السابقة، يتضح بأن الصراع في مراحله حسب ما جاء به (بتوندي)، ينطبق على جميع المجتمعات الإنسانية خاصة في المجالات الاجتماعية والسياسية والفكرية وهذا ما يحدث اليوم من صراعات بين الثورات الشعبية العربية والسلطة السياسية كما الحال في تونس ومصر، وليبيا، واليمن.

استراتيجيات إدارة الصراع

بداية يمكن القول بأن الاجتهادات الخاصة بكيفية إدارة الصراع التنظيمي في المنظمة ما زالت قائمة وقد تطورت بشكل واضح خلال العقود الأخيرة من

القرن الماضي وتزايد تأكيد الدراسات الميدانية في الإدارة على أن للصراع التنظيمي تأثيراً واضحاً في مستوى أداء المنظمة.

فبعد أن كانت الاستراتيجيات الأساسية لحل الصراع أو إدارته تقتصر على استخدام القوة أو السلطة أو كلتيهما معاً لقمع الصراع أو حسمه أو تسكينه أو تلطيفه أو حتى إزالته تماماً، اتجهت الاهتمامات الحالية للإدارة إلى النظر للصراع على أنه أمر لا مفر منه داخل الجماعة وأن التعارض التنظيمي مرده ظواهر تنظيمية عامة وشاملة داخل الجماعة كما أن الصراع ممكن أن يزيد من كفاءة وفاعلية المنظمة بشكل عام وليس العكس.

وفي الوقت الذي لا يمكن القول أن هناك دائماً طريقة واحدة تصلح لجميع حالات الصراع أو تقدم نتيجة واحدة في كل الحالات المتشابهة في الصراع أكد المفكرون والكتاب والمهتمون على ضرورة استخدام الطريقة أو الإستراتيجية المناسبة والتي تلائم المنظمة أو المؤسسة، أي أن ما يناسب الجماعة (س) قد لا يناسب الجماعة (ص) والتي تعمل في نفس المجال.

وتتمثل استراتيجيات إدارة الصراع بالنقاط التالية:

(1) إستراتيجية "مارج وسيمون" (Marq & Seman, 1956) وأكدا على استخدام الأسلوب العلمي في حل الصراع، والإقناع، والتفاوض، والسياسة (محاولة زيادة قوة الطرف المقابل).

(2) إستراتيجية "ليتر" (Leater, 1965) تقوم على استخدام حواجز بين الأطراف المتعارضة لمساعدتهم في التغلب على صراعاتهم الداخلية أو الخارجية عن طريق تفهم أنفسهم وكيفية تأثيرهم في الآخرين، وتعديل الهيكل التنظيمي للمنظمة.

(3) إستراتيجية (كاتز وكان) (Cans & Can, 1966) وتشمل تحسين العلاقة بين أعضاء الجماعة باستخدام المهارة في العلاقات، وإيجاد جهة إدارية مسؤولية لمعالجة الصراع وإدارته، وإعادة تصميم الهيكل التنظيمي للجماعة.

(4) إستراتيجية "هودج وانتوني" (Hodge & Antoni, 1979)، وتتلخص الإستراتيجية في استخدام القوة أو الأسلوب العلمي أو كلتيهما في حسم الصراع، وتلطيف الصراع، والتجنب أو الانسحاب من الموقف، والتوفيق بين الأطراف المتعارضة أو المجابهة.

وفيما يخص ذلك هل الصراع سلبي (ضار) أم إيجابي (مفيد)؟

قبل الإجابة على السؤال السابق لابد من إلقاء نظرة إلى تطور الصراع والنظر إليه في الفكر الاجتماعي النفسي، فالنظرية التقليدية تركز على عدم الاعتراف بالإنسان كقوة أساسية تقود العمل وتوجهه نحو الإنتاج الأكفأ وحيث ترى ادارة الجماعة بأن الصراع شيئاً غير مرغوب فيه ويجب إزالته أو تقليله إلى أدنى حد من خلال الأسس التي جاء بها كل من ماكس فيبر وهنري فايول وفريدريك تايلر وتتلخص وجهة نظر المدخل التقليدي بوجوب تجنب الصراع داخل الجماعة لأنه نوع من المرض، وهو نتيجة لمشاكل شخصية وليست تنظيمية، وينتج ردود أفعال سلبية وغير سليمة، كما أنه يجزئ إدراكات ومشاعر الأفراد وكذلك سلوكهم بدلاً من حشدها جميعاً لتحقيق أهداف الجماعة والمدخل السلوكي لم ينكر وجود الصراع، بل على العكس، ترى النظريات السلوكية أن الصراع عملية متكررة في حياة الجماعة، وهنالك دائماً خلافات بشأن تحديد أساليب العمل فيما بين الأقسام أو خلافات بين الإدارات أو الأقسام بخصوص توزيع الموارد وأسبقيات هذا التوزيع وإلى جانب ذلك أن

الأفراد العاملين بالجماعة هم أولاً وأخيراً كائنات حية معقدة تمتلك العديد من الحاجات والرغبات المتنوعة والمتعارضة فيما بينهما، هذا وظل السلوكيون ينظرون إلى الصراع على أنه شيء مؤلم ومكلف والمطلوب حله أو استبعاده متى ما تحسس بها المنظمة. (الخولي، 1976).

وتتلخص نظرة الاتجاهات السلوكية في الصراع بأن الصراع أمر لا مفر منه، وأن له أسباب متعددة يمكن التعرف عليها عن طريق دراسة الموقف ككل، وهو عنصر حيوي في عملية التغير التنظيمي للجماعة ويمكن أن يكون في صالح الأفراد والجماعة.

والملاحظ أن النظرة السلوكية لم تميز بين الصراع الوظيفي والصراع غير الوظيفي وأنواعها لذلك فقد حاول السلوكيون حل الصراع وعدم تحفيزه.

ونتيجة لفشل التقليديين والسلوكيين في تميز أهمية الصراع الوظيفي وفوائده للجماعة ظهر مدخل أو اتجاه ثالث هو الاتجاه الموقفي أو الشرطي أو بالشكَل التفاعلي، وترى أيضاً بأن الصراع ليس ضاراً بل مفيداً في حد ذاته، ولكن يمكن استبعاده من الجماعة.

فالصراع موجود وسيحدث داخل الجماعة حتى لو حاولنا استبعاده، أو لو بحثنا أحياناً إلى إيجاد حالة الصراع داخل الجماعة من أجل تحقيق الأهداف المخططة بشكل أفضل وبالأخص في إدارة الأنظمة داخل الجماعات.

وهذه النظرة الجديدة للصراع تحتوي على بعدين الأول: أنه يمكن اعتبار الكثير من حالات الصراع في الجماعة كمؤثرات أو محفزات للأفراد لإيجاد طرق وأساليب جديدة في تنفيذ الأعمال المناطة بهم وهذا السياق يؤدي إلى استخدام أحسن الوسائل لأداء العمل في المستقبل، على أنه يجب عدم استخدام هذه

الطريقة بإفراط لأنها تؤدي في النهاية إلى نشر مفهوم الربح والخسارة في السلوك الإنساني الجماعي، وما لذلك من دلالات ضمنية غير مرغوبة في الجماعة.

أما البعد الثاني فيتلخص بأن إدارة الصراع ليس بكبته أو كتمه، لأن هذه إحدى الأنشطة الأساسية المعاصرة التي يتبناها قادة المجموعات. وأن قلة أو كثرة حالات الصراع في الجماعة ذات علاقة بالأداء التنظيمي تقود إلى قلة حالات الإبداع والابتكار، ومن الجهة الأخرى إن كثرة الصراعات وطغيانها داخل الجماعة تؤدي إلى تدهور أدائها لأنها تنهك طاقة أفرادها.

أما في الحالات المعدلة (الوسطى) للصراع سنجد الفرد مدفوعاً لحل الصراعات بأسلوب لا يعرقل الأداء الاعتيادي للأعمال. ومن إستراتيجيات إدارة الصراع يمكن تصنيف إدارة الصراع تحت ثلاث مجموعات:

* المجموعة الأولى: وضع أهداف مشتركة تتفق عليها الأطراف المتصارعة حيث يعد تعارض الأهداف من المصادر الرئيسية لنشوء الصراع ولإدارتها يجب إيجاد أرضية مشتركة بين المجموعات، وإيجاد أهداف تتفق عليها أطراف الصراع وفتح قنوات الاتصال بينهم، واستخدام نظام الحوافز الفرعية لمكافأة الأنشطة التي تساهم في نجاح أهداف التنظيم الكلي وليس الأهداف الفرعية داخل هذا النظام الاجتماعي، (سليمان، **1995**).

* المجموعة الثانية: إجراء تغييرات هيكلية منها إحالة الصراع إلى مختص أو مستشار يعالج الصراع بتحديد مسؤوليات الأطراف المتصارعة، وتخفيف درجة الاعتمادية بين المجموعات وجعلها معتمدة على نفسها لأن فرص حدوث الصراع تتزايد بين المجموعات عند تزايد درجة الاعتمادية، وتبادل الموظفين حيث أن هذا التبادل من وحدة إلى أخرى يزيد

من تفهمهم ويكسبهم خبرات جديدة، وإيجاد وظائف تنسيقية بين وحدات وأجزاء الجماعة.

* المجموعة الثالثة: وتتلخص بالأسباب الإدارية والسلوكية والقانونية في إدارة الصراع كما ذكر سابقاً في إستراتيجيات إدارة الصراع.

ب- التوافق

مصطلح التوافق عكس مصطلح الصراع وتعريف التوافق هو حالة من تقارب في وجهات النظر فمثلاً ذلك في إيجاد حلول تقاربيه، وسطية، بحيث تؤدي إلى إيجاد حل تتفق مع المجموعة يخلف نوعاً من الانسجام، وهذا لا يتحقق إلا من خلال عدة عوامل:

(1) دور النظام السياسي في تحقيق الوحدة الوطنية يتم من خلال عدة وسائل أهمها:

1) الأدوات العسكرية من خلال تشكيل الجيش يسهم في تحقيق التكامل بين أفراد الشعب الواحد. من خلال طرح شعار خدمة الوطن بغض النظر عن انتماءائهم العرقية.

2) الأدوات الثقافية تتم من خلال إيجاد نظام واحد للقيم، فعلى سبيل المثال اتبعت نيجيريا سياسة في دمج أكثر من (50) ألف مجموعة سكانية (عرقية، دينية، عشائرية، إقليمية) لتعزيز ذلك تمثلت بإنشاء المتاحف التراثية لنيجيريا، فرغم أن بعض المتاحف لا يمثل سوى واحد بالمائة من التراث الثقافي للسكان، إلا أنه يساهم في إحساس الفرد النيجيري أنه ذو تاريخ موحد وعريق، وهذا له دوراً إيجابياً في تحقيق الوحدة الوطنية للمجموعة.

3) الأدوات الاقتصادية: من خلالها يتم تحقيق المساواة بين الأفراد الشعب وإيجاد حالة من الرضا بغض النظر عن الأصول السلالية، ممثلاً برفع مستوى دخل الفرد، وهذا يعطى مؤشراً هاماً، في بناء الولاء والانتماء، وخير مثال على ذلك باختلاف اليهود في جنسياتهم في اسرائيل.

4) الأدوات السياسية والإدارية: من خلال إيجاد قنوات الاتصال الحكومية والسياسية الفعالة والقادرة على إقامة الصلة بين المجموعات الثانية والدولة، وضمان تمثيل الأقليات القومية الإثنية المختلفة في تلك المؤسسات.

كما أن هناك دور القائد السياسي، بإقامة مؤسسات مركزية قوية، ومحافظة على الوحدة الوطنية في مساهمته في تطوير المجتمع، وأنظمته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وترفعه فوق الاعتبارات الطائفية، والعشائرية، والإقليمية، والعرقية، والمصلحة، مما سيكون له دوراً في إيمان الشعب به والثقافة حوله، مما يساهم في زيادة قوة التماسك، إضافة إلى أن فعالية تنفيذ مخططات وقرارها، فدوره في التنفيذ سيؤدي إلى تقوية فكرة التماسك، كما أن له دور في تجميع فئات الجماعة بغرسه لمشاعر الولاء لها والانتماء خلال تحقيق العدل بين الجميع.

كما يقع على الدولة عاتق أن تسعى لإنهاء الولاءات العصبوية من خلال تبني علاقات سياسية واجتماعية أعلى من البناء العصبوي وهذا يتحقق من خلال:

* في حالة التعبئة النفسية والاحتقان العصبوية في المجتمع.

* تفكيك بنى العصبيات التي تؤدي إلى الفُرقة.

* إعادة الشعور بالاطمئنان والثقة وبالتوازن إلى الجميع على نحو ينتهي معه

الخوف من الآخر، ويتولد فيه الشعور بأن الجماعة كيان مشترك للجميع، وبذلك تتولد كل أسباب الحماسة للمشاركة الإيجابية والفعالة في تطوير الحياة لديها على قاعدة الشعور بالاندماج الاجتماعي، فتتحول المنافسة السياسية بدلاً من حرب أهلية إلى مباراة سياسية نظيفة، يحكمها القانون الذي يرضي الجميع، بكل قواعده والتي يوافق ويجمع عليها بشكل طوعي حر، ويتحقق ذلك من خلال تصحيح قواعد السلطة في المجتمع، وانتهاج الديمقراطية، واتخاذ موقع الحياد الكامل مع جميع الفئات، وعلى هذا الأساس تستطيع أن تمارس دوراً توحيدياً وتمنع الأحزاب من استغلال العصبيات في العمل السياسي من خلال الدستور والقانون والأمن وأن تجرم من يقدم على ذلك.

(2) التمازج لإزالة العنصرية بين أفراد المجموعات:

ويكون ذلك من خلال التزاوج والتداخل بين أفراد الجماعات الإنسانية بكل مكوناته العرقية والدينية المختلفة، ورغم أن هذه العملية قد تطول لتؤتي ثمارها إلا أنها يجب أن تتم من خلال التوافق والتراضي، وأن يسبقها عملية استيعاب لهذه الأقليات العرقية، بهدف الوصول تدريجياً إلى امتصاص وهضم هذه العناصر الحضارية والثقافية وتياراتها الاجتماعية المغايرة للأغلبية أو للعناصر الأصلية، في بوتقة واحدة، كالولايات المتحدة، واستراليا، ونيوزلندا، الذين استطاعوا صهر جميع العناصر الوافدة في بوتقة واحدة.

(3) التوافق الديني والطائفي والعرقي بين أفراد الجماعات:

الانتماء لطائفة أو لدين معين يولد نوعاً من الشعور بالوحدة بين الأفراد الذين ينتمون إليه، ويثير في نفوسهم بعض العواطف والنزاعات الخاصة التي

يكون لها تأثير كبير على أفكارهم وأعمالهم، فالدين كان له الدور الأكبر في ترسيخ مفاهيم روحية وأخلاقية، وتقبل ثقافة الآخر، بالرغم من أن بعض التيارات الدينية التي تنادى برفض الآخر، فالدين أسمى من ذلك الطرح.

كما أنه أيضاً يسهم انتماء أفراد الشعب لعرق واحد في شعور الأفراد بالوحدة فيما بينهم، بسبب سماتهم البيولوجية أو اللغوية أو الدينية أو العادات؛ فيشعر الجميع أنهم ينتمون إلى هوية مشتركة مختلفة عن الآخرين، وهذا ينمي روح الوطنية عندهم، فانتماء الدويلات الألمانية قبل الوحدة الألمانية لعرق واحدة هو العرق الآري قد ساهم في وحدة ألمانيا.

(4) دور التعليم والثقافة والتربية في توحيد الجماعات:

للتعليم والثقافة والتربية دور في تحقيق الوحدة الوطنية من خلال التعريف بتاريخ البلاد والأمم، ودراسة النظام السياسي، والشعوب والدول، وتعريف الأفراد بحقوق وطنهم وحقوقهم، وهو ما يمكن أن يحدث نوعاً من الوعي لدى أفراد الشعب، بأنهم ينتمون لدولة واحدة، تتخطى الجماعات الصغيرة، كالعائلة أو القبيلة أو القرية، ووسيلة ذلك هي المدرسة التي تساعد على إحساس مشترك بالوحدة الوطنية، وأن يحل الولاء للدولة محل الولاء للقومية. فالمدرسة تغرس في نفوس طلابها روح الحوار والمناقشة في كل ما يكون عليه خلافاً في الرأي، وهذا سيعودهم على المناقشة لأمورهم الهامة، وهذا بدوره سيؤدي إلى سيطرة الإحساس بالتسامح إزاء الآخرين المخالفين لهم، خاصة إذا عملت المدرسة على إسقاط كل ما من شأنه أن يزيد الحساسيات بين فئات المجتمع، في مناهجها المدرسية، حتى وإن كانت تلك الأحداث صحيحة، وحقيقة تاريخية، لأن القلوب لا تنافق إذا اعتادت الوئام منذ الصغر.

كما أن الثقافة الواحدة بما تشمله من أدب وفن وتربية؛ تعبر عن الجانب المادي والروحي في المجتمع، على اعتبار أن الحياة الاقتصادية، والاجتماعية للأفراد تتأثر بمعتقداتهم الجماعية وأسلوبهم ووسيلتهم في تنظيم سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم وفنونهم، كما يكون تناقل الثقافة من جيل لآخر، وتأثر الأجيال بها من خلال اكتساب الفرد للخصائص الثقافية لجماعة أخرى، بالاتصال والتفاعل، وهذا سيجعلها مصدر قوة دافعة لإحداث التماسك والترابط داخل الجماعة، وقياداتها الذين يتصرفون وفق ثقافتهم الخاصة، كما تؤثر الثقافة في سلوك الفرد وقيمة السياسية، ولها دور في تحقيق التناسق والانسجام في أداء مختلف المؤسسات والتنظيمات المشرفة على النظام السياسي، وعلى إستراتيجيته في تحقيق الوحدة الوطنية.

(5) دور اللغة والأعراف والعادات والتقاليد

للغة دور مهم لتحقيق الوحدة الوطنية بين أفراد الشعب، لأنها تقاربهم في الفكر وتجعلهم يتماثلون ويتعاطفون أكثر من سواهم ممن يتكلم لغات أخرى وتصبح هذه اللغة سمة مميزة لهم من خلال جعلهم متماثلي التفكير والشعور بالانتماء داخل جماعة واحدة؛ لأن اللغة هي واسطة التفاهم، ووسيلة التفكير ونقل الأفكار والمكتسبات من السلف إلى الخلف، وهي العامل الأول في تنمية وتقوية الروابط العاطفية والفكرية بين الفرد والجماعة، فهي تزيد مجالات النشاط الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وبذلك تساهم في فعالية الوحدة الوطنية.

كما أن توافق عادات أفراد المجتمع سيحدث التجانس في تصرفاتهم ويقوي الروابط بينهم، إضافة إلى أن الأعراف التي يشترك فيها أبناء الشعب، من أفكار وآراء ومعتقدات نشأت عبر تاريخهم المشترك، وهذا ما ينعكس على

أعمالهم وسلوكهم، ويخضع الأفراد لها في فكرهم وعقائدهم، فهي تمثل دستور لهم له قوة التوحيد عندهم، لكنه دستور غير مكتوب، إلا أنه يساهم في تمسكهم به، وبالتالي سيساعد على تحقيق الوحدة الوطنية في المجتمع، أيضاً التقاليد بما تمثله من مجموعة من قواعد السلوك الخاصة، عندما يشترك فيها أفراد المجتمع، فإنها تساعد على حل الصراعات والنزاعات فيه، وهذا يؤدي إلى زيادة قوة الوحدة الوطنية أيضاً.

(6) دور التاريخ المشترك والأقاليم المشتركة

يستمد أفراد الشعب من خلال التاريخ، مختلف التجارب التي تكون ذاكرتهم وأحاسيسهم من ذكرياته وأحداثه فالذكريات التاريخية، واستعادتها تساعد على تقريب النفوس، وتوحيد الصفوف لمواجهة المصير المشترك في المستقبل، ولاسيما في مقاومة العدوان على أرض الوطن، ذلك العدوان الموجه ضد الشعب بمقدساته القومية التي تربط بين الشعب وأجداده، وهذا ما فعله كل من بسمارك وغاليباردي، عندما وحدا ألمانيا وإيطاليا.

كما أن وجود الشعب في إقليم واحد وعدم اتساع رقعة البلاد، وقصر المسافة بين الأقاليم التابعة للعاصمة التي فيها السلطة المركزية، يحول دون انفصال أجزاء الدولة، ويمنع أفراد الأقاليم من التفكير في الانفصال، كما أن هذا القرب سيؤدي إلى بروز جماعة من الشعب الواحد التي تتماثل في العادات والطباع بين المواطنين؛ بسبب عدم وجود عوائق وفواصل طبيعية، وسيزيد من الاتصال والاندماج والمصالح المشتركة.

(7) دور وسائل الاتصال الجماهيري

إن وسائل الاتصال الجماهيري من محطات فضائية وصحف وسينما ومسرح وشبكة معلومات، لها دور كبير في تخفيف حدة الصراعات والتناقضات الداخلية، ولها دور أساسي في تقوية الشعور بالولاء والانتماء للدولة ككل، فهي تعمل على إقناع فئات الدولة المتمايزة، بأن الوطن فوق الاعتبارات العرقية والطائفية، ولا يوجد أي تعارض فيه ضد مصالحها، وتبرز كل ما هو مشترك بينها من لغة وتاريخ، وإقليم ومصالح، مما يزيد الثقة داخل المجتمع، وينتهي روح التعاون بينهم، ويكون ذلك من خلال النخبة المثقفة داخل المجتمع.

كما أن لهذا الجهاز دور كبير في تزويد الشعب بآراء القيادات السياسية في الدولة، وتعظيم تصرفاتها إلى حد قبول الشعب بها، وهذا يجعلهم يقبلون بتلك القرارات، كما يوضح حدود الاختلاف بين الشؤون العامة والشؤون الخاصة، ويزود القيادة السياسية، برغبات وتطلعات أفراد الشعب، إزاء العمليات السياسية، وعلى هذا الأساس يكون له دور أساسي في تضييق الهوة بين النخبة والجماهير، وله مهامة في عملية التنشئة الاجتماعية والتأثير على اتجاهات ومشاعر الشعب، وتنمية إدراكهم لدولتهم، وزيادة محبتهم بوطنهم، ومواجهة الدعاية الخارجية الضارة بالوطن.

(8) دور المصالح الاقتصادية والأيديولوجية والسياسية بين أفراد المجتمع

إن وجود المصالح الاقتصادية المشتركة بين أفراد الشعب سيعزز ترابطهم ويزيد من قوة وحدتهم الوطنية، كما أن وجود تنمية اقتصادية في الدولة سيسهم

في تمسك الأفراد نظامهم السياسي، فاتفاقية (الزلفرين)(*) بين الدويلات الألمانية هي التي وحدت الاتحادات الجمركية بينهم، وساهمت في تحقيق الوحدة الألمانية عام (1870)، ومثال آخر أن التنمية الاقتصادية في جورجيا أدى ايجاد علاقات اقتصادية بين الجورجيين والأبخاز، ضمن الدولة الجورجية بعد استقلالها عن الاتحاد السوفيتي. (بسيوني، **1997**)

كما أن ارتباط أفراد الشعب بأيديولوجية واحدة، أو بأيديولوجيات متقاربة، يحقق أيديولوجيات المصالح بين أعضائها، ويؤدي ذلك إلى سياسات مشتركة تهتم بقضايا مشتركة، تهتم بالوطن، وتساعده على تنميته اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، مما يسهم في تحقيق الوحدة الوطنية.

(*) الزلفرين: اتفاقية اقتصادية عقدت بين الدويلات الألمانية في مجال التعاون الاقتصادي والجماركي، حيث حققت الوحدة الألمانية عام 1870 (ارجع كتاب عبد الغني بسيوني).

الخاتمة

إن الاتجاه الغالب الآن فيما يتعلق بدراسة البناء الاجتماعي وتقسيم المجتمع إلى عدد من البناءات أو الأنساق الثانوية الداخلة في تكوينه، وبذلك يمكن أن نتكلم عن النسق العائلي، أو النسق الاقتصادي أو النسق الديني أو النسق السياسي في هذا البناء الكلي.

ومهما يكن من شيء فإن مفهوم البناء الاجتماعي يتضمن وجود مبدأين أساسيين متكاملين:

الأول: هو مبدأ الاستمرار في الزمن ويصدق ذلك على الجماعات أو على العلاقات الاجتماعية التي تؤلف البناء الاجتماعي، فالجماعات الكبيرة التي تحتفظ لعدة أجيال بكيانها وبهيكلها العام ونظام تقسيماتها الداخلية ونمط علاقتها بعضها البعض، تعتبر وحدات بنائية في نظر كل علماء الاجتماع والانثروبولوجيا بدون استثناء وذلك بعكس الزمر الاجتماعية المؤقتة أو السريعة الزوال التي اتفق معظم علماء الاجتماع على إخراجها من البناء الاجتماعي وبالمثل تعتبر العلاقات الدائمة التي تقوم بين هذه الجماعات علاقات بنائية وتعبر عن مواقف بنائية بعكس العلاقات التي تقوم بين الأفراد والتي يمكن وصفها بأنها علاقات اجتماعية فحسب، ومع أن (راد كليف براون) يعتبر العلاقات الثنائية جزءاً في البناء الاجتماعي ومما لا شك فيه هو أنه لم يكن يقصد بذلك العلاقات العرضية، وإنما كان يقصد على الخصوص العلاقات الأساسية التي تقوم بين الأب والابن، وهي علاقة تمثل في حقيقة أمرها أنماطاً أساسية لا يمكن إغفالها في دراسة البناء الاجتماعي، فالعلاقة

الأولى تمثل نمط العلاقة بين الجنسين والعلاقة الثانية تمثل نمط العلاقة بين الجيلين المتتاليين وهكذا فإن دراسة العلاقات الثنائية التي تندرج تحت اصطلاح البناء الواقعي تعتبر الأساس الذي تقوم عليه دراسة الأنماط السلوكية العامة المجردة التي نعتبرها الصورة أو الأساس الذي يقوم على الفهم الذي يمكننا من التعرف على البناء الاجتماعي.

والمبدأ الثاني: هو أن العلاقات الثابتة المستمرة التي تقوم بالضرورة بين الجماعات المتماسكة التي ينقسم إليها المجتمع تتخذ شكل أنساق ونظم تلعب دوراً هاماً في الحياة الاجتماعية، أو بمعنى آخر تؤدي وظيفة اجتماعية معينة كما هو الشأن في علاقات القرابة والعلاقات الاقتصادية وهذا معناه أن الدراسات البنائية لا يمكن أن تقف عند حد الاهتمام بالظواهر الاجتماعية من حيث هي كذلك، وإنما لابد لها من أن تدرس النظم والأنساق التي تتألف بدورها من ظواهر وعلاقات مشخصة ملموسة.

في نهاية هذه الوحدة نصل إلى النقاط التالية:

* دينامية الجماعة هي مجموعة من الاستجابات وارتباطها بالمثيرات من وجهة نظر نفسيته وبالذات من وجهة النظرية السلوكية، تحدث داخل الجماعة في المواقف المختلفة، عن طريق التفاعل الاجتماعي الذي يؤثر في سلوك الفرد والجماعة.

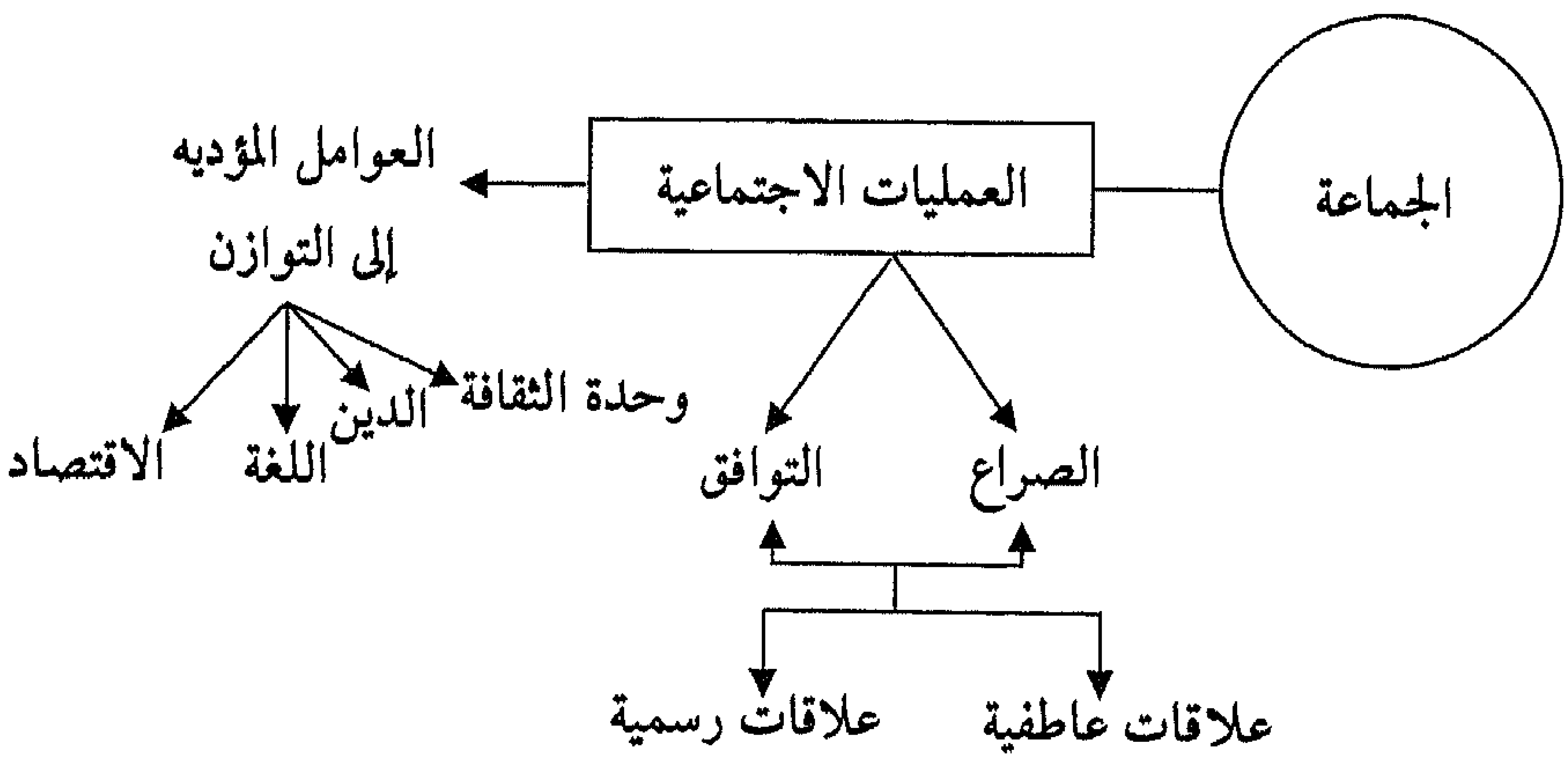
* من أهم خصائصها أنها تهتم بالافراد ككل بشكل، دينامي وتهتم بالجماعات الصغيرة التي يتفاعل أفرادها وجهاً لوجه.

* أهم مظاهر التفاعل الاجتماعي، العلاقات الإنسانية (علاقات مباشرة وغير مباشرة) بحيث تؤدي إلى التغير الاجتماعي.

* تتأثر دينامية الجماعة بعوامل منها: شخصية الفرد وثقافته وظروفه الاجتماعية والأسرية وخبراته السابقة، والتنافس على القيادة الذي قد يؤدي إلى الصراع داخل الجماعة.

* تحدد الجماعة معايير لتوحيد سلوك أعضائها وفرض سلطتها عليهم ومنها: جاذبية الجماعة وتأثير غالبية الجماعة، ومعاملة المنحرفين وفقاً لمعايير الجماعة بالتوجيه والإرشاد، أو والضغط أو الطرد من المجموعة.

وتوضحاً لذلك يمكن أن نعرض الشكل التالي:



الوحدة الثالثة

أنواع الجماعات

الوحدة الثالثة

أنواع الجماعات

- مقدمة.
- أنواع الجماعات.
- الجماعات الأولية.
- الجماعات الثانوية.
- صفات الجماعات الثانوية.
- ظهور الجماعات الأولية في البناء الرسمي.
- الجماعات من حيث تشكيلها.
- الجماعة الصدفيّة المؤقتة.
- الجماعة الموقفية.
- الجماعات من حيث استمراريتها.
- أمثلة تطبيقية.
- خاتمة.

الوحدة الثالثة

أنواع الجماعات

مقدمة

تتكون الجماعة من مجموعة من الأفراد الذين يلتقون مع بعضهم البعض، بهدف تحقيق هدف معين، سواء أكان دائماً أم مؤقتاً وتربطهم علاقة سواء كانت أساسية أو ثانوية لتحقيق مصلحة معينة.

والجماعات موجودة في كل مكان بالعالم، ويتألف المجتمع الإنساني من عدد كبير منها، وتختلف هذه الجماعات فيما بينها من حيث أشكالها وطرق تنظيمها ووظائفها التي تقوم بها. فمن الجماعات ما هو صغير الحجم ومنها ما يكون كبير الحجم، ومنها ما يؤدي وظيفة واحدة كالوظيفة البيولوجية أو النفسية أو الاقتصادية أو الجماعية. ومنها ما يؤدي وظائف متعددة.

وتختلف نظرتنا إلى الجماعة باختلاف أنواعها، ولكن الهدف هو معرفة أنواع العلاقات الدينامية بين أفرادها وتحقيقا لذلك نستعرض في هذه الوحدة أهم أنواع الجماعات المختلفة وخصائصها بكافة أشكالها كالجماعات الأولية/ الثانوية من حيث نشأتها وتعريفها وأمثلة مختلفة عنها. وخير مثال على ذلك ما جاءت به دراسة كورت لوين (Kurd Lewin, 1947) التي أكدت بأن الجماعة هي مجال قوى في تحقيق وضعية التوازن. وتنشأ دينامياتها نتيجة لتجاذب القوى وتنافرها ولهذا تتصف الجماعات بعدة خصائص:

(1) تشكلت هذه الجماعة على مدى الأزمنة والعصور.

(2) تمتاز بجملة من القواعد والضوابط داخلها.

(3) لها أهداف جماعية مشتركة بين أعضائها (مهام، حل مشكلة، دفاع عن مصلحة مشتركة...).

(4) تتصف بانفعالات ومشاعر ذات طابع جماعي. وفي هذا الجانب يولي الباحث الفرنسي ديديي أنزيو (D. Anzieu) أهمية بالغة للطاقات الكامنة لدى الجماعة التي لا يستثمر منها سوى جزء يسير، إلا إذا وفر لها الجو المناسب وروعيت في الوقت نفسه متطلبات الجماعة والفرد.

(5) نشوء بنية (أو هيكلة) غير رسمية داخل الجماعة. ويفيد الاختبار السوسيومتري- الذي يعود فضل صياغته إلى الباحث مورينو (Moreno, 1994) في الكشف عن هذه البنية الوجدانية الداخلية الخفية التي تحدد سلوكيات الأفراد داخل الجماعة، عن طريق أسئلة تراعى في صياغتها أنشطة وأهداف وقيم الجماعة ومعيشتها اليومية ويطلب من أعضاء الجماعة الإجابة عنها بتلقائية وعفوية، ويمكن إجمالها على النحو التالي:

* مع من تزيد الاشتراك في هذا النشاط؟
* من تعتقد أنه اختارك للاشتراك معه في هذا النشاط؟
* من لا ترغب في أن يشترك معك في هذا النشاط؟
* من تعتقد أنه لا يرغب في أن تشترك معه في هذا النشاط؟

ومن شأن الإجابات على هذه الأسئلة، إظهار توزيع التعاطف والنفور وسط الجماعة، ومن ثم الزعامات والمعزولين والمهمشين والجماعات الفرعية والثنائيات ودرجة تماسكتها. ويستعان في ذلك بالمقايس السوسيومترية.

(6) وجود لاوعي جمعي داخل الجماعة. ويصف الباحث البريطاني بيون

(Bion, 1979) ثلاث مسلمات قاعدية تخضع لها الجماعة على التوالي، وتكون بشكل لا شعوري:

* التبعية لزعيم بدونه تشعر هذه الجماعة بالهجر والإحباط.

* النضال- الهروب: إذا رفض الزعيم قبول الدور المنوط به، تتحد الجماعة إما من أجل النضال وإما من أجل الهروب. ومثلاً هذا الموقف علاقات التضامن داخلها، لاسيما في مواجهة العدو مشترك.

* نشوء الثنائيات: أحياناً يؤدي موقف النضال- الهروب إلى نشوء مجموعات فرعية وثنائيات.

(7) إقامة توازن داخلي ونظام من العلاقات المستقرة مع المحيط ومن خلاله تتشكل الجماعات وتنمو وتنضج وتموت. وقبل أن تبلغ مستوى النضج قد تعترضها عوائق يشخصها بيون (Bion) كما يلي:

أ. عدم الاتفاق على الأهداف. (وهذا يؤدي إلى عدم الوضوح، وتشتت العمل الجماعي).

ب. عدم الاتفاق على الموارد والوسائل. (وهذا بحد ذاته يربك العمل الجماعي وتشتت القرارات).

ت. غياب سيرورة مقنعة لاتخاذ القرار. (يتمثل ذلك في الفجوة بين النظرية والتطبيق).

ث. غياب دور واضح ومقبول للقيادة. (لا يوجد تفضيل للقيادة وليس لها دور في اتخاذ القرارات المصيرية للجماعة).

ج. التواصل الناقص بين أفراد الجماعة (يؤدي ذلك إلى الفوضى والإرباك بين الأفراد خاصة في تشكيل الجماعة).

د. من خلال عرض النقاط السابقة يجب الإشارة بأن تلك النقاط تقف عائقاً في تشكيل الجماعة. وتُحِّد من تفاعلها إذا وجدت، ولا تصلها إلى مرحلة النضج.

ن. وفقاً للظروف طبيعية والتي تعتبر الجماعات الأولية الجماعات الأولى والتي تسود جميع المجتمعات الإنسانية حيث يمكن ذكر خصائصها وهي على النحو التالي.

1) تعد الجماعات الأولية من أساسيات تشكيل المجتمعات الإنسانية.

2) تستمر فترة طويلة وقد لا تنتهي.

3) تسود فيها روابط اجتماعية قوية ومتماسكة.

أنواع الجماعات

أما من حيث أنواع الجماعات بْشكل عام يمكن تسميتها على النحو التالي:

أولاً: الجماعة الأولية:

تشير الدراسات في مجال ديناميكية الجماعات كدراسة بيون (Bion) بأن الجماعات تتشكل وتتكون من عدة أنواع أو أصنفاف وهي:

(1) الجماعات الأولية الطبيعية: (الأسرة، زمرة الأصدقاء).

(2) الجماعات الأولية المصطنعة: (المخيم صيفي، والجماعة التجريبية).

(3) الجماعات الأولية الدائمة: (عصابة، جماعة القسم).

(4) الجماعات الأولية العرضية: (اجتماع لجنة، جماعة مناقشة).

ثانياً: الجماعة الثانوية

تأتي بالمرتبة الثانية بعد الجماعات الأساسية حيث، تتحدد العلاقات

الاجتماعية بين أفراد المجتمع بالعلاقات الرسمية، وتعرف الجماعة الثانوية: بأنها مجموعة الأفراد الذين يكون بينهم علاقات تعاقدية لتحقيق هدف معيّن ومحدّد، وهي تعتبر علاقات شكلية ووظيفية لإدراة مشروع، أو حزب، جمعية، وتمتاز بأنها جماعات كبيرة يطلق عليها اسم المنظمات الاجتماعية، كالجيش والجامعات والمصانع... الخ.

والجماعات الثانوية حسب اعتقاد كولي (Koli) هي أصناف من الناس يتقيّدون بنظام أخلاقي معين، أو صفات سلوكية وأخلاقية تحدد طبيعة تفاعلهم وعلاقاتهم الواحد بالآخر. لكن العلاقات الاجتماعية في الجماعة الثانوية هي علاقات رسمية تعتمد على التعاقد أكثر مما تعتمد على العواطف والانفعالات السيكولوجية.

وحسب رأي المؤلف أن الجماعات الثانوية تحدد علاقاتها الأنظمة والتعليمات والقوانين لا علاقات العواطف والمشاعر كما هو الحال في الجماعات الأساسية.

صفات الجماعة الثانوية

من خلال ما تم عرضه ممثلاً بتعريف الجماعة الثانوية، يمكن أن نحدد أهم صفاتها ممثلة في النقاط الآتية:

1. تسير وفق قواعد قانونية، اقتصادية أو سياسية كالمستشفيات والمدارس والأحزاب، السياسة والاجتماعية.
2. تتسم العلاقات بين أعضائها بالبرودة والطابع الرسمي غير الشخصي.
3. علاقات أفرادها تتصف بالعقلانية ومحكومة بقوانين.
4. تتغلب فيها التواصلات المكتوبة على الحوار المباشر.

كما أن الجماعات الثانوية، تشكل في المجتمعات ركيزة هامة قائمة على تشكيل تجمعات تخصص بالسياسة والاقتصاد والعمل الاجتماعي، وكل ذلك يؤدي إلى التشكيل البناء المؤسسي الرسمي الذي يشكل الإطار العام للمجتمع، كما تبرز العلاقات الرسمية التي تنظم شؤون أفرادها في الجماعات والمؤسسات التي تنظم حياتهم اليومية وتجعلهم قادرين على التوافق والانسجام ضمن الجماعات التي ينتمون إليها وقد يكون هناك مجالٌ لتداخل بين الجماعات الأولية والثانوية والموضوع الآتي يوضح ذلك.

ظهور الجماعات الأولية في البناء الرسمي

الإنسان بطبيعته بحاجة إلى العلاقات الأولية، حتى في حالة أدائه لدور أو أكثر في الجماعات الرسمية، كما قد تستدعي مصلحة البعض تشكيل مثل هذه الجماعات حفاظاً على ما يرى الأعضاء مصلحة لهم، ولا يخلو أي تنظيم رسمي من تشكيل جماعات أولية بداخله، قد تظهر لكسر الروتين الرسمي، والتي قد تصبح تكتلات قوية تختلف باختلاف علاقتها بهذه الجماعات التي تتشكل داخل البناء الرسمي بالمستوى الرسمي من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى، فالأغلب أن يؤدي ظهورها إلى تهديد فعالية المؤسسة الرسمية في البلدان النامية، أما البلدان المتقدمة كاليابان على سبيل المثال الذين وظفوا مفهوم الجماعات الأولية في تعزيز الانتماء للجماعات الرسمية وتبني هويتها، في حين نجح الغربيون بفصل العلاقات الشخصية عن الرسمية فأصبح النظام الرسمي وقواعده قائم على أساس النشاطات والعلاقات داخل المؤسسة. وهذا بدوره شكل منظومة من العلاقات الاجتماعية القائمة على الموضوعية والاحترام وبعيدة كل البعد عن الخصوصية والشخصيه.

الجماعات من حيث تشكيلها:

من خلال العرض السابق الذي ورد في العناوين، لابد من تصنيف الجماعات من حيث تشكيلها مرتبطاً بهدفها ويمكن اجمال ذلك على النحو التالي:

أولاً: الجماعة الهدفية أو (القصدية):

هي جمع من الأفراد يكون في تجمعهم لتحقق هدف وقصد وفائدة تعود عليهم، أي أن العامل الأساسي لقيام الجماعة هو إشباع حاجة أعضائها، فالتاجر ينضم لعضوية الغرفة التجارية والتي تدافع عنه وتحقق له بعض رغباته، وينضم المدرس لنقابة المعلمين لأنها تعبر عن مطالبة وتسعى للمحافظة على حقوقه.

ملخص القول أن هذه الجماعات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتحقيق غاية وأهداف أعضائها.

ثانياً: الجماعة الصدفية المؤقتة:

من خلال ما تم عرضه عن الجماعات ألهدفية أو القصدية يأتي نوعاً آخر من الجماعات ممثلة بالجماعة الصدفية المؤقتة المرتبطة بعامل الوقت أو الزمن. حيث تتسم علاقاتها بالصدفة أي لها وقت غير محدد، بحيث تبدأ وتنتهي مع الحدث الذي يحقق هذه العلاقة، ومن أمثلة هذه العلاقة التحية العابرة في الطريق أو العلاقة بين البائع والمشتري، فعند الذهاب إلى السوق مثلاً فإن الجماعة التي تنشأ تكون من أجل هدف ما، جاء بالصدفة والعلاقة بين أفراد الجماعة ومؤقتة تنتهي عند انتهاء الهدف المنشود.

سمات الجماعة الصدفية المؤقتة

من خلال ما تم عرضه عن هذا النوع من الجماعات فإنها تمتاز بسمات معينة وهي على النحو الآتي:

(1) تتسم بسلوك غير منظم.

(2) تكون لوقت محدد، وقصير نسبياً.

(3) غير مقصودة بل تأتي من ينبوع الصدفة.

(4) تتصف بالمشاركة الوقتية في الانفعال أو الاهتمام أو لهدفٍ عام.

الجماعة الموقفية:

هذا النوع من الجماعات ترتبط بتجمع أفرادها استناداً إلى حدث أو موقف ما، حيث تعرف بأنها مجموعة من الناس يتواجدون في مكانٍ محدد وفي وقت محدد ويستجيبون معاً لمسألة تهمهم، ويشاركون في رد الفعل واحد وخيرُ مثال على ذلك عند مرور أشخاص بجانب تظاهرة وقيامهم بالاشتراك بها فإن هذا يصنفها على أنها جماعة موقفية أي نشأت نتيجة موقف ما.

الجماعات من حيث استمراريتها:

تربط جماعات الاستمرارية ارتباطاً وثيقاً في مدى علاقات أفرادها من ناحية والوقت الدائم المستمر من ناحية أخرى، فهي تدوم طويلاً، ويكون أثرها قوي عميق على أفرادها وفيها يكتسب الفرد قيمه واتجاهاته في خلالها.

خصائصها:

(1) يكون لدى أفرادها مشاعر قوية ممثلة بالولاء لتجمعاتها الدائمة، وخير مثال على ذلك الأسرة والقبيلة والمدينة والأمة، وكذلك الصفوة العسكرية

التي تركز على الولاء والتمسك بالقيم الوطنية والمحافظة عليها باعتبارها قيم الأساسية.

(2) وفي ظلها يحدث الثبات للمجتمع أي تسود نزعة المحافظة.

(3) تدوم لفترة طويلة وتلازم الفرد مدى الحياة.

أمثلة تطبيقية

من خلال عرض ما سبق يمكننا أن نطرح مثالين على كل من الجماعة الأولية، والجماعة المؤقتة، الأول الشخص الذي ينتمي للأسرة يكتسب كافة مبادئها ويستحوذ أفكارها، وتتكون لديه روح الولاء لها، لا يتركها حتى وإن تعارضت مبادئها مع بعض أهدافه، يكون وانتمائه دائماً لها ومنقطع النظير مدى الحياة ويعتري ذلك الحفاظ عليها وعدم السماح لأي شخص بالمساس بها، وهذا الولاء يكون سائداً في الأسر الشرقية.

أما الثاني يكون الفرد في الجماعات المؤقتة مؤمناً في مصحلتة ولا يستمر عند تضارب مصالحه معها، أو بانتهاء مدتها، ينتهي هدفه ويّمكن أن نعزز ذلك بثلاث نقاط مع أمثلة عليها:

(1) يمتاز تأثير هذه الجماعة بأنه ضعيف على الأفراد كمثل الذين يذهبون إلى للاستماع لما يقوله الشيخ في عند تشيع الجنازة في حينها فكل من هناك يتأثر بما يدور ولكن عند وصولهم البيت لا يمكث شيء مما قد حدث أثناء الجنازة في نفس الفرد.

(2) أهدافها قريبة المدى فعند التجمهر في مسيرة يكون الهدف منها هو إطلاق العنان إلى المشاعر بالخروج، قد تكون مشاعر غضب أو حزن وما أن تنتهي المسيرة ينتهي الهدف من تلك الجماعة.

(3) بقاؤها قصير فمثلاً عند تجمهر الناس في مزاد علني فإنه في حال انتهاء المزاد العلني تنتهي تلك الجماعة.

الخاتمة

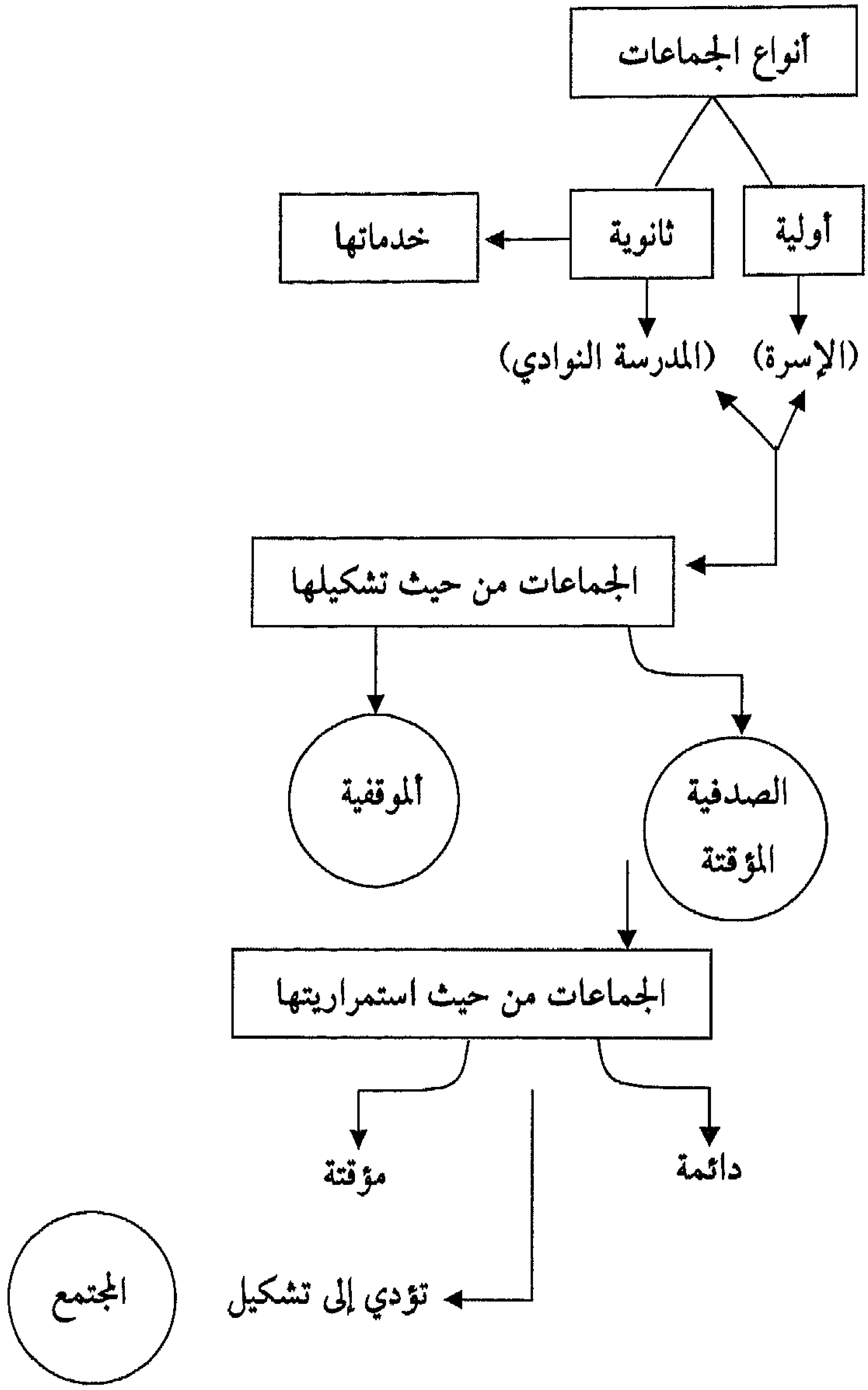
تناولت الوحدة السابقة الجماعات التي تعد التشكيل العرقي الإثنى للمجتمعات الإنسانية، كما عرفتها وحَدّدت أنواعها، وخصائصها، وذكرت أمثلة تطبيقية عليها.

فهذه الوحدة لم تقتصر على المعرفة المُجّردة فحسب، بل جاءت في حقيقتها تركز على واقع الجماعات، الذي يوضح لنا الواقع الذي يمثل حياتنا التي ننتمي إليها بعفوية، دون أن نعرف كيف نتعامل معها، لذا فإن التعرف على أنواعها يعد المحور الرئيسي، الذي يمكننا من فهم المجتمع بأركانه ومقوماته.

ولا يسعني إلا أن أذكر بهذا الصدد بعض الجمل الأدبية تختص التي تتعلق في هذا المجال، تناثرت عيون البشر بين سحابات الجماعات التي تداولتها بفنٍ وبقليل من الكلمات والمفردات.

رسمت على جبين البحر أنواعها، وفسرت مياهها، ووصفت ملامحها، رسماتها في دقة متناهية لكي تفسر الواقع الذي تنتمي إليه، وها أنا أقدم لكم فكرة رواد ديناميكية الجماعة في أنواعها، وقد تنامت ضلوع أيامنا في القدرة على التعبير والتفرقة بين أنواعها، فمن خلال هذه الوحده أرجو أن أكون قد توصلت إلى ما اشارة إلية من قدرة على استدراك الحاضر، ومع من نتعامل في حياتنا اليومية، في نطاق ذلك التنوع في الجماعات.

في ضوء ما سبق يمكن أن أقدم مخططاً عاماً لأهم ما ورد فيها.



أنواع الجماعات
أولية
ثانوية
خدماتها
(الإسرة)
(المدرسة النوادي)
الجماعات من حيث تشكيلها
الصدفية المؤقتة
الموقفية
الجماعات من حيث استمراريتها
دائمة
مؤقتة
تؤدي إلى تشكيل
المجتمع

الوحدة الرابعة

التضامن والتكافل داخل الجماعات

الوحدة الرابعة

التضامن والتكافل داخل الجماعات

- مقدمة.
- مفهوم التضامن الاجتماعي.
- أنواعه.
  أ- التعاون.
  ب- التوافق الاجتماعي.
- الأشكال السلوكية لتوافق الاجتماعي.
  أولاً: الاستسلام.
  ثانياً: التقريب في وجهات النظر.
  ثالثاً: التسامح الاجتماعي.
  رابعاً: الواسطة الاجتماعية.
  خامساً: التبرير الاجتماعي.
  سادساً: التهدئة الاجتماعية
- أنماط الاتصال بين الأفراد والجماعات.
  أولاً: المشاركة الاجتماعية.
  ثانياً: التوحد الاجتماعي.
- خاتمة.

الوحدة الرابعة

التضامن والتكافل داخل الجماعات

مقدمة:

التضامن والتكافل مصطلحان أو وجهان لعمله واحدة تختص بهما الجماعات، وتباشر عملها من خلالهما، ولا يستطيع أي فرد أن ينعزل عن الآخرين، حيث تكمن قدرته على التواصل مع الآخرين بوسائل مختلفة كاللغة والإشارات والدلالات، المستمدة من ثقافته الاجتماعية، التي تبرز هويته وتجعله يحمل صفات الجماعة وخصائصها، فالجماعة بالنسبة له تعد صمام الأمان والطمأنينة التي من خلالها يسد حاجاته بكافة أنواعها، فالعلاقة بينه وبين جماعته علاقة جدلية، لا يستطيع كلاهما الاستغناء عن الآخر، فلا الجماعة بدون أفراد، والأفراد بدون جماعات، فكل وحداً منهما يكمل الآخر لذا سنتناول في هذه الوحدة عدة موضوعات كمفهوم التضامن الاجتماعي، وأنواعه كالتعاون والتوافق الاجتماعي وأشكاله، كالاستلام، التقريب، والتسامح والوساطة، والتبرير الاجتماعي، والهدنة الاجتماعية وأنماط الاتصال بين الأفراد في الجماعات ممثلة بالمشاركة الاجتماعية، والتوحد الاجتماعي، ومن ثم خاتمة تلخص ما جاء في هذه الوحدة.

مفهوم التضامن الاجتماعي

قبل البدء بالجدل في هذا المفهوم الاجتماعي، لابد لنا التأكيد بأن التضامن الاجتماعي يعد من أساسيات التفاعل الاجتماعي بين أفراد الجماعة، وهو يعني

الاندماج في مجتمع ما، أو بين مجموعة من الأشخاص وجيرانهم ودرجة الاندماج تشير إلى الروابط الاجتماعية القوية في المجتمع التي تصل بين شخص وآخر. وجماعة وأخرى.

وأهم ما يميز الإنسان لدى اتصاله بإنسان آخر، حدوث تفاعل معين يقوم على أساس علاقات اجتماعية متينة مختلفة، ويتخذ التفاعل عادة عدداً من الأشكال المختلفة، كالتفاهم والانسجام والولاء والانتماء وهو سلوك مرغوب فيه، إن هذه الأشكال الاجتماعية تعني خضوع الفرد للجماعة بكل ما يخصها من معايير وقيم وما يهمنا من كل هذا بأن التفاعل يعد صفة أولية من صفات المجتمع. فالإنسان ما دام يجتمع بإنسان آخر فلا بد أن ننتظر من هذا الاجتماع حدوث تفاعل اجتماعي معين وقيام علاقات اجتماعية تنشأ عنها عمليات اجتماعية بين الأفراد نتيجة لحدوثه.

وتختلف العمليات الاجتماعية باختلاف طبيعتها ومظهرها فمنها يؤدي إلى التنافر والتفكك كالمنافسة والصراع، والعمليات الأخرى التي تؤدي إلى تقسيم المجتمع إلى طبقات، ومنها ما يؤدي إلى التجاذب والترابط كعمليات التعاون والتوافق والتمثيل.

أنواعه

في ضوء ما تقدم نرى بأن مفهوم التضامن الاجتماعي ينقسم إلى قسمين سنقوم بتناولها بشيء من التحليل والمنطقية:

(أ) التعاون

تعد عملية التعاون إحدى عمليات التضامن الاجتماعي نتيجة للتفاعل بين الأفراد في المجتمع ويقصد تظافر الجهود المشتركة بين فردين أو أكثر من أجل

تحقيق أهداف أو مصلحة مشتركة، وبتعبير آخر هي العملية الاجتماعية التي يتم عن طريقها محاولة الأفراد أو الجماعات تحقيق أهدافهم من خلال المساعدة المتبادلة. وهذا بحد ذاته يتصل بالحياة الاجتماعية التي تتميز بوجود قوى مختلفة تعمل على اتصال الأفراد بعضهم ببعض، وهذا يؤدي إلى التضامن أو التعاون، فالأفراد عندما يتصلون ببعضهم البعض داخل الجماعة ويعملون معاً من أجل تحقيق هدف مشترك يطلق عليه سلوكاً تعاونياً.

وقد يأخذ التعاون أشكالاً عديدة، لعل من أهمها الشكل الذي يبرز في مجال العمل، فنحن نصف الأفراد بأنهم متعاونون إذا اشتركوا في عمل شيء واحد بمعنى آخر أنهم يؤدون وظيفة معينة، حيث يقومون جميعاً بنفس العمل، إلا أن هناك نوعاً آخر من الأعمال يتطلب أنواعاً مختلفة من العمل، كأن يعمل الأفراد معاً لتحقيق غاية عامة، على أساس أن كلاً منهم يعمل عملاً متخصصاً مخالفة لما يعمله الآخر، أي عندما يتعاون المهندس والحداد والنجار في بناء منزل فهذا التعاون قائم بالرغم من اختلافه على التعاون، كما نلاحظ أن هذا النوع الأخير من التعاون ناتج عن اختلاف التخصص في المجتمع الحديث وتقسيمه للعمل. وهذا بحد ذاته يؤدي إلى التشكيل البنائي للجماعة ويؤسس قوتها واستمراريتها.

(ب) التوافق الاجتماعي

يعد الوجه الآخر لمفهوم التضامن والتكافل الاجتماعي حسب استخدام علماء الاجتماع مصطلح التوافق الاجتماعي، للتعبير عن عملية التراضي أو الصلح بين الأطراف المتنافسة أو المتصارعة، سواء كانوا أفراد أو جماعات، وعلى هذا الأساس لا يطلق هذا الاصطلاح إلا على من كانوا في حالة عداء ومنافسه سابقة لتحقيق التوافق.

ويمكن تعريفه أيضاً بأنه إحدى العمليات الاجتماعية التي تخصص بتخفيض الصراع واستعاده التفاعل السلمي. وتحقيق التوازن بين الجماعات المتنافسة أو العدائية.

كما يمكن تعريفه بأنه النهاية المؤقتة أو الدائمة للصراع الذي يسمح للجماعات المتعارضة بأن تؤدي وظائفها بجانب بعضها البعض، بدون أي عداء واضح. مما يشير إلى أن التوافق قد لا يعمل على أزاله أسباب الخلاف نهائياً، ولكنه يعمل على توقف الصراع بشكل مؤقت أو إخفائه عن الظهور.

ويعادل مصطلح التوافق الاجتماعي كلمة التكيف في علم النفس المعرفي التي يستخدمها علماء النفس للتعبير عن العمليات التي يتمكن بها الكائن الحي من مجاراة ظروف البيئة المحيطة به. ولا يستخدم اصطلاح التكيف للتعبير عن التغيرات الاجتماعية، وإنما يستخدم بدلاً منه اصطلاح التوافق للتعبير عن التغير الذي يحدث في العادات والاتجاهات ونماذج التصرف والخبرة الفنية والنظم والتقاليد وغيرها من النواحي الاجتماعية التي تنتقل من جيل إلى جيل.

ونجد هناك صوراً سلوكية مختلفة من التوافق يلجأ إليها الأفراد أو الجماعات بهدف الانسجام مع ظروف الحياة المتغيرة، أي أن للتوافق أشكالاً متعددة تتفق مع نوع العلاقات بين الأطراف المتنازعة من حيث تفوق أحدهما قوة أو نفوذا، كما تتفق مع نوع الثقافة السائدة في المجتمع ويستخدم هذا المصطلح في موضوعات كثيرة في كل من علم الاجتماع والنفس والخدمة الاجتماعية، وهو عملية يقوم بها المختصون في تلك العلوم، لإزالة الصراع، سواء أكان اجتماعياً أم نفسياً لإيجاد التكيف والانسجام وهذا ما أكدته كثيراً من الموضوعات في تلك العلوم. وقد يتخذ التوافق صوراً سلوكية أو أشكال مختلفة منها:

الأشكال السلوكية للتوافق الاجتماعي

تعرف بأنها مجموعة التصرفات الفردية والجماعية التي يتبعها كل من الأفراد والجماعات لايجاد نوعٍ من التوافق والتوازن من أجل تخفيف الصراع، حيث يمكن اجمالها على النحو التالي:

أولاً : الاستسلام

يعد هذا النمط السلوكي مظهراً عاماً من أنماط التوافق، ممثلاً بالاستسلام إما للقوة العادية أو للتهديد الذي يصدر عن طرف يشعر بقوته على الآخر، وإذ عنينا القوة العقلية أو استسلاماً للرأي، وينتهي الصراع بالاستسلام إذا انتصر أحد الطرفين المتنازعين على الآخر، ولا يكون أمام المغلوب وقتئذ إلا أن يستسلم ويخضع للشروط التي يفرضها المنتصر ومن الشائع عند إنتصار أحد الطرفين أن يقبل المغلوب الهزيمة ويعترف بها وتنتهي بذلك عملية الصراع بعد أن يتحدد وضع أو مركز كل من الطرفين، ويعرف بانه سلوكاً إيجابياً أمام الخصم المواجه له، وسلوكاً اعترافياً بقوة المواجهة، وما نريد أن نشير إليه بأن الأفراد في الجماعة الواحده قد يتبعون ذلك للحفاظ على وحدة الجماعة.

ثانياً : التقريب بين وجهات النظر

نقصد بذلك تقريب نقاط الإتفاق بين الأفراد والجماعات المتخاصمين لذا قد يكون من السهل أن ينتهي الصراع عن طريق الاستسلام إذا كان المتنازعان غير متعادلين في القوة أو النفوذ، أما إذا كانا متقاربين في ذلك تتعقد الأمر إذا أصبحت سيادة أحدهما على الآخر، أو هزيمته له صعبة التحقيق، الأمر الذي يجعل كلا منهما يشعر بعدم جدوى صراعه وأن مصلحته في أن يتفق على وضع معين، يتجنب به خسارته المستمرة وجهده الضائع. ولذلك يلجأ المتنازعين إلى

الصلح أو التوافق عن طريق التقريب بين وجهات نظرهما المختلفة وذلك على أساس تنازل كل من الطرفين المتنازعين عن بعض ما يصارع من أجله سواء أكان موضوع الصراع ناحية مادية أو معنوية، ويبرز بذلك مبدأ التضحية المتبادلة بين الطرفين ويختفي من بينهما مبدأ الكل أو لا شيء لتحل محله الرغبة في التنازل أو التسامح عن بعض الأمور لكسب أمور أخرى. وهذا يحتاج منا كباحثين ومفكرين وحكماء، أن نعمل على تقريب وجهات النظر المتباعدة بين الطرفين المتنازعين أو الخصمين حتى نجد قواعد عامة تساعد على تعريف وجهة نظرهم في سد هوة الخلاف بينهم، ويستخدم هذا في السياسة والاجتماع والاقتصاد.

ثالثاً: التسامح الاجتماعي:

نمط سلوكي يستخدم في داخل الجماعات فيما بينها، وعلاقتها مع الجماعات الأخرى حيث يتم التوفيق أو الصلح من خلال مبدأ التسامح من ناحية الطرفين ويؤخذ بهذا المبدأ عادة بعد أن يكون الطرفان قد قطعا مرحلة طويلة من الصراع دون أن يصل أي منهما إلى نتيجة قاطعة، مما يدفعهم إلى الرغبة في الكف عن صراعهم ورغبة في إعادة الأمن والسلام. وهذا بحد ذاته يؤدي في المحصلة النهاية إلى تقبل الآخر دون تميز أو عنصرية، وردم هوة الصراع بين الخصمين.

رابعاً: الواسطة الاجتماعية:

تعتبر نمط من الأنماط السلوكية التي تتبعها الجماعات لحل مشكلاتها وهي تعد من الأشكال الهامة التي ابتدعتها الجماعات لإنهاء خلافاتها، وهي تقوم في عملية الوساطة على أساس الجمع بين الأطراف المتنازعة ليجد بينهم الرغبة في حل خلافاتهم، ويمكن للوسيط أن يقترح أسساً للتوفيق إذا لم يتمكن كل من

الفريقين من الاتفاق على أسس متينة. ومن أشهر الخلافات التي استخدمت فيها الوساطة على المستوى الدولي للصراع الذي كان يدور في فلسطين بين العرب واليهود عندما أرسلت الأمم المتحدة في سنة (1948) وسيطاً من طرفها راعت أن يكون بحكم جنسيته غير متحيز لأي من الطرفين وقد اختارته لذلك سويدياً، وقد اجتمع الوسيط بكل من الطرفين المتنازعين وقد خرج من اجتماعاته بعدد من الحلول التي اقترحها لحل مشكلة فلسطين وإنهاء النزاع، إلا أن اقتراحاته لم تصادف قبولاً من الأطراف المتنازعة، على ضوء ما تقدم ما يهمنا من مفهوم الوسائطة في مجال الاجتماعي، يمكن للمختصين، أن يجدوا الأسس الناجحة التي تقوم عليها هذه العملية، حتى تبنى لهم حل كثيراً من المشكلات السلوكية بين الأفراد والجماعات.

خامساً: التبرير الاجتماعي:

في هذا الشكل يبرز العامل النفسي لإحلال التوافق محل الذرائع، على أن يتم وضع أسس لتبرير هذا التوافق، عن طريق إبراز معلومات جديدة عن موضوع الخلاف، والعمل على إرضاء كل من الطرفين، وفي الحالات التي يتم فيها هذا التوافق الذي تحل الصداقة محل العداء، ولكن قد يصعب توافر التوافق الكامل نظراً لصعوبة توحيد التفكير بين الأطراف المتنازعة، إذا كانوا يعملون معاً، ويخدم كل منهم الآخر، أما إذا كان كل منهم احتفظ بطريقته في التفكير وبوجهة نظره نحو الصراع، فهذا يعني بحد ذاته تبريراً اجتماعياً.

سادساً: التهدئة الاجتماعية:

تُعد شكل من أشكال التوافق، الذي يشير إلى حدوث الاتفاق بين

الأطراف المتنازعة، على الكف عن الخلاف أو الصراع على الرغم من عدم القدرة على حل المشكلات التي أدت إلى هذا الخلاف أو الصراع.

بشكل عام فإن الهدنة تعني إيجاد فرصة لايجاد نوعٍ من التوافق لإنهاء الصراع بشكل مؤقت أو دائم بين أفراد الجماعة أو من خلال الجماعات فيما بينها.

أنماط الاتصال بين الأفراد والجماعات

يستخدم الاتصال لنقل الأفكار والمشاعر والمعتقدات إلى الأفراد الآخرين، وعلى الرغم من أننا نفكر في الاتصال عادة في ضوء الحديث الشفهي، أو اللغة، إلا أنه يمكننا الاتصال بالآخرين عن طريق العروض المرئية والإشارات والمحاكاة، ومع هذه فاللغة تمثل أهم طريقة للتفاعل الاجتماعي بين الأفراد، فمن خبراتهم تتشكل المعرفة بمشاركتهم في خبراتهم وأفكارهم ومشاعرهم ومعتقداتهم نستطيع تشخيص مشكلاتهم العامة وحلها .

أولاً: المشاركة الاجتماعية:

يعتبر الاندماج الشخصي والسيكولوجي للأفراد ذو أهمية في حياة الجماعة، وكما يعد من أهم القوى الداخلية الخاصة بالمشاركة الجماعية. وينظر إلى المشاركة الجماعية على أنها التعبير العلني الواضح عن طريق الأقوال والأفعال، مع هذا فهناك أنماطاً سلوكية كثيرة تتعلق بالإشارات أو الاتجاهات أو الطرق التي يمكن أن تنطوي تحت لواء المشاركة، إننا غالباً ما ننظر إلى المشاركة على أنها اندماج الفرد عن طريق الكلام والاشتراك في المناقشة.

كما يمكن أن تتسع دائرة المشاركة بين أعضاء الجماعة الذين يسهمون في ذلك بحيث يؤدي ذلك إلى فهم الأغراض والوظائف الأساسية للجماعة، كما

تضح في أذهانهم تماماً توقعات الجماعة من الأعضاء ويشعرون بالأمن والطمأنينة في القيام بأدوارهم كأعضاء، كما يستطيعون إدراك مدى ما تسهم به هذه الأدوار نحو تحقيق الهدف، والوظيفة الكلية للجماعة، مما يؤدي ذلك إلى حصولهم على الرضا من خلال إسهامهم في نشاط الجماعة.

ثانياً: التوحد الاجتماعي:

يتضمن الشعور الفرد بـ (نحن)، أو التوحد مع الجماعة، لوجود رابط عام من خلال المشاركة الوجدانية العامة، كما يتضمن شعوراً محدداً بالوحدة بطريقة ما، وأحياناً تعالج هذه القوة على أنها تعني تماسكها أو روحها المعنوية، ويشعر الأفراد بأن لهم مصلحة مشتركة، لما يحدث للأعضاء الآخرين ولما يحدث للجماعة ككل. ويشعر الفرد بانتماءه لها، وأنه جزء لا يتجزأ منها وأن له مصلحة مشتركة معها ويمكن أن يقال أن تلك المشاعر تتضمن نوعاً من المشاركة الوجدانية والتقمص المتبادل يعبر عنه تعبيراً طبيعياً بكلمة "نحن".

كما قد يشترك فيها الأفراد المختلفون ويندمجون عاطفياً في نشاط الجماعة.

وهناك أنماطاً أخرى للمشاركة أي يستجيب الأفراد بعضهم لبعض فعندما يدخل أحد الأفراد في المناقشة، يتبعه عادة اشتراك أعضاء آخرين معينين وقد يحتكر المناقشة قلة من الأفراد وقد تكون الفرصة متاحة للجميع للاشتراك أو نقوم نحن بمساعدة كل فرد على المشاركة وقد يتركز نمط المشاركة حول فائد واحد، وقد يكون موزع على الجماعة كلها.

إن إنتاجية الفرد والجماعة وثيقة الصلة بالفرص المتاحة لاشتراك العضو وإسهامه، وقد تتضمن هذه الفرص وضع الأهداف واتخاذ القرارات بخصوص الوسائل المحققة لها، وبعض المظاهر الأخرى المتعلقة بالمناقشة واتخاذ القرارات.

كما إن الاشتراك في عملية تحليل واتخاذ القرارات يؤدي إلى مقاومة أقل للتغيير وقد يؤدي إلى تغيير جذري أقل في أعضاء الجماعة، وإلى قدرة أكبر على الإنتاج وشعور قوي بالرضا عن الجماعة نفسها والانتماء كعضو بها. إن أولئك الأفراد الذين يسهمون بدرجة كبيرة في نشاط، يؤدي إلى تفاعلهم بشكل أفضل والسؤال الذي يطرح نفسه علينا في هذا المجال.

ما هي العناصر التي تؤدي إلى توحد الفرد بالجماعة؟

"عندما يشعر الفرد أنه جزءاً لا يتجزأ من الجماعة، وأن له مصلحة مشتركة معها وأنه ينتمي إليها". ويظهر أعضائها هذا "الشعور بالنحن"، خاصة عندما يتحدثون قائلون "إننا نشعر"، أو "إننا نعتقد"، أو "إننا نريد"، أو "إننا نطلب"، أو "إننا نطالب"، أو إننا نناضل" أو عندما يقولون: "جماعاتنا" أو "مشكلتنا". حيث يفسر هذا السلوك بانتماء الفرد للجماعة.

وفي نطاق أي جماعة معينة، نجد هناك اختلافاً واسعاً في درجة "الشعور بالنحن" أو التوحد مع الجماعة، فقد يختلف عمق شعور العضو اختلافاً شاسعاً بأن هذه الجماعة هي (جماعتي أنا) أي الجماعة التي يشارك أعضائها في الأغراض الأهداف يؤدي بالفرد إلى احترام تقاليدها، ويسعى جاهداً لتحقيق أهدافها.

من المهم أن العضو يشعر بالاتحاد مع الجماعة، بناء على أساس واحد من الأسس دون غيره، فقد يكون توحده مع غرض الجماعة على درجة كبيرة للغاية، في حين يكون اتحاده معها نفسها بدرجة ضعيفة. وقد يشعر بالطمأنينة والسعادة تماماً مع أعضاء الجماعة، ولكن يتقدم شعوره نحو أهدافها وآمالها، ويبدو أقوى في مشاعر التوحد وأكثرها دواماً، التي تكون مبنية على خليط من عدة أسس مختلفة.

وغالباً ما يشعر الأفراد بالتوحد مع الجماعات المختلفة، وأحياناً قد تتصارع الغايات في هذه الجماعات بعضها مع بعض، فمثلاً قد يشعر العامل بالتوحد مع كل من الشركة التي يعمل بها واتحاد العمال، الذي ينتمي إليه على الرغم من تصارع مصالحها في بعض الأحيان.

هناك علاقة تبين التوحد مع الجماعة والمشاركة في أوجه نشاط هذه الجماعة نفسها، وتشكل علاقة وطيدة ومتبادلة حيث أن ازدياد شعور الفرد بالتوحد يشجع على المشاركة، كما أن القيام بنشاط الجماعة يعتبر مصدراً من المصادر الهامة للتوحد معها. وغالباً مما يؤدي ذلك التفاعل المتكرر المشحون بشحنات عاطفية قوية إلى توحدها وتماسكها بدرجة عالية غير عادية.

إن الظروف المادية التي تسمح لأعضاء الجماعة بالجلوس متقاربين بعضهم إلى بعض تشجع التفاعل، وإذا كان هناك نقص في تقارب الأعضاء بعضهم مع بعض، أو تباعد أكبر بينهم من ناحية الوضع المادي للجلسة فإن التفاعل بينهم يكون تفاعلاً بطيئاً.

وترتبط الطريقة التي يثاب بها ذات الفرد عن طريق الاشتراك في مناشط الجماعة بقدرته على الشعور بالتوحد. إنها تكون عاملاً مساعداً إذا اتفقت أهدفها مع أهداف التوحد إذا شعر الفرد بأن في مقدوره الأدلاء بآرائه فيما يتعلق بعملها والطرق التي تختارها.

الخاتمة

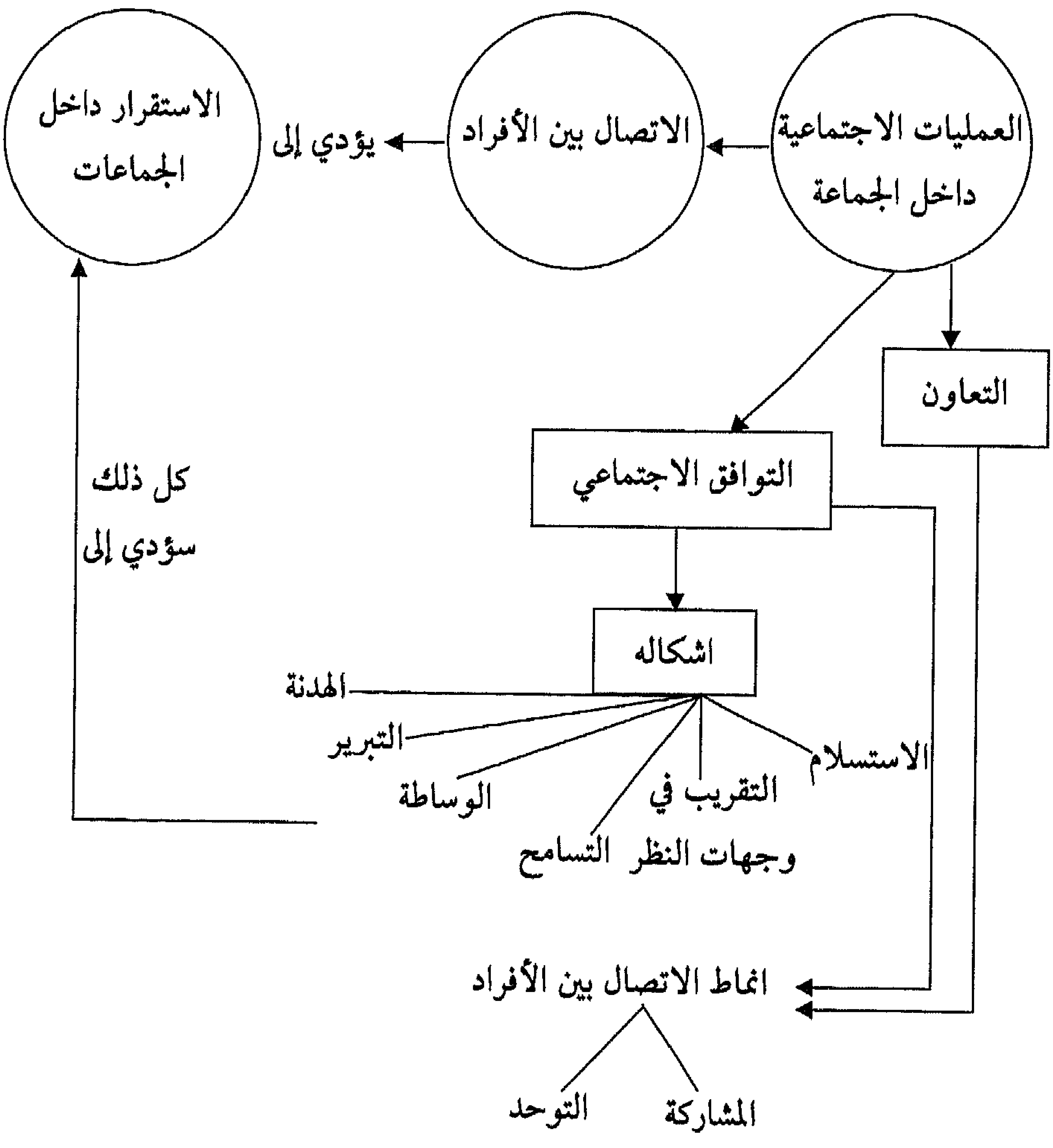
من خلال الإطلاع على ما جاء في الوحدة السابقة من موضوعات تختص مفهومي التضامن والتكافل داخل الجماعات، والأساليب والآليات التي يتبعها الباحثون في هذا المجال، نجد بأن تلك الأساليب ما هي إلا محاولة لإنجاح عمليات اجتماعية ذات علاقة بمفهوم التضامن والتكافل كالتعاون والتوافق الاجتماعي، فمثلاً في عملياته الاجتماعية كالاستسلام والتقريب في وجهات النظر، والتسامح والوساطة، والتبرير والهدنة.

كما تطرُقت إلى مُوضّوع أنماط الاتصال بين الأفراد والجماعات وهما عمليّتان ذات صلة به، ممثلة في المشاركة الاجتماعية، والتوحد الاجتماعي بين الجماعات على أية حال يمكن أن نصل إلى نقطتين ذات صلة وثيقة في هذا الموضوع:

الأولى: أن العمليات الاجتماعية التي تتم في داخل الجماعات ممثلة في التضامن والتكافل والتعاون والاستسلام والتقريب، يؤدي ذلك إلى الاستقرار والتوازن.

الثانية: أن عمليات الاتصال بين الأفراد أو الجماعات تؤدي إلى زيادة فعالية المشاركة بينهم، وبالتالي فإن ذلك يبني التواصل المستمر بين الجماعات والذي يؤدي إلى إيجاد الولاء بين الأفراد نحو جماعاتهم.

من خلال عرض ما سبق لابد من التأكيد على أهميـة تلـك العمليـات في كونها الآليات التي تشكل هذا السلوك بين الأفراد والجماعات وتاكيداً علـى مـا سبق يمكن يّوضيح ذلك من خلال الشكل التالي.



الوحدة الخامسة

اتجاهات في دراسة السلوك داخل الجماعة

الوحدة الخامسة

اتجاهات في دراسة السلوك داخل الجماعة

- مقدمة.
- نظريات في السلوك الاجتماعي داخل الجماعات:
  أ- نظريات المجال.
  ب- اتجاه التنظيم الرسمي في تفسير السلوك الجماعي.
  ج- نظرية التحليل التفاعل الاجتماعي.
  د- نظرية التحليلي العاملي في تفسير السلوك الاجتماعي داخل الجماعة.
- الاتجاه السيومتري في تفسير السلوك الاجتماعي داخل الجماعة.
- تقنيات تحليل دينامية الجماعة.
- خاتمة.

الوحدة الخامسة

اتجاهات في دراسة السلوك داخل الجماعة

مقدمة :

تباينت الآراء والاتجاهات حول موضوع تشكيل الجماعات حيث قبل الولوج إلى هذا الموضوع لابد من التميز بين أنواعها وتركيبها، فهناك الجماعات البسيطة (Simple group)، التي تهدف إلى تحقيق غاية محددة أو موضوع واحد، وخير مثال عليها الجماعات الأخرى الموقفية وغيرها من الجماعات التي تعمل على تحقيق هدف يحتاج إلى فترة قصيرة. أما الجماعات المعقدة المتداخلة (Complicated group) والغير متجانسة من ناحية الثقافة والعادات والتقاليد بإستثناء أنه يجمعها منطقة جغرافية محددة، كجماعات المدن الكبرى التي يطلق عليها اسم الجماعات الغير متجانسة ويجمعها مصلحة واحدة وهي تحقيق الخدمات للافردها وتحتاج إلى وقت طويل للإنتهاء.

وسنتطرق إلى الاتجاهات التي فسرت تشكيل الجماعة حيث يمكن إجمالها على النحو التالي، النظريات التي فسرت السلوك الاجتماعي، داخل الجماعات، كنظريات المجال، واتجاه التنظيم الرسمي في تفسير تشكيل الجماعات، وتحليل التفاعل الاجتماعي، والتحليل العاملي، ونظرية كاتل في تفسير سلوك الأفراد ضمن الجماعات، واستخدمت تصنيفات في تحليل سُلوكّها وسنتناول ذلك بقدرٍ من التحليل والموضوعية.

نظريات فسرت السلوك الاجتماعي داخل الجماعات

نظرية المجال:

تفسر نظرية المجال السلوك ضمن بيئة فيزيائية واجتماعية ونفسية داخل الجماعة وتؤكد هذه النظرية بأن السلوك الفردي والاجتماعي، ما هو إلا نتاج لبيئة خارجية متداخلة مع بيئة داخلية أي (تفاعل المجال الفيزيائي مع المجال النفسي) ليشكل سلوكاً معيناً نحو الجماعة والأفراد، وهذا بحد ذاته يقودنا إلى ثلاثة افتراضات تقوم عليها هذه النظرية:

الافتراض الأول: أن المجالات التي تشكل السلوك الاجتماعي لا نستطيع فصلها عن بعضها البعض وإنما تكون بشكل متكامل متناسق.

الافتراض الثاني: ترى هذه النظرية بأن السلوك الإنساني يتحدد من خلال عملية التفاعل ما بين الخبرات السابقة من ناحية والمواقف التي يتعرض لها الإنسان في الحاضر من ناحية لأخرى.

الافتراض الثالث: تؤكد هذه النظرية على اختلاف الفروق الفردية ما بين الأفراد بمعنى أن السلوك لدى أفراد المجموعة لا يكون متشابهاً بينهم ولا يكون على وتيرة واحدة (لو أن الجماعة تعرضت لموقف معين، حتماً لا يكون السلوك متماثلاً بين أفرادها وإن لكل فرد خاصية معينة في التعامل مع الموقف الذي يتعرض له).

وبالتالي إن كثيراً من الدراسات والأبحاث تؤكد بأن نظرية المجال تفسر السلوك ضمن ثلاث محددات، ولذلك أطلق عليها نظرية الحدود، وهي محددات مكانية زمنية تختص بالمنطقة، ونفسية شخصية تميز شخص عن الآخر، وزمانية تربط بين الخبرة السابقة مع الحاضرة. ويرى (ليفين) الذي يعتبر من أهم روادها،

بأن مجموعة التصورات والأفكار التي يكونها الفرد عن نفسه ما هي إلا نتاج تفاعلاته السلوكية المتداخلة فيما بينها ضمن البيئة الاجتماعية والفيزيائية التي ينتمي.

نظرية المجال وتفسير الجماعات:

نادت بأن السلوك الفردي ما هو إلا نتاج الحاصل من العمليات الاجتماعية المتداخلة المتناسقة والعلاقة بين سلوك الفرد وبين الجماعة التي ينتمي إليها وهي علاقة لا تمتاز بالثبات، متغيرة وفقاً لطبيعة تغير المواقف التي تتبناها الجماعة.

على أي حال يمكن التأكيد بأن ارتباط سلوك الفرد بالجماعة حسب ما جاءت به نظرية (ليفين) يقوم على ثمانية ركائز ويمكن إجمالها على النحو التالي:

(1) الجماعة تؤثر بالفرد والفرد يؤثر بها ومن خلال ذلك يتشكل السلوك العام والخاص الذي يهدف لتشكيل منظومة من الأفكار والاتجاهات ويؤثر أيضاً في تشكيل بناء الجماعة.

(2) يؤكد (ليفين) بأن الفرد يشكل ذاته من خلال المجال الاجتماعي النفسي الفيزيائي الذي يعد مؤشراً هاماً في بناء السلوك، الاجتماعي والنفسي.

(3) إن الخبرات الماضية التي يتعرض لها أفراد المجموعة ما هي إلا في المحصلة النهائية مجموعة من الاستراتيجيات يتبعها الأفراد والمجموعة لحل مشكلاتهم التي يتعرضون لها.

(4) يؤكد (ليفين) بأن الأفراد يتعاملون مع بعضهم البعض ضمن جماعتهم التي ينتمون إليها (المجال الاجتماعي)، ما هي إلا شبكة من الاتصالات الاجتماعية النفسية التي تشكل المفهوم العلائقي الثابت والنفسي لتحديد ملامح تلك الظاهره.

(5) الفكر والسلوك ما هما إلا مصطلحان مترادفان لا ينفصلان عن بعضهما البعض، بمعنى أن الفكر يسبق السلوك، ومن خلاله يتشكل المجال النفسي والاجتماعي للفرد.

(6) إن الأفراد والجماعات يتعاملون مع بعضهم بشكل إيجابي أو سلبي، كل ذلك يخضع للمجال الموقفي الفيزيائي النفسي الذي يتعرضون له.

(7) قد يغلب مجال على آخر ويطلق عليه (المجال السائد) وهو الذي يشكل السلوك، وقد يكون عاملاً حاسماً وهاماً في السيطرة علية.

(8) يفسر سلوك الأفراد والجماعات وفقاً لهذه النظرية، وفقاً لمجموعة المواقف الطارئة والمواقف الثابتة نسبياً، التي تتداخل فيها المجالات البنائية مرتبطة بالناحية الذهنية.

من خلال العرض السابق لهذه النظرية نجدها تركز على نقطتين فالأولى تركز على طبيعة الموقف، بينما الثانيه تركز على السلوك وارتباطه بالموقف.

اتجاه التنظيم الرسمي:

هذا الاتجاه يُركز على تحديد الأدوار ضمن الجماعات، سواء كانت أساسية تسند إلى أساس بيولوجي، أو وظيفي وهذا بحد ذاته يشكل طاراً عاماً لدراسة السلوك أفراد داخل الجماعات، مما يؤدي إلى تفسير العلاقات الاجتماعية داخل الجماعات، حيث يعرف التنظيم الرسمي بأنه سلسلة مترابطة من الأدوار التي توكل إلى أفراد المجموعة بحيث كل واحد يقوم بدور دون تعارض دور مع الآخرين. (جورج، **1969**).

أهداف التنظيم:

تكمن أهمية أهداف التنظيم في تفسيره للمشاكل الاجتماعية وتعقدها متماشياً مع كبر حجم الجماعة عدد وضخامة عدد أفرادها وتتنوع أنشطتها، لذلك نجد أن تنظيم الجهود البشرية يحقيق أهداف الجماعة بأقل وقت ممكن.

أهداف الجماعة التنظمية

إشارة إلى الموضوعات السابقة ذات العلاقة في ديناميكية الجماعة، بأن لكل جماعة أهدافها التنظمية ولا بد الاشارة هنا، إلى ثمانية أهداف.

1. تقسيم العمل وذلك بإسناد عمل معين لكل فرد حتى يحصر ويركز اهتمامه في أدائه دون غيره.
2. التنسيق والتعاون: من أهم أهداف الجماعة تحقيق التوافق وتكامل الجهود الإنسانية، كما أنه يساعد على تنسيق الخبرات المتوفرة وتقنيتها والمحافظة عليها.
3. التسيير التلقائي: يحتاج إلى أقل قدر من التدخل لإحداث تفاعل في العلاقات القائمة بين الأفراد، كما أن الهدف الأول للمسير هو أن يوفر للعلاقات التنظيمية التي تتمتع بالمرونة والفعالية العالية التي تجعل جهود الأفراد تتدفق نحو الهدف العام بطريقة تلقائية.
4. تنمية الفاعلية الفردية: توفير الظروف الملائمة لكل فرد في الجماعة لكي يبذل في عمله أقصى ما يستطيع.

5. سهولة القيادة لدى الجماعات المتناسقة التي تسمح لأعضائها بالاستجابة الطوعية لها، بشرط أن توفر التنظيم داخل الجماعة وفي كل مركز فيها.
6. البقاء: إن بقاء الجماعة من الأهداف الجوهرية يترتب عليه تجنيد جهود الأفراد من أجل توفير الظروف المناسبة لبقائها.
7. تحقيق الاستقرار: لابد أن تعمل الجماعة على تحقيق الاستقرار لأنشطة داخلها، فمثلاً بتحديد العلاقات وكذلك وسائل اتخاذ القرارات.
8. التفاعل أو المشاركة: ترتبط عمليات المشاركة أو التفاعل أو التداخل بالجهود الجماعية، فيتداخل ويتفاعل الأفراد بعضهم مع بعض من خلال الديناميكية التي يوفرها الهيكل الرسمي لتنظيم الجماعة، بحيث يكون فعالاً خاصة في توفير الظروف والتداخل في العلاقات غير الرسمية للأفراد.

مبادئ التنظيم في داخل الجماعة:

تقوم مبادى التنظيم في الجماعة، على تحديد عدة ركائز، تؤدي بدورها تفعيل دور الجماعة، يمكن إجمالها على النحو الآتي:

(1) مبدأ ضرورة التنظيم: أي ضرورة تقسيم العمل والواجبات بين الأفراد مع تفويض السلطة لذلك.

(2) مبدأ تحديد الهدف: يجب أن يتم تحديد الأهداف التي تسعى إليها الجماعة وإلى التمسك به. لأن الأهداف هي التي تبين الواجبات المطلوب تنفيذها وممثلاً في تحديد المسؤوليات التنظيمية. مرتبطة بالأهداف التي تؤدي إلى تنمية الخطط وتركز الجهود وتوجيه التنظيم نحو النهايات المطلوبة.

(3) مبدأ وحدة الهدف: أي يجب أن تحدد أهداف كل جزء من التنظيم المتفق عليه الوصول إلى استراتيجيات التنظيم ككل.

(4) مبدأ الكفاءة: أي تحقيق أهداف المؤسسة بفاعلية وبواسطة الأفراد العاملين بها بأقل التكاليف الممكنة.

وتعرف الكفاءه: مجموعة القدرات الكامنة التي تكون لدى الأفراد التي من خلالها يستطيعون أن يعملوا بنشاط وفعالية.

(5) مبدأ تقسيم العمل: إذ يجب تقسيم الأعمال إلى أبسط العناصر المكونة له. حتى تتمكن من التعرف على العناصر الأساسية والثانوية المكونة له، ويساعد تقسيم العمل على تحقيق ايجاد التخصصات بأنواعها المختلفة.

(6) مبدأ التحديد الوظيفي: يجب تحديد النتائج المتوقعة والأنشطة المطلوب القيام بها، والسلطة التنظيمية المفوضة لكل وحدة تنظيمية في الجماعة. وكذلك التعرف على علاقة الأفراد بالمسؤولين، وتحقيق أهداف المؤسسة.

(7) مبدأ الوظائف: أي يجب بناء التنظيم على الوظائف والأعمال المطلوب القيام بها وليس على الأشخاص، حتى يكون التنظيم موضوعياً.

(8) مبدأ نطاق الإشراف: وهذا يعني أن كل رئيس جماعة يكون مسؤولاً عن عدد من الأفراد يشرف عليهم.

(9) مبدأ التفويض: تكون السلطة المفوضة من قبل الفرد كافية لضمان قدرته على تحقيق النتائج المتوقعة منه.

(10) مبدأ المسؤولية: يجب أن يكون مسؤولاً عن الأنشطة التنظيمية الخاصة بمرؤوسه، فالمسؤولية الواضحة تؤدي إلى تفعيل العلاقات الاجتماعية.

(11) مبدأ ديناميكية التنظيم: أي أن التنظيم يسمح بمقابلة التغيرات في المؤسسة وتعديلها مما يؤدي إلى نموه واستمراره.

عناصر التنظيم:

تعد عناصر التنظيم الاجتماعي الإداري من الأساسيات المهمة، في تنظيم الجماعات الإدارية لا سيما داخل المؤسسات التي تشكل الجماعات، حيث يمكن إجمالها على النحو التالي:

1. تحديد أعمال وواجبات الجماعة وتصنيف الأعمال التي تقوم بها في كل مجموعة.
2. تحديد الإدارات والأقسام التي تكون هيكل التنظيم الإداري للمؤسسة اللازمة لتحقيق أهدافها وتوضيح ذلك على خارطة تنظيمه.
3. تحديد اختصاصات هذه الإدارات والأقسام، وتحديد سلطتها ومسؤولياتها والعلاقات بينها.
4. تحديد عدد الوظائف والموظفين اللازمين لحاجة العمل للمؤسسة والمؤهلات والشروط الواجب توافرها فيهم.
5. تحديد اختصاصات وسلطات ومسؤوليات هؤلاء الموظفين وتوضيح العلاقة بينهم.
6. وضع لوائح العمل التنظيمية التي تنظم سير الجماعة بشكل أفضل.
7. الدراسة المستمرة ونعني بها تتبع تنظيم الجماعة، وتعديلة بما يكفل التقدم المستمر.

المشاكل التي تؤثر في كفاءة التنظيم:

في ضوء ماتم سردة من عناصر تنظيمية يمكن اجمال أهم المشاكل التي تعيق كفاءة التنظيم.

(1) عدم مجارات التنظيم للتغير: وهذا ممثلاً بإهمال التنظيم للمتغيرات

الجوهرية الداخلية والخارجية، الأمر الذي يؤدي إلى عدم القيام بدوره والمتمثل في تحقيق أهداف المؤسسة، لذلك فإن مراجعة التنظيم وإحداث التغيرات الضرورية به أمر تستوجبه الطبيعة الديناميكية للظروف التي يعيشها ويعمل في ظلها أفراد الجماعة.

(2) عدم وضوح العلاقات الإدارية: تظهر المشكلات بشكلٍ جلي عندما يتضمن الهيكل التنظيمي مزيجاً من علاقات السلطة دون توضيح دقيق ومحدد لمجالاتها ولمسؤولية نطاقها، الأمر الذي يترتب عليه التضارب والتسيب.

(3) عدم كفاءة التنظيم: وهذا راجع إما لمغالاة في التفويض والذي يؤدي إلى الفوضى أو التسيب مما يؤدي لدفع القرارات في المستويات الدنيا التي لا تتوفر الكفاءات ولتجنب المغالاة في التفويض علينا. منح الثقة في المرؤوسين، وإيجاد فرص التدريب على اتخاذ القرارات لغيرهم.

(4) اختلاف التكافؤ بين المسؤولية والسلطة: من الأمور المقررة للتنظيم السليم في تكافؤ السلطة والمسؤولية ويعني هذا أن تكون السلطة على شكل منظم بحيث يتماشى مقدارها وحدودها مع مقدار حدود المسؤولية.

(5) تعدد الرئاسات: من مبادئ التنظيم وحدة الجهة الآمرة، إلا أنه في كثير من الأحيان يورد التنظيم في هيكله علاقات كثيرة للسلطات الوظيفية داخل الجماعة ويواجه بالتالي مشكلة التعدد الرئاسي لذلك يجب تضييق نطاق هذه السلطات بقدر الإمكان مع التعريف الدقيق لمضمونها.

(6) المغالاة في تطبيق أساليب التنظيم: وتتخذ هذه الظاهرة أشكالاً عديدة منها المغالاة في توصيف الوظائف بتفاصيلها الفرعية مما لا يترك مجالاً للحركة في الظروف الطارئة، هناك أيضاً المستويات الإشرافية بين قمة التنظيم وقاعدته في داخل الجماعة.

القوة في تفاعلات الجماعات (Inter group Power)

استخدم القوانين والتعليمات والإجراءات والسلطة التربوية والتخطيط والوساطة قد يكون التساوي داخل الجماعات مفيداً في تحسين الأداء التفاعلي، بين أعضائها إلا أن هذه الأساليب تسبب اختلافاً في القدرة على التأثير في قدرة الجماعة على امتصاص الصدمات مما يمنحها القوه والقدره على الجماعات الأخرى.

أما قدرة الجماعة على استبدال المدخلات التي تأخذها من جماعة معينة فإن ذلك يشكل قدرتها على امتلاك الأهمية التكاملية (أي مقدار حاجة الجماعات الأخرى لمفهوم التكامل).

نظرية تحليل التفاعل الاجتماعي

النظرية التفاعلية: ترى بأن الجماعة هي نظام يتفاعل الأفراد فيه وتقوم على ثلاثة عناصر أساسية: (النشاط، التفاعل، العاطفة)، ويمكن من خلال هذه النظرية فهم العلاقات الاجتماعية عن طريق تحليل العلاقة بين هذه العناصر الثلاثة. النظرية التفاعلية: تقوم على أساس التكامل بين المتغيرات الرئيسية في القيادة، التي تتمثل في شخصية القائد، للاتباع اتجاهاتهم وحاجاتهم وحل مشكلاتهم، وللجماعة نفسها دوراً هاماً، من حيث بناء العلاقات بين أفرادها، ويتوقف ذلك على خصائصها، بالإضافة إلى طبيعة المواقف التي تفرض نفسها التي تحددها العوامل الفيزيقية وطبيعة العمل.

والحقيقة لأنه ليس مهماً في علاقات تلك المتغيرات في حد ذاتها، ولكن

المهم هو إدراك الجماعة لنفسها، وإدراك الآخرين لها، بحيث يصبح إدراك مشترك بين الأفراد وللجماعة وللموقف، حيث إن مضمون هذه النظرية يتركز على عملها وهدفها وبنائها وتنظيمها، وخصائص الأعضاء ممثلاً في اتجاهاتهم، ولإظهار قيادات لها أتباع وتوثيق علاقتها مع الآخرين، العلاقة بينهم بحيث يصعب غالباً تحديد من هو الذي يؤثر في الآخر، كحاجات الأفراد من ناحية، وأهداف الجماعة من ناحية أخرى.

ولا شك أن القيادة التي تعززها الجماعة هي بحد ذاتها عملية تفاعل اجتماعي، فالقائد يجب أن يكون عضواً في الجماعة يشاركها مشاكلها ومعاييرها وأهدافها وآمالها، ويوثق الصلة مع أعضائها، ويتوقف انتخابه للقيادة على إدراك الأعضاء له كأنسب شخص للقيام بمطالب هذا الدور الجماعي، وهي تتغير من موقف لآخر، ولهذا فإن القيادة تتوقف على الشخصية والموقف الاجتماعي، والموقف الفيزيائي والتفاعل بينهما.

تأثير القيادة في توجهات الجماعة:

تلعب القيادة دوراً أساسياً في تحديد أهداف الجماعة، وفي وضع قيمها ومعاييرها وثقافتها، كما تضع القيادة خطط النشاطات المختلفة للجماعة، وبالطبع فالجماعة تغدو هامة لأنها هي التي تقبل القيادة أو ترفضها، وعليه لا بد أن يعمل القائد على إشباع حاجتها، ففي بعض المواقف قد تتطلب الجماعة قائداً يشعرها بالحب والأبوة وفي مواقف أخرى قد تصبح القيادة خطراً يهدد حياة الجماعة، فتتطلب قائداً حازماً ولو كان عدوانياً، وعلى ذلك فإنه لمعرفة القائد ونوعيته، يجب تحديد الحاجات المادية والاجتماعية والسيكولوجية للجماعة (عبد الهادي، **2011**).

وتلعب القيادة تلقائياً بين الجماعات عندما يميل التأثير في الجماعة على الاستقرار في يد شخص معين أو عدد قليل من الأشخاص، ولا يبقى التأثير مشتتاً بين جميع أعضاء الجماعة، وكلما زاد حكم الجماعة وتشعبت وظائفها، كلما ظهرت الحاجة إلى وجود عدد كبير من القادة الذين ينظمون شكلاً هرمياً للقيادة، بحيث يكون في أعلى هذا الهرم القائد الأول، ثم يليه طبقات أخرى من القادة في المرتبة الثانية والثالثة، وهكذا ينتهي الهرم بالقاعدة، حيث يوجد فيها الأتباع، كما وتعتبر القيادة ضرورية بالنسبة إلى تكوين الجماعات ولاستمرار بقائها، تتضح مما سبق بأن علاقة الجماعة بالقيادة، علاقة ارتباطيه بشكل عال، فالجماعة في الظروف العادية قد تخلو من أي توترات هي التي تبرز القيادة الفاعلة من أجل حذفها والعمل على مصلحتها.

نظرية التحليل العاملي:

الجماعة هي التي تبرز الشخصية وتنظيمها، وتحدد دورها، ولذلك تعد الجماعة على هي الأساس في تشكيل شخصية الفرد الذي يعتبر جزء لا يتجزأ منها وعلى أية حال لا يسعني إلا أن ألقي قليلاً من الضوء على الشخصية التي مرت بمراحل انتقالية هامة بدأت بالأفكار الفلسفية والأدبية، يذهب (كاتل) إلى أن دراسة كتابات الفلاسفة قبل أن يتبلور علم النفس بصورته الحالية، ثم جاءت المرحلة التي وردت في اعتمدت التجريبية على يد (فونت) في القرن التاسع عشر ميلادي، ثم المرحلة الإكلينيكية التي تعتبر المرحلة الأخيرة في الطرق الإسقاطية التي انتقدت إلى التجريب والقياس الإحصائي، ثم تأتي القياس والتحليل الإحصائي رأيه والتي لجأ الباحثين فيها إلى الاتجاه العلمي القائم على كثير من سمات الشخصية بعد القياس للشخصية، واعتمد (كاتل) على التحليل العاملي الموضوعي والمتعمق في هذه السمات.

ويقوم المنطق العام للتحليل العاملي على قانون الإيجاز العلمي في البحث عن الوحدات الأساسية التي يجمعها عوامل مشتركة بحيث تعطي هذه العوامل تفسيراً أفضل للسلوك في الشخصية التي تنمو من خلال الجماعة ما يشخصه وتستمد خبراتها وآرائها وأفكارها من خلال خبراتها وأدائها وتأكيداً على ذلك يعرف كاتل (1950)، الشخصية بأنها "هي تلك التي تتيح لنا التنبؤ بما سوف يفعله الشخص في موقف إما داخل الجماعة ويشارك لكاتل البورت الرأي في وصف الخصائص التي لها القدرة على التنبؤ وتتميز بالثبات النسبي في السمات ولكنه يختلف عنه باعتبارات هامة هي:

1. أن العناصر الأساسية في الشخصية وتعد سمات المصادر التي يمكن استنتاجها من خلال التحليل العاملي. الذي يقيم علاقه له وثقافة الجماعة.
2. تعتبر بعض السمات فريدة، بالإضافة إلى السمات الأصلية العامة يشتركان في تحديد الاختلافات بين الأفراد.
3. هناك علاقة بين الدوافع والاعتبارات التركيبية للشخصية. مما يؤثر ذلك على العلاقة الجدلية بين الفرد والجماعة التي ينتمي إليها.

العواطف والاتجاهات:

ينظر (كاتل Katel) إلى العواطف والاتجاهات إلى أنها شيء هام لدراسة الشخصية، فالسلوك الإنساني ينشط ويوجه نحو أهداف معينة بواسطة السمات الدينامية، وأن هذه السمات فطرية والأخرى مكتسباً نتيجة التفاعل مع البيئة، ولكنها تسهم في تحديد ما نفعله.

ونظراً لأن مصطلح (الغريزة)، يستخدم بطرق مختلفة من الباحثين السابقين، فإن (كاتل) يعزى معزي العمل أو (الطاقة) إلى السمات التي تتضمن

الدينامية المكتسبة من البيئة والأنماط العلاقة للسلوك كالعواطف وسلوكيات وميول أكثر تحديداً مثل الاتجاهات، والهدف الأساسي لهم هو اختزال حدة التوتر الناتج عن الدوافع الفطرية.

وحدد كاتل عشرة دوافع فطرية محددة بالاسم والصفة تماماً وستة دوافع مؤقتة (أي يمكن تعديل مسماها بعد ذلك)، لأنها صفة الدوام النسبي ولكن تختلف في قوتها من شخص لآخر، داخل الجماعة فعلى سبيل المثال فإن الدافعية الفطرية مناشدة الأمان والسعي للاستقرار، وتتميز بوجود الجماعة وتماسكها ممثلة في راي كارابي (Carbe) من خلال طرحه لعدة فقرات، تعكس تلك الاتجاهات الممثله في الأمن والاستقرار:

* أريد لوطني حماية أكبر ضد رعب القنبلة الذرية.
* أريد أن أرى كل قوة عسكرية تهددنا قد أهلكت ودمرت.
* أريد أن يحدث قهراً فعلياً لخطر الموت وللحوادث والأمراض.
* أريد الحصول على تأمين أكبر ضد الأمراض.

وقد طرح أيضاً عدة فقرات تمثل الاتجاهات العاطفية والفنية:

* أريد أن أقع في حب امرأة جميلة.
* أريد أن أشبع حاجاتي الجمالية.
* أحب الجاذبية الأنثوية في المرأة.
* أحب الاستمتاع بالتدخين والشرب.
* أريد الاستماع إلى الموسيقى.

تندرج كلها تحت جماعة الأفراد داخل الجماعة وتشمل ست عشرة فقرة تتميز كل منها يمثل بانفعال عام يمكن توضيحة بالفقرات.

الفطرية التي يجب معرفتها جيداً، للتعرف على الدوافع الفطرية المؤقتة كالطعام، كالجوع، والجنس، الأمان والخوف والشعور بالوحدة، الحماية الوالدية والشفقة والاستكشاف وحب الاستطلاع وتأكيد الذات.

من خلال عرض مما سبق، نرى بأن هذه النظرية تشير إلى أهمية الجماعة في بناء الشخصية وتحقيق حاجاتها التي من خلالها، تشكل هويتها نحوها.

اتجاه القياس السوسومتري:

وضعت أسس الاتجاه السوسيومتري كمظهر من مظاهر هذا التيار الذي يعتمد على تكميم الظواهر الإنسانية على يد مورينو (Mereno,1934) الذي حاول وضع نسق فكري متكامل حول (السوسيومتريا)(*) أو القياس الاجتماعي. كتقنية لقياس العلاقات والتفاعلات داخل الجماعة.

"السوسيتومتريا هي الدراسة الرياضية للمظاهر النفس الاجتماعية الساكنة، بالإضافة إلى التقنيات التجريبية المرتبطة بالطرائق الكمية المتوصل إليها عبر تطبيق هذه التقنيات".

يتكون الاختبار السوميومتري لدى مورينو من أربعة أسئلة كالتالي:

(1) من هم الأشخاص الذين يرغب المستجوب أن يكونوا معه ضمن نشاط ما؟

(2) من هم الأشخاص الذين يرغب المستجوب أن يكونوا معه في جميع المواقف التي يتعرض لها؟

(*) السوسيومتريا: يعرف بأنه مقياس العلاقات الاجتماعية الذي من خلاله نجد مستوى تلك العلاقات بين الأشخاص.

(3) من هم الأشخاص الذي يعتقد المستوجب أنهم يرغبون في أن يكونوا معه في نشاط ما؟

(4) من هم الأشخاص الذين يعتقد المستوجب أنهم لا يرغبون في أن يكون معهم ضمن نشاط ما؟

تقنيات تحليل دينامية جماعة القسم:

صياغة تصورات لدراسة دينامية الجماعات، فمثلاً ذلك بصدد حركة الجماعات وتفاعلاتها، على تقديم تقنيات للبحث ورصد الظواهر التي تعتمد داخل الجماعات. وهكذا تقدم مجموعة من الوسائل التي تسمح بملاحظة التفاعلات داخلها وكيفية تطورها. وتستثمر بعض التقنيات في فهم جماعة القسم وتحليل تفاعلاتها، ومختلف الميكانيزمات المتحكمة في سيرورتها كما تسمح بإيجاد المسلكيات القادرة على إحداث التغيرات الملائمة في عمل مناخ الجماعة وذلك عن طريق التدخل السيكوسوسيولوجي. ومن أشهر التقنيات المستخدمة في تحليل دينامية الجماعة: القياسات الاجتماعية أو السوسيرومترية، ويعد مارينو من أشهر الباحثين الذين قدموا دراسة خاصة للكشف عن المستوى المستتر في البنية التلقائية للجماعة الصغيرة.

يُعد المقياس السوسيومتري وسيلة للكشف عن البنية الخفية للجماعة. وهو عبارة عن استبانه تتضمن عدداً من الأسئلة توزع بالاسم على أفراد الجماعة مع اشتراط الإجابة الصادقة والتلقائية عن تلك الأسئلة، بحيث تكون الأجوبة معبرة عن الوضعية الداخلية للجماعة ممثلاً في أنشطتها وأهدافها المعبرة عن حياتها، وذلك بربط الأسئلة بالأجوبة معاً بما يتعلق بآراء أفرادها بغية

الوصول إلى معرفة البنية الداخلية لها، وطبيعة العلاقات التفاعلية لديها وتواصلها، حتى يمكن استثمار أهدافها استثماراً يتجه نحو الأفضل.

كما أن المكانة التي يحتلها الفرد واقعياً ضمن شبكة العلاقات داخل الجماعة، يمكن أن يدركها بشكل أفضل من خلالها، بحيث يشكل نظرته عن نفسه، كما يراها، وينظر إليها الآخرين.

والاختبار السوسيومتري يستوجب منا الوقوف على الأرقام والمعطيات، التي تتجاوز التحليل واستخراج الخلاصات والاستنتاجات تكمن أهميته أيضاً بالنسبة لجماعة، التركيز على عدد من القضايا نذكر منها، التشكيل، والتغير والاستمرارية، والاستقرار.

اتجاه نظرية التحليل النفسي:

يشير فرويد (Froued) بأن الجماعة يرتبط أفرادها بروابط شعورية ولا شعورية ويتعاملون فيما بينهم عن طريق الآليات التفاعلية كالتقمص والإسقاط والنكوص والامتثال، فحياة الفرد في الجماعة حسب التحليليين ترتبط بغرائز مختلفة من أبرزها حب البقاء وتلبية الرغبات الجنسية.

كما يعتقد أنصار (مدرسة التحليل النفسي) أن لا شيء يحدث بالصدفة في مجال السلوك والحياة النفسية، فكل سلوك يتحدد بأسبابه الموضوعية، وكل سلوك يجري لتحقيق غاية مرسومة، وذلك ينسحب حتى على أبسط السلوك الإنساني وأقلها أهمية، ويعد أبسط تجلياته سلوك يتسم بالغائية ويجري وفقاً لأسبابه الموضوعية، في ضوء عرض هذه النظرية يتضح بأن الفرد يوجه سلوكه نحو جماعته التي ينتمي إليها التي من خلالها يحقق رغباته وغرائزه؛ وفقاً لما ترسمه له الجماعة.

الخاتمة

بعد ما تم استعراضه في هذه الوحدة من موضوعات تتعلق في دراسة السلوك داخل الجماعة، ممثلاً في النظريات والاتجاهات التي حاولت تفسير ذلك بشكل علمي وموضوعي، متعلق في تشكيل الشخصية داخل الجماعات وبنائها، وهذا بحد ذاته يعد عاملاً مهماً في للتعرف على مدى تأثير الجماعات في الأساسيات البنائية للشخصية، ولذلك جاء كل اتجاه أو نظرية بوجهات نظر متباينة حول هذا الموضوع. فعلى سبيل المثال فسرت نظرية المجال تشكيل السلوك الإنساني من خلال المواقف الاجتماعية والنفسية التي تحدث داخل الجماعة. وكما أن اتجاه التنظيم الرسمي فسر تشكيل السلوك يتم من خلال تحديد الأهداف وربطها، بما تقوم به الجماعة في داخلها، وكذلك هناك نظريات اعتمدت على استخدام مقاييس سيومترية وفسرت ذلك من خلال التشكيل البنيوي لتلك العلاقات.

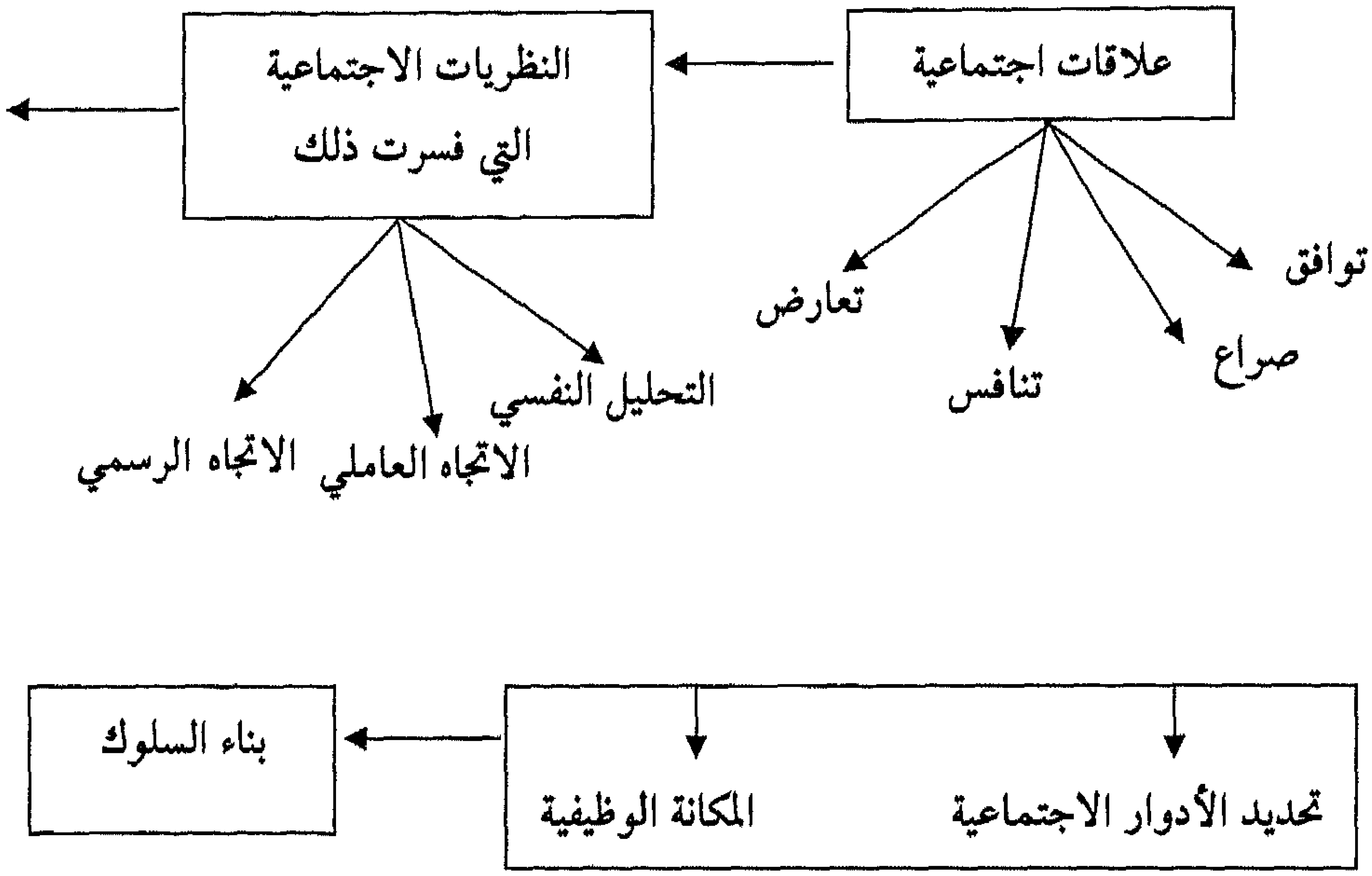
في ضوء ما سبق يمكن أن نؤكد بأن هذه الوحدة تقوم على ركيزتين لا ثالث هما:

الأولى: أن النظريات السابقة فسرت العلاقة بين الجماعة وأعضائها، بأنها علاقة مستمرة متسمة في التوافق والانسجام من جهة، والصراع من وجهة أخرى.

الثانية: الجماعة هي التي تحدد المكانة الوظيفية والاجتماعية ضمن

التسلسل اللهرمي الوظيفي والاجتماعي، وعلى هذا الأساس يتم تشكيل سلوك أفراد الجماعة.

والنموذج التالي يوضح ذلك



الوحدة السادسة

التغير داخل الجماعة

الوحدة السادسة

التغير داخل الجماعة

- مقدمة.
- أدوات التغير الاجتماعي وأشكاله.
- عوامل التغير الاجتماعي.
- مصادر التغير الاجتماعي.
- هل التغير يؤدي إلى الاستقرار أم الصراع داخل الجماعة؟
- معيقات التغير الاجتماعي.
- خاتمة.

الوحدة السادسة

التغير داخل الجماعة

مقدمة

ظاهرة التغير الاجتماعي مستمرة في حياتنا الحديثة، وهي من أجدر الظاهرات بالاهتمام والدراسة، فالحياة تتضمن التغير، ونحن ننمو في أدوارنا الاجتماعية وفقاً لظروف الحياة المستمرة المتغيرة، حيث كان التغير فيما مضى بطيئاً إذا ما قورن بالتغير في وقت الحاضر حيث يتسم بالسرعة في مجال التقدم والتطور خاصة من ناحية تكنولوجية ممثلاً في تطور وسائل الاتصالات كالانترنت والستلايت والخلويات.

ويقوم التغير الاجتماعي على فكر واضح، وحشد قوي وتخطيط دقيق، لبناء الدولة العصرية التي تستند إلى العلم والتكنولوجيا. والتغير الاجتماعي الذي نعيشه اليوم، وتغير مستمر وعميق الجذور، واسع النطاق وهادف المقصد، ولم يقتصر على مجرد المكنكة وتطوير أدوات الإنتاج، بل تناول كياننا الكوني، ووجهتنا وهويتنا.

ونلاحظ أن أغلب دراسات علم النفس الاجتماعي، ما زالت تنصب على الجماعات الصغيرة ولم تتوفر بعد الميسرة والسبل السهلة لدراسة القوانين التي تحكم المجتمعات، وقد جذبت ظاهرة التغير الاجتماعي اهتمام كثير من العلماء، وخاصة علماء النفس وعلماء الاجتماعي ورجال التربية والإعلام، ومن ثم دراسة التغير الاجتماعي من أولى الظاهرات التي لا بد أن يتكاتف في دراستها فريق متكامل يجمع كل هذه التخصصات.

في ضوء ما سبق يمكن تعريف التغير الاجتماعي بأنه كل تحول في النظم والأجهزة الاجتماعية، البنائية والوظيفية، خلال فترة زمنية محددة، وهذا التعريف ينسجم ما ذهب إليه دافيز (Davis) الذي أكد بأن التغير الاجتماعي هو التحول في التنظيم الاجتماعي القائم سواء في تركيبه وبنيانه أو في وظائفه.

حيث ستتطرق هذه الوحدة إلى أشكال التغير الاجتماعي والعوامل التي تؤدي إلى ذلك، ومصادر التغير وعلاقته بالاستقراء والصراع ومعيقات التغير.

أدوات التغير الاجتماعي وأشكاله:

من خلال العرض السابق المتعلق بالتغير الاجتماعي، لابد من التأكيد بأن هناك عدة أدوات لها تأثير واضح على عملية التغير، يمكن إجمالها على النحو التالي:

(1) هيئة المسرح للتغير الاجتماعي. (وسائل الإعلام بوسائلها المختلفة).

(2) العمل المباشر. (بين أعضاء الجماعة).

(3) الاحتجاج. (صورة من صور المظاهرات السلمية).

(4) التوجيه. (عن طريق التوجيه والتعليم).

(5) تنظيم المجتمع المحلي. (إيجاد المؤسسات النقابية والمؤسسات الحكومية).

(6) الثورة. (المدنية أو العسكرية).

(7) النشاط السياسي. (التوجيه السياسي المنظم).

في ضوء ما سبق يمكن أن يتمثل التغير في أشكال الجماعات على النحو التالي:

(1) من الناحية السياسية ممثلاً في أنظمة الحكم والايدلوجية السياسة.

(2) من الناحية الاجتماعية ممثلاً في عادات وتقاليد المجتمعات.

عوامل التغير الاجتماعي:

لقد ذكرنا الأدوات التي تساعد على التغير وأشكاله غير أن هناك عوامل تساعد على التغير، يمكن سردها على النحو الآتي:

(1) البيئة: وخاصة العوامل المادية التي تشمل الأحداث الطبيعية كالزلازل ونقص الموارد الاقتصادية، وتفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية، ومواردها. حيث يلعب ذلك دوراً هاماً في إحداثه في الحدود التي تسمح بها الظروف الطبيعية.

(2) الأفراد: يؤدي ظهور أفراد من المصلحين كالقادة، والفلاسفة والمفكرين إلى تغير اجتماعي ملحوظ.

(3) العامل البيولوجي الفعلي: وهذا يشير إلى توالي الأجيال واختلافها في بعض خصائصها الفعلية. (أي نمط الجيل الأول تختلف عن نمط الجيل الثاني).

(4) الأفكار والمعتقدات: تعد القوة الفكرية التي تعمل على تغيير النماذج الاجتماعية الواقعية، وفقاً لسياسة متكاملة تتخذ أساليب ووسائل هادفة وتساندها تبريرات اجتماعية، أو نظريات فلسفية أو أحكام عقائدية أفكار تقليدية، تنعكس آثارها على التنشئة الاجتماعية. الأسرية المجتمعية.

(5) التقدم التكنولوجي: إن للاختراعات والابتكارات والاكتشافات العلمية الجديدة المتجددة لها أثرها الكبير على التغير الاجتماعي.

(6) الاتصال الثقافي: ويشمل الاحتكام والتبادل الثقافي بين جماعات مختلفة ثقافياً، ويتم الانتشار عن طريق تقدم وسائل الدبلوماسية والإعلامية والاقتصادية من خلال السياحة.

(7) نمو الوعي القومي: تعتبر القومية من العوامل الدافعة للتغير الاجتماعي، فهي تشكل اتجاهات الجماعات وأفرادها وتنمي لديهم الشعور بالأمن والولاء وتوقظ شعور الجماعة بكيانها.

(8) الثورات: تقوم الثورات الوطنية من أجل إحداث تغيرات جزئية أو شاملة في بناء المجتمع ونظامه، وتعدل بعض الأوضاع طبقاً لفلسفتها القائمة.

(9) الحروب: تُعد من العوامل القوية في إحداث التغير الاجتماعي، إما بسبب ما يفرضه المنتصر على المهزوم حتى يدعم انتصاره، وما يفرضه المهزوم على نفسه حتى يزيل آثار الهزيمة، وخير مثال على ذلك ما حدث لكل من ألمانيا واليابان في الهزيمة التي منيتا بها بعد الحرب العالمية الثانية مما فرض ذلك واقعاً جديراً على كلاتا الدولتان من الناحية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

(10) عامل الزمن: إن لعامل الزمن قيمته في تحديد دينامية الجماعة والمجتمع، ونحن يجب أن ننظر إلى الجماعة على أنها تنظيم متحرك متغير، مع مرور الزمن، حيث يغير في شكلها ونشاطاتها وأفكارها ومعتقداتها.

مصادر التغير الاجتماعي وآلياته:

هناك ارتباط وثيق الصلة بين مصادر التغير الاجتماعي والآليات التي تسرع في هذا التغير، حيث سنحاول توضيح ذلك بشيء من التفصيل.

(1) المصادر الداخلية: تحدث نتيجة لتفاعلات، تتم داخل المجتمع أو النسق الاجتماعي، فتعمل على بلورة نوع من الوعي الداعي لتقبل للتغير، وخير مثال على ذلك القرارات الإدارية الخاصة في التعليم، والمشروعات الكبرى، وبعض الحركات الداعية للتجديد أو الإصلاح.

(2) المصادر الخارجية: تأتي من خارج المجتمع أو الجماعة، نتيجة انفتاح المجتمع واتصاله بغيره من المجتمعات الأخرى، وما ينتج عن ذلك من الاستيرادات والابتعاثات، أو تدخلات المنظمات الدولية والغزو والحروب، وهذا ما حدث في غزو امريكيا للعراق عام 2003.

على أية حال سواء أكان المصدر من الداخل، أم من الخارج، فإن ذلك يقوم على آليات محددة من شأنها أن تسرع في عملية التغير ويمكن إجمالها على النحو التالي:

(1) الاختراع والاكتشاف: يبدو في ابتكار أشياء جديدة لم تكن موجودة من قبل، كاكتشاف البترول الذي كان له أثراً بالغاً في المجتمعات الخليجية، المخترعات الأخرى كوسائل المواصلات ومختلف تقنيات التواصل لها دور كبير في التغير، وخير مثال استخدام شبكة الانترنت في الثورات الشعبية العربية أو ما يطلق عليه الربيع العربي كان له أثر بالغ التي حدثت في مطلع عام 2011.

(2) الذكاء والبيئة الثقافية: بلا شك أن الاختراع أو الاكتشاف يتطلب مستوى مرتفع من الذكاء والإبداع والمبادرات الواعية من الأشخاص والجماعات.

(3) الانتشار: يعني قبول المكتشفات والتفاعل مع المخترعات والتجديدات الوافدة من قبل أفراد المجتمع إلا أن المخترعات التي كتب لها النجاح أدت إلى عملية التغير الاجتماعي، حيث انتشرت وعمت لدى الكثير من المجتمعات الإنسانية العالمية على نطاق واسع كانتشار الفضائيات والانترنت وتوظيفها في خدمة إحداث التغيير وتوجيهها.

في ضوء ما سبق نؤكد على أهمية مصادر التغير الاجتماعي وآلياته في إيجاد واقعاً جديداً للمجتمعات الإنسانية لاسيما بأن تشكل المجتمعات في حالة تشكيل وتغير.

هل التغير يؤدي إلى الاستقرار أم الصراع داخل الجماعة؟

في ضوء ما تم عرضة فيما يتعلق بعملية التغير الاجتماعي بشكل خاص، والتغير التكنولوجي بشكل عام التي تتعلق في عملية التشكيل والحراك لدى المجتمعات الإنسانية لابد من طرح السؤال الذي مفاده هل التغير تؤدي إلى الاستقرار أم الصراع داخل الجماعة منها لابد من التأكيد على تفسير المصطلحات المتعلقة بهذا المجال كالصراع والتوازن وعلاقتها بالنظر للوصل إلى نتيجة عملية واقعية موضوعية.

1) الصراع:

أكد (أبنهايمر) بأن الصراع بأنواعه، في العصر الحديث، له أهمية في التغير الاجتماعي؛ لتأثيره العميق في بناء المجتمعات: الاقتصادية والسياسية الاجتماعية، ومعايير السلوك. الصراع بين الجماعات المختلفة، في داخل المجتمع، ما زال مصدراً رئيسياً للتجدد والتغير الاجتماعيين؛ وهو يشمل الصراعات الطبيعية، التي تمثّل عاملاً مهما من عوامل التغير، وخاصة في العصر الحديث؛ فضلاً عن اشتماله على الصراع بين الأجيال المختلفة، أي الأجيال القديمة، كجيل الأجداد والآباء والأجيال الحديثة؛ والأحفاد، والنقد المتبادل بينهما.

2) التوازن:

يعرف التوازن بأنه حالة الاستقرار والموائمة والانسجام ويكـون مـن آثـار التغير الاجتماعي في المجتمع، الذي شكل التوافق، وتحقيـق التـوازن والاسـتقرار الاجتماعي للمجتمع، واشار علماء الاجتمـاع. بـأن الـتغير الاجتمـاعي يمتلـك خاصية أساسية تتميز بها الحياة الاجتماعية، ممثلاً بقائها وغوصها، ومـن خلالهـا يتهيأ له التوافق مع الواقع لتحقيق التوازن والاستقرار الذي مـن خلالـه تواجـه الجماعات متطلبات أفرادها وسياساتهم المتجددة نتيجة لآثار التغير الاجتماعي.

وتقابل عملية التغير الاجتماعي عملية الضبط الاجتماعي، وهـي العمليـة التي تحاول بها الجماعة أو المجتمع عدم التمكين لأي تغير، من خـلال عـرض مـا سبق نجد بـأن هنـاك مُفّهومـاً علائقيـاً بـين عمليـة الـتغير وعلاقتهـا بالاسـتقرار والتوازن في تشكيل الجماعة وحراكها، يجب أن يؤدي ذلك إلى البناء الاجتماعي المتكامل وهـذا يُحـّدث توجيـه لسـلوك الأفـراد بحيـث لا ينحـرف عـن معـايير الجماعة.

ضمانات نجاح عملية التغير الاجتماعي

تشير الدراسات في مجالات التخطيط الإداري الاجتمـاعي، أنـه لابـد مـن وضع خطة تتعلق في وضع الأهداف والآليات تحقيقها ممثلاً في الاسـتراتيجيات وكيفية تفعيلها ويمكن إجمالها على النحو الآتي:

* التخطيط العلمي وأصالة النماذج القصوى للتغير الاجتماعي.
* الدراسة العلمية الشاملة للقيم والاتجاهات والمعـايير السـائدة في المجتمعـات ودراسة العوامل المؤثرة فيها، وتقييمها تمهيداً لتنفيذها.

* مراعاة الإطار التكاملي للتغير الاجتماعي، حتى لا يحدث وهن ثم شرخ ثم انهيار وانحلال مادي أو معنوي، نتيجة عدم المواكبة بين التغيرات التي تطرأ على مظهر أو مجال دون آخر.

* تحقيق التكامل بين عنصري الثقافة. المادي والمعنوي.

معيقات التغير الاجتماعي:

كما ذكرنا سابقاً بأن هناك علاقة وطيدة بين التغير والصراع بين الجماعات من ناحية واستقرارها من ناحية أخرى وتواجه عملية التغير الاجتماعي عوامل معيقة، داخل الجماعات من أهمها:

1. المصالح الذاتية: يجابه التغير الاجتماعي بالمعارضة من الآخرين داخل الجماعات الذين تهدد مصالحهم الذاتية. فقد يجبرون على مقاومة التغير بالمصالح؛ حرصاً على امتيازاتهم، مثل: معارضة أصحاب السيارات لبناء السكك الحديدية، لخوفهم من منافستها أو معارضة بعض العمال الزراعيين لدخول الآلة الزراعية، لتأثيرها في حياتهم.

2. العادات والتقاليد: تمثل بعض العادات القديمة والتقاليد المتوارثة، معوقات دون الابتكارات، ويتصلب هذا العائق حينما يكون الكبار والشيوخ هم العقدة؛ إذ يكبر عليهم تغيير عاداتهم.

3. الخوف من الجديد وتبجيل الماضي وتقديسه: الشك في الجديد وما سوف يأتي به، يُربي كلّ المجتمعات، وبخاصة التقليدية والمتخلفة. بتبجيل الماضي

وإجلال عاداته، تُعد من معوقات التغير. ولذلك طالما قاومت المجتمعات كلّ تغير، يعتبر ما ألفته من مفاهيم راسخة كالتغيرات التي تتعلق بخروج المرأة للعمل، أو للتعليم أو السفر إلى الخارج، أو إدخالها التكنولوجيا الحديثة.

4. العوامل البيئية: وهي تتعلق بالموقع والمناخ؛ فلقد أقر علماء الاجتماع، استناداً إلى مقدمة ابن خلدون التي ربطت بين المنطقة وطبيعة مناخها وأثر ذلك على سلوك الجماعات، بأن الموقع الجغرافي بدرجة ما تخلّف المجتمع، ففي المناطق الاستوائية، مثلاً، يكون المناخ أحد المعوقات الأساسية للتغير؛ إذ على الرغم من الحاجة إليه والشعور بأهميته، إلا أن الإنسان في تلك المناطق، يتسم بالكسل والإهمال أكثر من الإنسان في المناطق الشمالية.

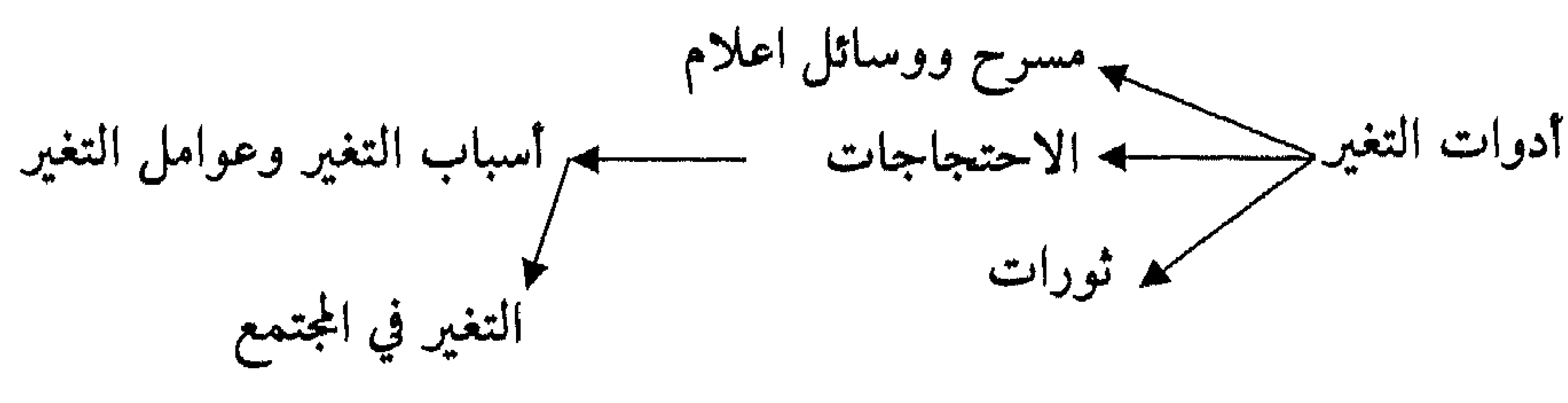
الخاتمة

يتضح بأن مفهوم التغير مفهوماً شاملاً ينصب على الأوضاع الراهنة، أو ما هو بالفعل، بمعنى آخر أنه ينصب على الوجود الحقيقي. فالتغير يشير إلى تبدُّل في الظواهر والأشياء، من دون أن يكون لذلك التغير اتجاه محدد يميزه؛ فقد يتضمن تقدماً وارتقاء، في بَعّض الأحيان؛ وقد ينطوي على تخلّف ونكّوص في بعضها الآخر. حيث جاءت هذه الوحدة موضحة مفهوم الصراع والتوازن داخل الجماعة، وحَدّدت الوسائل والأساليب التي تؤدي إلى التغير، وحددت أنواعه، وأشكاله، والمعيقات التي تقف في وجه التغير.

في ضوء ما سبق نستنتج نقطتان:

الأولى: أن الجماعة لا تتسم بالثبات والاستقرار، بل تتسم في التغير والاستمرارية بين فترة وأخرى، وهذا يعطيها صفة عدم الثبات.

الثانية: تعد الجماعة بمثابة البوتقة الأساسية التي يتم في داخلها تغير سلوك أفرادها من وقت لآخر، وهذا لا يتم إلا عبر عمليات الصراع والتوازن الذي يتصل اتصالاً مباشراً بمفهوم التغير، وعلى هذا الأساس يمكن تقديم نموذجاً يوضح هيكلية الوحده.



الوحدة السابعة

نظريات التغير داخل الجماعة

الوحدة السابعة

نظريات التغير داخل الجماعة

- مقدمة.
- نظريات التغير والقيادة.
- أساليب القيادة والتغير.
- خصائص القائد.
- نظريات تفسير التغير في الجماعة.

أولاً: نظرية المواقف الطارئة.

ثانياً: نظرية الصراع الاجتماعي.

ثالثاً: نظرية تطور الجماعات.

رابعاً: نظرية دراوين في الانتقاء الطبيعي.

خامساً: تفسير نظرية باريتو في التغير الاجتماعي.

- خاتمة.

الوحدة السابعة

نظريات التغير داخل الجماعة

مقدمة

من خلال دراستنا لنظريات التغير داخل الجماعة، نجد بأن هناك آراء وأفكاراً تدور حوّل تفسير الظروف والمواقف التي تؤدي إلى ظهور أنماط القيادة، ولهذا جاءت الوحدة موضحة ذلك التغير، حيث جاءت بعدة موضوعات تتعلق في هذا المجال.

نظريات التغير والقيادة

تعتبر القيادة ضرورة اجتماعية، موجودة منذ بدء الحياة الاجتماعية، فهناك قيادات مهنية وأخرى طبيعية، فالقيادة تلعب دوراً حيوياً في التأثير والتفاعل لتقود الجماعة نحو إنجاز الأهداف المحدده، أو ينتج عن ذلك تغييراً في البناء الاجتماعي. فالقيادة هي نوعاً من التطوير الاجتماعي والبيئي والنفسي بمعنى أنها تحقق تماسك الجماعة، ونلاحظ هنا أوجه الاختلاف بين نوعين من القيادة (المهنية والطبيعة) حيث يمكن توظيفها كما يراها الصاوي (Elsawi) فيما يلي:

أولاً: القيادة المهنية: يتم تعيين أفرادها غالباً من الجهات المتخصصة بالدولة أو المؤسسة العامة والخاصة التي يعملون فيها وفقاً لكفاءتهم في العمل أو لاعتبارات أخرى.

ثانياً: القيادة الطبيعية: يتم اختيار أفرادها من داخل الجماعة أو الهيئات أو المؤسسات ويتميز القائد الطبيعي بشعبية وحب زملائه له ويكون موضع

احترام وتقدير الجميع، وغالباً ما يتم وذلك عن طريق الانتخابات ويكـون غالباً كفء في أداء عمله.

وعلى أية حالة يمكن مقارنة ذلك بشكل موضوعي علمي بين النوعين بين القياديين:

(1) القائد المهني: يتم تجهيزه وإعداده قبل العمل، أما القائد الطبيعي فغالباً يتم إعداد وتجهيزه بعد الانتخابات.

(2) القائد المهني: يتم تعيينه غالباً من الأجهزة المختصة التي يعمل بها، أما القائد الطبيعي فيتم اختياره من قبل أعضاء الجماعة ويتم ذلك غالباً بالانتخاب، (الصاوي، **1968**)

(3) القائد المهني: يسهل إدارة النشاط ويعطي المثل أو التدريب لأفراد الجماعة، أما القائد الطبيعي فهو غالباً ما يتولى بنفسه قيادة النشاط والاشتراك فيه مباشرة.

(4) القائد المهني: لا يتدخل مباشرة في الجماعات التي يعمل معها، إلا في الحالات الضرورية حين يكون هناك مشكلات أو مواقف تتسم بالصعوبة يواجه المشكلات في كل الأحوال طبقاً للقواعد والقوانين واللوائح المعمول بها من قبل الجماعة والدولة.

ويؤكد علماء النفس والاجتماع في نظرية الرجل العظيم (Great man Theory) إن الرجال العظماء والذي يكون لهم دوراً بارزاً في المجتمع بأنهم يمتلكوا قدراً من القدرات والخصائص والمواهب تضعهم في مركز القيادة مهما كانت الظروف والمواقف المختلفة التي يواجهونها.

أما علم نظرية السمات (Trait theory) فهم يعتبروا أن القائد لديه

خصائص تكوينية داخلية (خصائص شخصية) تجعله قادراً على القيادة الناجحة بصرف النظر عن الاعتبارات الأخرى كالثقافة أو الموقف.

أما النظرية الوظيفية المادية (Functional Theory) وضحت مفهوم القيادة بأنها تهتم بخصائص القيادة، التي تساعدهم على تحقيق الأهداف، بصرف النظر عن البحث في الخصائص المتغيرة.

أما النظرية الموقفية (Situational Theory)، فهي تهتم بشخصية القائد في المواقف المختلفة، وتغير في السلوكيات، وفقاً للمواقف المتغيرة والظروف والقوى الاجتماعية المحيطة به، حيث يملك القائد قدراً قليلاً من السيطرة والنفوذ وفقاً لتلك المواقف.

كما أظهرت النظرية التفاعلية في القيادة التكامل والتفاعل بين مكوناتها المختلفة من خلال تفاعل القائد مع الجماعة.

ويختلف الأخصائي الاجتماعي عن كلٍ من القائد أو الرائد الرياضي. فلكل واحد له دوراً ومهاماً مختلفة، فالأخصائي يعتبر قائداً يعمل مع الجماعات وجهاً لوجه. بينما القائد يعمل بطريقة غير مباشرة لتحقيق أهدافه وغاياته.

كما أن أخصائي الجماعة لا يكون في بعض الأحيان عضواً فيها ويعمل من خلال مجموعة مواقف حياة الجماعة، خاضعاً لقواعدها وقوانينها ونظمها، أما قائد الجماعة يمتلك القوة الدافعة وراء التفاعل الجماعي فله دور المساعد أو الممكن الذي يساعدها في النمو لتحقيق أهدافها في ضوء الظروف والأوضاع المحيطة بها.

وتأكيداً لما أورده (الصاوي) وما ذكر سابقاً، فالقياده هي فنٌ تحتاج إلى مهارات وخبرة لكونها تأخذ جانب التغليب، كما أنها تشمل، القدرة

والاستعداد في التوجيه والتأثير والتفاعل مع الأفراد ومن خلال ذلك تحقق داخل الجماعة والتخطيط لإنجاز الأهداف لتحقيق التوازن والتغير البنائي. وهي نظرية تكاملية الأبعاد الأساسية، في تفسيرها للقيادة يمكن إجمال خصائصها النحو التالي:

* مؤثرة ومتفاعلة مع الأفراد ويتفق في ذلك مع النظرية التفاعلية على أساس التكامل.
* تتصف في التخطيط لإنجاز الأهداف، ويتفق ذلك مع أصحاب النظرية الوظيفية التي تهتم بدراسة خصائص الجماعة في سبيل تحقيق أهدافها.
* القيادة تحقق التوازن والتغير البنائي وفقاً للنظرية الموقفية (Situational Theory)، ويتم تحقيق التوازن الاجتماعي والنفسي والتغير في البناء الاجتماعي، وفقاً لطبيعة المواقف والظروف المحيطة بالمجتمع وبذلك يتم تحقيق أهداف النظرية التكاملية في خدمة المجتمع والجماعة.

أساليب القيادة والتغير

يعتبر الأسلوب القيادي هو وسيلة التغير في السلوك الذي يقوم به القائد ويتبعه لمساعدة الجماعة وإشباع متطلباتهم واحتياجاتهم لتحقيق الأهداف.

وقد تم تغيير أسلوب القيادة، وفقاً للمواقف والظروف حيث يقوم القائد بالسيطرة على الموقف وتعزيز العلاقات الإيجابية بين أعضاء الجماعة وهناك بعض القادة يتفانون بالعمل على حساب تعزيز العلاقات فإنجاز الواجبات لديهم (Achievement Task) أهم من إيجاد العلاقات بين أعضاء الجماعة.

في ضوء ما ورد ذكره، يتبين بأن التواصل هو إنشاء علاقات وطيدة بين أعضاء الجماعة خاصة فيما يتعلق في أساليب القيادة وفقاً لتغير الظروف ولهذا

تعددت أساليب القيادة منها الأسلوب الأوتوقارطي والمتساهل والإيجابية الديمقراطية، وهذا نجد ذاته يرتبط بطبيعة الجماعة من ناحية وطبيعة التغير الاجتماعي والسياسي من ناحية أخرى.

وعلى هذا الأساس إن تركيب الجماعات وثقافتها، يؤثر في تحديد سياسة القيادية، كما أن لنوع التغير وحجمه أثراً واضحاً في الجماعة، كما أن للتغيرات السياسية والاقتصادية أثراً واضحاً، ذو دلالة على تغير في أسلوب القيادة كما له أهمية واضحة في اختيار القيادة، وقد يكون ذلك على المستوى الثورات السليمة التي تؤدي إلى تغير القيادة الذي يتبعه تغيرات جذرية في المستوى الأيدلوجي السياسي والاجتماعي والاقتصادي في المجتمعات عامة وداخل الجماعات خاصة وعلى هذا الأساس يكون قد أدى إلى تغير في نمط حياة الجماعات وأفرادها كما هو الحال ما حدث في مصر وتونس.

والسؤال المحوري الذي يطرح نفسه علينا ما هي خصائص القائد؟

لقد اختلف العلماء في تحديد خصائصه، ولكنها جميعها تتفق على خصائص عامة أجمع معظمهم على تناولها ويمكن أن نذكر منها.

أ. الخصائص الشخصية وهي تتكون من خصائص ذاتية وأخرى مكتسبة ويمكن إجمالها على النحو التالي:

(1) القدرة على الإنجاز (Achievement) للتغلب على الصعوبات والضغوط التي توجهه في المواقف المختلفة.

(2) التأمل الذاتي (Interaction) وهي قدرة التحليل والتفسير وينعكس على سلوكه وتصرفاته.

(3) السيطرة وهي تعني التوجيه والإيحاء وإقناع الآخرين بغرض التأثير على سلوكهم وتوجيههم نحو الولاء والانتماء.

(4) الثبات الانفعالي. ويعني ذلك قدرته على ضبط نفسه في المواقف.

(5) التحكم في الذات. في جميع المواقف الاجتماعية التي يتعرض لها.

(6) الانضباطيه. يتجنب الانفعال والغضب والعصبية التي تفقده اتزانه الشخصي.

(7) الضبط والتحكم النفسي. التحكم بمشاعره في حالة الفرح والانبساط والغضب.

(8) تحمل المسؤولية. أي توجيه الآخرين وقيادتهم عن طريق الإقناع والعمل من أجل المصلحة العامة.

(9) الواقعية. قدرته على تحليل المواقف بشكل منطقي وواقعي استناداً إلى الظروف التي يتعرض لها.

(10) القدرة على إيجاد علاقات اجتماعية وقدرته على إيجاد التوافق والانسجام بين أعضاء جماعته، ويكون رأيه محل اتفاق الجميع.

(11) الصلابة والشدة في مواجهة الصعاب. عدم التهاون في المواقف التي يحتاج الحزم.

(12) الابتكار والإبداع إيجاد الحلول المناسبة لمواقف الصعبة التي يتعرض لها.

(13) الثقة بالنفس. أن يكون لديه قدراً كافياً من الثقة بنفسه في التعامل مع الآخرين. والمواقف الطارئة.

(14) الطموح والمثابرة. أي يمتاز بخاصية المثابرة، والصبر، والطموح، وينعكس ذلك على سلوكه.

(15) الـذكاء والـتفهم (الـذكاء الاجتمـاعي). يمتـاز بقـدر عـال مـن الـذكاء الاجتماعي بأنماطه مما يسهل عليه تكيفه مع الآخرين.

(16) التعاون والجدية. ان يكون متعاوناً بشكل جدي مع الجماعة الـتي ينتمـي إليها والعمل من أجل المصلحة العامة، على حساب المصلحة الخاصة.

(17) القابلية للتكيف. ان يكون قادراً على التكيف مع الظروف الطارئـة الـتي يتعرض لها بشكل خاص وجماعته بشكل عام.

ب. خصائص مهنية: يمكن أن نوضح هذه الخصائص عن طريق:

أ- المعرفة العلمية وتنقسم إلى قسـمين: الكفايـات العلميـة والثانيـة الكفايـات المهنية فالأولى تشمل النقاط الآتية:

(1) المؤهلات العلمية (الأكاديمية) الحاصل عليها القائد.

(2) الدراسات والبعثات التدريبية والتعليمية.

(3) الخبرات العلمية المكتوبة التي تمثل معرفته.

(4) الثقافة الرياضية وما تحتويه من قواعد وقـوانين ولـوائح أنظمـة وفقـاً للنظريات العالمية والمستخدمة في التعليم والتدريب.

(5) المراجع والكتب العلمية. وتشمل على قدرتة الابتكارية في المطالعة.

ب- بينما الكفايـات المهنيـة اكتسـاب المهـارات الفنيـة والحركيـة: كالمهـارات الأساسية والحركات المركبة والمراحل الفنية للمهارات والخطوات التعليمية.

نظريات تفسير التغير الاجتماعي

من خلال طرح ما سبق حول شخصية القائد، يمكـن التحـدث عـن عـدة نظريات، حاولت تفسير التغير الاجتماعي، يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أولاً: نظرية المواقف الطارئة

ترى هَذّه النظرية أنّ تفسير السلوك الذي يصدر عن الفرد لا يكون عفوياً، بل أنه يتأثر بمجموعة المواقف والظروف التي يتعرض لها الفرد من داخل الجماعة التي ينتمي إليها، أو من خارجها، كتأثير الجماعات الأخرى، أشار هيبو (Hebo) بأن هناك علاقة وطيدة وطردية بين تغير الظروف الذاتية الشخصية، والموضوعية المحيطة التي تؤثر في السلوك الإنساني، بحيث تجعله متوافقاً مع تلك الظروف، أو متصارعاً غير منسجمٍ مع تهديد الأمن النفسي لديه، خلاصة القول أن هذه النظرية جاءت بمركزين أساسين:

الأول: ظروف طارئة: يمكن للفرد أن يتكيف وينسجم معها داخل جماعته التي ينتمي إليها.

الثاني: ظروف طارئة تعيق التكيف النفسي والاجتماعي، مما يخلق لديه حالة الصراع وعدم الانسجام.

ثانياً: نظرية الصراع الاجتماعي

حاولت هذه النظرية تفسير حالة التغير عن طريق الصراع الذي يشكل سلوك الأفراد داخل الجماعات والتي ينتمون إليها وأشهر من كتب بهذا المجال، دارف داهوندوف (R. Dahrendof) الذي فسر ذلك.

يحدث الصراع الاجتماعي نتيجة لغياب الانسجام والتوازن والنظام والإجماع في محيط اجتماعي معين، ويحدث أيضاً نتيجة لوجود حالات من عدم الرضا حول توزيع الموارد المادية كالسلطة والدخل والملكية أو كليهما معاً. أما المحيط الاجتماعي المعني بالصراع فيشمل كل الجماعات سواء كانت صغيرة في المدن وفي ظاهرة تسود في الشعوب والأمم.

والفكرة الأساسية تتجلى في القول أن قضية الصراع بين المجموعات البشرية هي في الواقع ظاهرة عضوية في الحياة الإنسانية، والعلاقات السائدة بينهما. ويمكن إيراد نوعين من الأسباب حول استبطان الصراع الاجتماعي كظاهرة اجتماعية بين المجموعات البشرية:

(1) ثمة ما يسمى بـ"الرموز الثقافية" (Somblic culture) وهي نوع من الأسباب التي تؤدي إلى انسجام بين البشر أو إلى خصام، والخصام في هذا السياق قد يتجلى في الاختلاف على مفهوم السلطة المادية. فمن له الحق في السلطة وتملكها؟ ولماذا؟ هو سؤالٌ يسمح بنشوب صراع.

(2) ومن وجهة نظر ماركسية فإن قضية العدالة الاجتماعية تعد متغيراً بنيوياً في إثارة الصراعات الاجتماعية طالما أن هناك توزيع غير عادل للثروة. (كارل ماركس).

ويقدم علماء الاجتماع السياسي وعلماء الانثروبولوجيا، بعض التعريفات التي تساعدنا في التعرف على معنى الصراع في أدبيات العلوم الاجتماعية، ولنأخذ اثنين من هذه الأدبيات:

أولاً: رالف داهرندوف

يقدم عالم الاجتماع الألماني هذا الصراع على أنه "حصيلة العلاقات المضطربة بين الأفراد الذين ينعكس على الوقائع والأحداث في الجماعات وهذا بدوره يؤدي إلى تغير واقعي في البنية الاجتماعية للجماعة، ويؤثر بشكل مباشر في حياة الجماعة.

ثانياً: لويس كوزر

عالم اجتماع أمريكي معاصر اهتم بالنظرية الوظيفية وقدم مساهمة في

نظرية الصراع الاجتماعي، وأكد بأن الصراع ناتج عن اختزال في تقسيم الأدوار الوظيفية بشكل عادل بين الأفراد داخل الجماعات.

هذه المساهمة تعرف الصراع بـ:

"أنه مجابهة حول القيم أو الرغبة في امتلاك الجاه والقوة أو الموارد النادرة".

وفي هذا السياق للتعريف فإن الأطراف المتصارعة لا ينحصر اهتمامها بكسب الأشياء المرغوب فيها، بل أنها تهدف إلى وضع المناوئين إما في حالة حياد أو أن يقع الأضرار بهم أو القضاء عليهم.

مشروعية الصراع الاجتماعي

تهتم النظريات الاجتماعية باستكشاف أسباب الصراع الاجتماعي وانعكاساتها، وتحاول أن تطرح رؤى فكرية بخصوص إمكانية نفي المفهوم أو التحكم فيه. أي البحث في استخدام المفهوم وتوظيفه لتبرير غايات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو حتى فلسفية، ولكن كيف؟

إن الفكر النظري حول الصراع الاجتماعي هو فكر قديم جداً ولعل نظرية (كارل ماركس) حول الصراع الطبقي تمثل حصيلة لتراكم الرائد المعرفي لهذه النظرية. فالصراع الاجتماعي عند (ماركس) له جذور اقتصادية تشكل الطبقات الاجتماعية أساسه لدى المجموعات البشرية. فالصراع الطبقي حسب الماركسية هو القوة المحركة للتاريخ.

من جهة أخرى يرى البعض كـ" روبرت مالثوس" صاحب النظرية الشهيرة في السكان بأن الثروات وقتل الملايين من الأفراد عبر وسائل العنف المتعددة والمتنوعة هي مسألة ضرورية لتقدم البشرية. بعبارة أخرى فالصراع الاجتماعي

من هذا المنظور أساسياً وضرورياً لإحداث تغير اجتماعي إيجابي وكأن فلسفة التقدم والتنمية التي اجتاحت أوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي ما كان لها أن تنجح لولا البعد العنفي الكامن فيها، وفي هذا السياق يبدو أن للصراع وظيفة إيجابية.

أما بالنسبة لنظرية الصراع في علم الاجتماع، فيمكن الإشارة إلى نظرية الصراع الاجتماعي كطليعة للفكر الماركسي، فهي تُعَدُّ بديلاً للنظرية البنيوية الوظيفية، بل إنها تمثل مخرجاً للنظريتين فهي من جهة تحمل بذور الوظيفية وفي نفس الوقت تحمل بذور الماركسية لذا فهي تستعمل مضامين وجواهر كلا من الوظيفية والماركسية بحيث يستحيل ردّ أطروحاتها إلى أي من هما منفردة.

كنا قد أشرنا إلى النقد الذي تعرضت له البنيوية الوظيفية على عدة مستويات باعتبارها نظرية محافظة ذات طابع أيديولوجي وغير قادرة على التعامل مع التغيرات الاجتماعية كونها ركزت في انطلاقاتها على استقرار البنى الاجتماعية، حتى فقدت القدرة على تحليل الصراع الاجتماعي. لذا يمكن القول بأن نظرية الصراع الاجتماعي تمثل محاولة قام بها العديد من علماء الاجتماع للمحافظة على الاهتمام بمفهوم البنية والاعتناء بنفس الوقت بمفهوم الصراع.

ويعد كتاب عالم الاجتماع الأمريكي "لويس كوزر" المنشور تحت اسم "وظائف الصراع الاجتماعي (1950)" أول محاولة تنظيرية في هذا الصدد. أي أنه أول محاولة أمريكية تتعامل مع الصراع الاجتماعي انطلاقاً من رؤية البنيوية الوظيفية مما يعني أن كوزر انفرد نوعاً ما بنظرة إيجابية للصراع الاجتماعي. ومع ذلك فالبعض يرى أن دراسة الصراع الاجتماعي يجب أن يتجاوز الوظائف الاجتماعية الإيجابية لهذا الصراع. فما الذي يعنيه هذا البعض؟ (تيماشيف، **1975**).

المعنى يكمن في النظرية الماركسية. فلعل أبرز ضعف تشكو منه نظرية الصراع الاجتماعي هو فقدانها الأرضية النظرية الماركسية، ولعل الاستثناء الوحيد في هذا الميدان هو عالم الاجتماع الألماني "رالف داهر ندوف" الذي حاول تلقيح نظرية الصراع الاجتماعي بأطروحة الفكر الماركسي فكان كتابه "الطبقة وصراع الطبقات" أهم عمل سوسيولوجي حول نظرية الصراع الاجتماعي.

ومع هذا فإن داهرندوف يكاد يستعمل نفس الإطار التحليلي الذي تبناه علماء الاجتماع الوظيفيون "اللبنى والتنظيمات الاجتماعية". ومن ناحية أخرى فقد نبه داهرندوف إلى أن عناصر النسق الاجتماعي يمكن أن تعمل معاً متناسقة ويمكن أن تعرف صراعاً وتوترات ذات بال، فالمجتمعات تتمتع بحركية والصراع هو أحد ملامح هذه الحركية ومثلما أن هناك تناسق اجتماعي فثمة أيضاً مجابهات وتوترات اجتماعية.

وفي النهاية يمكن النظر إلى نظرية الصراع الاجتماعي على أنها مرحلة عابرة في تاريخ تكون النظرية السوسيولوجية. ويعود فشل تبلورها إلى عدم الاستفادة الكافية من الفكر الماركسي الذي كان انتشاره ضئيلاً قبل الخمسينات في القرن العشرين بين علماء الاجتماع الأمريكان ومع ذلك فنظريات الصراع هيأت الظروف المناسبة لقبول الفكر الماركسي بين المثقفين الأمريكان مع مطلع الستينات من نفس القرن.

ومما يؤخذ على نظرية الصراع الاجتماعي أيضاً أنها تركز في تحليلاتها على البنى الاجتماعية مهملة بذلك دور الأفراد وتفكيرهم وسلوكاتهم، فالوظيفة أصلاً لم تعد دوراً للفرد ولا أهمية له. والواقع أن علم الاجتماع الأمريكي لم يعط الفرد أي دور في فهم وتفسير الظواهر خلا نظرية التفاعل الرمزي للأنثروبولوجي الأمريكي "جورج هر برت ميد".

ضمن نظرية داهرندوف عددٍ من الأفكار ومقولات، يمكن عرض أبرزها في النقاط التالية:

(1) كل مجتمع يبقى عرضة بصفة دائمة إلى عملية التغير.

(2) أن العديد من عناصر النسق الاجتماعي تساعد على تفكك المجتمع وإحداث التغير فيه.

(3) كل مجتمع له نظام اجتماعي قائم على سلطة القهر والتهديد التي يمارسها أفراد المجتمع المنتصبون على قمة الهرم الاجتماعي. في ضوء ما سبق سنطرح عدة تساؤلات في هذا المجال:

فهل من الممكن أن يبقى المجتمع جامداً غير متحرك؟ وكيف نقيس سرعة التغير في المجتمع؟ هل هو بطيء، أم أنه يسجل قفزات؟ أم أنه ذو طبيعة شاملة؟ وما هي اساسيات التغيير؟

أن تربع طبقة، فئة، شريحة ما على قمة السلطة ستدفع إلى الهيمنة والتسلط وبالتالي ستمهد إلى صراع مكشوف على السلطة أو الحقوق.

(4) نظرية داهوندوف الاجتماعية تقوم على مبدأين:

* مبدأ الصراع (Conflect): ويهتم بدراسة صراعات المصالح، وأشكال القهر، التي تحافظ على سلامة المجتمع.

* مبدأ الوفاق (Consens Theory): يُمثل دراسة الدمج في المجتمع كالنظرية الوظيفية" مثلاً.

وهكذا يعترف داهرندوف أن المجتمع لا يمكن أن يوجد بدون وجود الصراع والوفاق معاً واللذان يكملان بعضهما البعض. ولأن الصراع يحدث في المجتمع الذي يسوده الاتفاق في جميع أجزائه فإن الصراع أيضاً يحدث طالما يولد

الحاجة إلى الوفاق وهذا يعني حسب نظرية الصراع أنه لـن يكـون هنـاك وجـود لأي مجتمع بدون حضور المبدأين الضروريين لبعضهما الـبعض. فـالمجتمع الـذي يسوده الاتفاق بين أجزائه لطالما يحدث فيه صراع بين أجزائـه والعكـس صـحيح فالصراع طالما يؤدي إلى اتفاق فيما بين أجزائه.

ثالثاً: نظرية تطور الجماعات

قبل البدء في شرح وتفسير هذه النظرية، لابد من طرح الأسئلة التالية الـتي تدور حول هذه النظرية.

ما هو التطور؟..، وكيف يطـرأ علـى الأنـواع والأجنـاس؟... هـل جميـع الأنواع تتطور أم أن بعضها ينجو وتكون فرصته أفضل بالتطور؟ أما الباقي فإنـه يزول وينقرض؟... ثم ما هو تفسير الاختلاف الحاصل بين أنواع الكائنات الحية بالرغم من أنها جميعها صممت بطريقة مناسبة ولائقة بغرض الـتلاؤم والتكيـف مع متغيرات البيئة المحيطة بها؟

في ضوء الدراسات والاكتشافات الحالية، ليس من المؤكـد أن كـل مخلـوق قد خلقه الله عز وجل بطريقة مفردة أو موجهة باتجاه معين، حيث يمتنع أن يكون هناك انفصال أو انقطاع في نشوء الكائنـات الحيـة لأن ذلـك سيؤدي إلى ظهـور شرخ كبير بين مختلف أنواع الكائنات الحية في النظام البيئي، فحين يتصل وجـود كائن ما مع باقي الكائنات الأخرى، يصبح معتمداً على الآخرين، السـبب وراء تنوع الكائنات الحية، وفي الحقيقة أن هناك الكثير من المخلوقات الـتي عاشـت في الماضي السحيق قد تغيرت وتطورت حتى أصبحت على الشكل الذي هي عليه الآن، حيث أن هذه الفترة الزمنية الطويلـة وعوامـل الطبيعـة المـؤثرة عليهـا قـد ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في عملية تصـميم هـذه الكائنـات البدائيـة،

كما أنها كان لها الدور الكبير والأساسي في تطوير بنى هذه البدائيات إلى كائنات ذات بنى متطورة، ويمكن تفسير هذه الظاهرة العبقرية فقط على خلفية (إعادة أعمال البناء والهدم): وهو الحل الأنسب الذي تم إيجاده كي يلاءم ويوافق الملاحظات والدلائل الحالية، ولإرضاء العقول المنطقية والعلمية، وهذا ما يطلق عليه اسم "التطور" (Devlop).

وبإمكاننا أن نعبر عن هذه النظرية بطريقة بسيطة ومختصرة" ((كافة الكائنات المعقدة والمتطورة التي نراها في الوقت الحالي، هي نتيجة تحولات وتغيرات تدريجية متأنية حدثت لكائنات بسيطة وبدائية كانت موجودة في الماضي السحيق)).

طبعاً، إن هذا النموذج المختصر والمبسط للنظرية لا يسعى لتفسير كيفية حدوث تلك الأشياء، وتبرير الغاية منها، بل يفيدنا بأن تلك الأشياء قد حدثت فحسب، ومن دون سبب معين. والحقيقة أننا لم نتمكن حتى الآن من فهم عملية تطور المح في جوف البيضة إلى صوص كامل. وفوق ذلك، فنحن لا نعرف كيف ولماذا تطورت الكائنات من بنى متدنية بدائية وبسيطة إلى كائنات ذات بنى معقدة ومركبة ومتطورة ومتخصصة كما هي اليوم، جميعنا يعلم أن داروين (Darween) كان المفكر التطوري الأول على الإطلاق، إلا أننا يمكننا أن نلاحظ بعض الأفكار التطورية ضمن أفكار المفكرين اليونانيين المبتكرين، بالإضافة إلى مفكري وعلماء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. إلا أن أفكارهم كانت إما غريبة أو مبهمة وغامضة.

ما عرضه هذه النظرية، محاولة حادة في تفسير التطور البيولوجي لدى الكائنات الحية وقدمت فكرة متكاملة حول تفسير هذا التطور وهذا ينطبق على

التطور الاجتماعي بين الجماعة وأعضائها لكي يشكل نسقاً اجتماعياً متكاملاً، مرتبط بالعلاقات داخل الجماعة من توافق وصراع يؤدي إلى التفاعل الاجتماعي بحيث يؤدي إلى عملية التشكيل الاجتماعي.

* في ضوء ما سبق يمكننا ملاحظة فكرة التغير قديماً في ميثولوجيات(*) العالم القديم مثل بلاد ما بين النهرين والحضارة المصرية الفرعونية، بالإضافة إلى الشعوب الإفريقية القديمة، إذ أنها جميعها قائمة على فكرة التغير وبأن صراعاً ما نشب في الماضي السحيق بين نظامين: أحدهما قديم وبدائي وهمجي، والآخر ناجم عنه ويتصف بالجدة والتعقيد والرقي.

* منذ ما قبل عام (450) ق. م كان الفيلسوف الإغريقي أمبادوفليس قد تصوّر فكرة بسيطة وغير معقدة عن التطور، لكنها لا تختلف كثيراً عن المفهوم العصري. فقد عرض فكرته (وعاء الطبيعة) كمسرحية، حيث أدخل فيها بعض عناصره التي يمتزج فيها الاختلاط والتشويش واللاتجانس، كتصور مخلوقات بلا رؤوس أو ذراع، وأذرع بلا أكتاف، وأجساد بلا أعضاء، وبنى خيالية أخرى لا تخطر على بال. ولكن ينتج من تقابل هذه الأجزاء واتحادها أن أدخل أمبادوقليس في عرضه هذا أجسام بشرية ذات رؤوس تحمل قروناً، وثيراناً لها أرجل بشرية، وأشكال غريبة أخرى.

* معظم تلك المخلوقات- بالنسبة لأمبادوقليس- قد اختفت بنفس السرعة التي ظهرت فيها، وانقرضت عن بكرة أبيها حيث أنها لم تكن صالحة أو

(*) ميثولوجيا: يُعرف علم الغيبيات، الذي يفسر الظاهرة على أساس غيبي دون إبداء لأسباب وقد يعرف بأنه قائم على الخيال والخرافة.

مهيأة للعيش، وكانت نادرة جداً، في حين أن أنواعاً أخرى كانت قد تكيفت مع بيئتها المحيطة، ومع بعضها البعض، وقد تمكنت تلك الكائنات من البقاء والاستمرار.

* هيراقليطس: حوالي عام (500) ق. م، وهو يسمى بفيلسوف التغير والصيرورة. فهو يرى أن السمة الرئيسية للطبيعة هي التغير المتواصل، ويقول "أن كل الأشياء في تغير متصل" حيث أن الموجودات تتغير وتتحول من شيء إلى شيء آخر، ولا شيء يبقى ثابتاً إلى الأبد، لذلك نحن لا نستطيع الاستحمام بنفس ماء النهر مرتين، حسب قوله.

أشار هيراقليطس إلى أن التغير يعزى إلى التفاعل المستمر بين الأضداد في هذا العالم، وهذا التفاعل أو الصراع متجذر ومتأصل في العالم، ونتيجة هذا الصراع بين الأضداد والتناقضات تنشأ أشياء جديدة في هذا العالم، أو قد تتحول الأشياء القديمة إلى أشياء جديدة ومختلفة عما كانت في السابق، قد لا نلاحظ سمات التطور بمعناه (الدارويني) في فلسفة هيراقليطس، فالتغير قد لا يعني في جميع الأحيان الانتقال من الجيد إلى السيئ أو من الكون إلى الفساد. إلا أننا بإمكاننا أن نقيم على أفكاره عن التغير والصيرورة مذهباً في التطور.

* أرسطو: منذ أكثر من 2000 عام مضى كان الفيلسوف اليوناني والمعلم الأول يقول ((إن الطبيعة تنزع إلى الانتقال من المادة الجامدة والميتة إلى المادة الواعية الحية وبشكل تدريجي صرف، حيث أن الحد الفاصل بينهما غير واضح أو محدد)). ومهما يكن المعنى الذي يرمي إليه أرسطو في هذه العبارة، فستتضح حقيقته وتظهر معالمه مع تقدم علومنا وتقنياتنا.

إن فكرة أن الطبيعة العبقرية قد قامت بالكثير من العمليات التطورية

والانتقالية وبمنتهى البطء والفاعلية قد لمعت في عقول الكثيرين منذ أقدم العصور، فأحياناً كانت عن طريق الحدس والتخمين، وأحياناً أخرى كانت كنتيجة لازمة لدراسات وبحوث بدائية ومبكرة. (الجوهري، **1995**).

وهدفنا إن المعرفة المعاصرة، تعد أفكار لامبادوقليس بسيطة وساذجة ولذلك جاءت عدة آراء وأفكار حول هذه المعرفة، إلا أنها كانت تصف بشكل طفيف وبسيط نظرية التطور حسب مبدأ الانتقاء الطبيعي:

* في القرن الثامن عشر: كان (جورج لويس ليكليرك دو بوفو) 1707- 1788 أول حديث يكتب عن هذا الموضوع، وهو الذي قدم نظرية في التغير المباشر الذي يحصل للحيوانات بفعل العوامل والشروط البيئية المحيطة بها.

* أما (بيير لويس مورو) الذي تم ذكره في راوية هربرت جورج ويلز (جزيرة الدكتور مورو)، إذ أنه وضع نظرية في التطور البيولوجي معتمداً بذلك على مبدأ التحوّل الوراثي والاصطفاء الطبيعي، والعزلة الجغرافية. وهذه النظرية هي التي أذنت بالاقتراب من الشكل الحالي للنظرية التطورية.

* أما بخصوص العالم البيولوجي الفرنسي (لامارك 1477- 1829)، وهو أول عالم قدم صورة دقيقة ومفصلة للتطور البيولوجي، حيث أنه قد تصور وجود نوع من المعرفة الأولية والبدائية في هذا العالم، بالإضافة إلى تقديمه نظرية جديدة ومتماسكة تشرح مبدأ التطور. إلا أننا لا نقبل لامارك في الوقت الحالي في ظل هذا التقدم الذي حققناه في مجال العلم والتكنولوجيا، فنظرية لامارك تعبر عن التغيرات التصاعدية، التراكمية

ترى أن الكائنات الحية وخصوصاً البسيطة منها لديها الميـل (Tendency) لتطوير نفسها والانتقال بنفسها من البنى الحيوية البسـيطة إلى بنـى أعقـد، وهذا الكلام غير منطقي لأن كلمة ميـل تـرتبط بـالإرادة والرغبـة، إذ أن الحيوانات لا تمتلك تلك الإرادة وذلك الميل لتطوير نفسـها، بـل إن هـذه التطورات والتغيرات تفرض عليها بتأثير البيئة المحيطة بها.

* هناك عالم آخر لابد من ذكره هو الناشر الاسكتلندي (روبرت تشـامبرز)، حيث تعرض لنظريـة التطـور في كتابـه (آثـار التـاريخ الطبيعـي للخلـق) عام 1844.

* إيراموس داروين، العالم البيولوجي الشهير وجـد تشـارلز داروين، قـدم فكرة هامة تقول أن كافة الكائنات المتشابهة والمتماثلة قد نشأت وانحدرت من كائنات أخرى من نوعها. وقد فسر مذهبه هذا بافتراض أن النمـوذج الأصلي أو الكائن الأول من نوعه قد ظهـر بشـكل بسـيط وبـدائي، مـع طبيعة وقدرة بدائية لاكتساب أجزاء وصـفات جديـدة، وهـذه القـدرة أو القابلية تكون على شكل حاجة ملحة أو دافع يمنحه القابليـة والاسـتعداد لمواجهة الطبيعة والمحيط.

* كمـا أن هنـاك العلمـان البيولوجيـان الفريـد رسـل والاس، وروبـيرت مالتوس وسنتحدث عنهما أثناء حديثنا عن داروين، وذلك بسبب التـأثير الذي تركته أفكارهما عليه.

* ومـــن رواد هـــذا المجـــال في القـــرن التاســـع عشـــر: هربـــرت سبنســـر (1829- 1903) وهو في الأصـل فيلسـوف، لكنـه أيضـاً عـالم بيولـوجي متخصص، حتى أنه قد أسس مذهبه في التطور وبشر به قبل عدة سـنوات

من ظهور كتاب "أصل الأنواع" لتشارلز داروين- والذي أعتبر على أنه قنبلة الموسم آنذاك- إلا أن سبنسر كان في طليعة من عبر عن أفكاره، وقد شاركه في آراءه العديد من علماء البيئة والبيولوجيا في عصره.

* عام 1900 قام (غريغور مندل) بدراسة عملية التوارث، وبذلك تمت ولادة علم الجينات أو دراسة المادة الوراثية لأول مرة.

* خلال فترة العشرينات قام كل من فيشر، هالدين، ورايت- وهم علماء رياضيين- بإثبات أن النظرية الجينية ونظرية الانتقاء الطبيعي مترابطتان، وأنهما تشتركان في الكثير من القواسم المشتركة، وبذلك قاموا بالتأسيس لعلم الجينات الذي أصبح النقطة المركزية في أبحاث التطور.

* كما أن تكامل علم السكان الوراثي مع الحقول العلمية التقليدية ذات الاتجاه التطوري كعلم التشريح، علم الطبيعيات القديمة، وعلم التصنيف قد تلقي دفعة إلى الأمام خلال فترة أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات بفضل كتابات كل من دوفانسكي (عالم الجينات) وماير (خبير أنظمة)، وسيمبسون (عالم في الطبيعيات القديمة).

* أعطى جوليان هكسلي في كتابه (التطور: التركيب الجديد) (1942) اسماً جديداً للنظرية الداروينية المحدثة: النظرية التركيبية.

* عام 1953 نقل كل من فرانسيس كريك وجيمس واطسون الاهتمام التطوري إلى المستوى الجزيئي من خلال نموذجهم الذي يصف بنية الحمض النووي الرايزسي المنقوص الأكسجين أو المادة الوراثية (DNA) كما هو متعارف.

من خلال تطور أصل المعرفة في تطور الإنسان وارتقائه سواء أكان نظرة

قديمة، أو معاصرة، فإن الإنسان ككائن حي يتطور في صفاته البيولوجية، فمثلاً ذلك في تطور البيولوجي، ينعكس ذلك على تطور فكره المعرفي الذي يُطّور بناءه الاجتماعي ضمن الجماعة التي يتبني إليها.

رابعاً: نظرية داروين في الانتقاء الطبيعي

كما أسلفت من قبل، إن نظرية التطور تعود في جذورها إلى عهد قديم جداً، ولم يكتشفها داروين كما هو الاعتقاد السائد. فقد رأينا أنها نشأت مع الحضارات القديمة، وأخذت بالتطور في كل عصر تدخل فيه، لكن داروين كان- على غرار من سبقه من العلماء- قد اكتشف نظرية ذكية لتفسير التطور الحاصل للأنواع الحية، ويتمثل رأيه في نظرية الانتقاء الطبيعي (Natural Selection).

كان داروين قد صرح في أحدى المؤتمرات العلمية أنه مدين بنظريته لمالثوس، ومالثوس هذا هو روبرت مالثوس (1766- 1834) الذي كان لكتاباته تأثير مشابه لتأثير (الفريد والاس) الذي أرسل عام 1858 مخطوطة إلى داروين يورد فيها استنتاجاً مشابهاً في جوهره للاستنتاج الذي توصل إليه داروين.

كان مالثوس راعياً في أبرشية ألبوري، كما أنه كان خبيراً في علم الاقتصاد، وفي عام (1798) نشر مقالته بعنوان "مقالة في السكان" ناقش فيها فكرة خطيرة جداً تقول أن الجنس البشري ينزع دائماً إلى الحفاظ على بقاءه واستمراره، ومواجهة كافة العقبات والأخطار التي تهدد وجوده واستمراره، وتتمثل هذه العوائق في الحروب والأوبئة والصراعات، وهذا ما أطلق عليه اسم "العوائق الإيجابية"، كما أن هناك شيء أطلق عليه اسم "التقييد الأخلاقي" ولكن هذا التقييد

لا يفيد في شيء سوى في تليين أو إرجاء عامل العوائق والعقبات الإيجابية، كما يعتقد مالتوس.

أطلع داروين على المقالة، واكتشف فكرة جديدة هي "الصراع من أجل البقاء" وقد أثرت عليه هذه المقولة تأثيراً عميقاً حيث أنه كتب فيما بعد يقول ((إن ما أعجبني حقاً هو أنه تحت تلك الظروف والتغيرات تكون النتيجة ذات وجهين: الوجه الأزل هو التغيرات الجيدة، حيث أنها تنزع لأن تكون بناءة ومفيدة، بينما التغيرات الأخرى، السيئة أو الرديئة فعادةً ما تكون هدامة ومهلكة. وتبعاً لهذه العلاقة سوف تكون هناك تشكيلات جديدة لأجناس جديدة، والآن ظهر لدى هذه نظرية فكرة، ممتازة يمكن العمل عليها)).

بفضل توصيات بعض الأصدقاء تقدم داروين عام (1831) بطلب للانضمام إلى بعثة علمية للإبحار حول العالم بصفته اختصاصي في علم البيئة، وكانت البعثة على متن السفينة الملكية "بيجل (Beagle)" التي استمرت في رحلتها قرابة أربع سنوات ونصف، قدمت لداروين إثارة كبيرة حيث أنها ساعدته فيما بعد في استنتاج صيغة متسقة ومتماسكة لنظريته. وبعدها عمل على مؤلفه الفريد والمتميز مدة اثنا عشر عاماً قبل أن يتم اعتبار العمل منتهياً وجاهزاً للنشر. وبعدها نشر عمله العظيم (في أصل الأنواع) من خلال الانتقاء الطبيعي.

إن الاهتمام الكبير والهائل بالأفكار الواردة في الكتاب يبدو واضحاً وجلياً من خلال المبيعات الهائلة لهذا الكتاب خلال المئة والعشرين عاماً، فعاصفة الجدل والنقاش وسوء الفهم، بدأت حين تم تفسير أفكار داروين وآراءه الثورية بطريقة جزئية ومبتورة، فحتى منتصف القرن التاسع عشر كان بعض رجال العلم يدرسون بجدية تلك المستحدثات بعد أن نقدوا نظرية الخلق التي ورد ذكرها في

كتاب التوراة، حيث أنهم كانوا يعتقدون أن تلك القصة يجب أخذها ودفنها تحت التراب بسبب الأضاليل والتناقضات التي قدمتها للجنس البشري على مدى مئات السنوات.

ويجب ألا ننسى أنه في منتصف العشرينات من القرن العشرين كان الذين يؤمنون بصحة نظرية التطور يتهمون ويدانون من قبل الكنيسة، كما منع تعليم نظرية داروين في المدارس والجامعات، وحتى يومنا هذا: فمن يؤمن بنظرية التطور سيواجه الكثير من الانتقادات والاتهامات وعلى اختلاف أشكالها من قبل بعض المتشددين، كأن يتهم بأنه مادي ويؤمن بأن الإنسان انحدر من القرود، وبهذا نرى بأن هذه النظرية رفضت للاعتبارات دينية وأخلاقية لأن أصل الإنسان ليس منحدر من القرود لأن هذا ينافي المعتقدات الدينية.

خامساً: نظرية باريتو (Bareto) في التغير الاجتماعي:

هدفت هذه النظرية إلى تفسير القوى الحقيقية التي تحدد حالة التوازن في النسق الاجتماعي، بمعنى البحث عن العوامل التي تعمل على ترتيب العناصر في النسق التي تحقق التوازن، أي تفسير حالة الاستقرار في النسق الاجتماعي، التي تتضمن (التركيز على الديناميكيات الاجتماعية للصراع والتغير).

الافتراض الرئيسي لدى (باريتو) تقسيمه للنشاط الاجتماعي إلى نمطين من (الفعل) منطقي وغير منطقي:

1. منطقي: إذ له (هدف، ووسيلة، وبينهما اتفاق)، (أي تتطابق النهاية الموضوعية، مع الغرض الذاتي في النشاط الاجتماعي) ويتطلب ذلك أن تتوفر الوسائل لتحقيق الأهداف موضوعية.
2. اللامنطقي: لا تقوم على هدف ولا وسيلة وهي تنشأ تحت تأثير العواطف

وهي التي تتحكم فيه. واعتبر أن (معظم النشاط الاجتماعي) تتكون من الأفعال اللامنطقية، بمعنى جعل أفعالنا تقع في اللامنطقي، وتدعمها (الرواسب) وهي موجودة داخلنا لا نشعر بها، واعتبر أن الأفكار اللامنطقية هي أسس لعدد من أنماط القوى أو الرواسب التي تحدد التوازن الاجتماعي.

وتنقسم هذه الرواسب إلى ستة رواسب تعمل من أجل التوازن الاجتماعي واطلق عليها القوى الاجتماعية وهي تدفع للفعل الاجتماعي وعلى هذا الاساس يمكن أن تقدم الملامح الاساسيه لتشكيل الفعل الاجتماعي.

(1) غريزة جماعات التآلف وتعمل على اندماج الأفكار المتشابهة، فتتكون الرواسب (قوى اجتماعية) توجه الفعل الإنساني.

(2) قوى الجماعات الدائمة: كالأسرة والميل للمحافظة على هذه التجمعات.

(3) الحاجة للتعبير عن المشاعر بالأفعال الخارجية كالتصفيق عند الفرح، وعند الاستحسان، والصلاة كشكر لله.

(4) طقوس الاستئناس بالجماعات وهي تتعلق بالرغبة في التطابق مع الجماعة والامتثال لتقاليدها وتدخل ضمن التضحية بالنفس.

(5) قوى تكامل الفرد مع أقرانه وتتعلق بالمساواة ليحظى الدخول والانتماء في الجماعة مثل (التدخين) فيما يتماشى مع ميولهم فيجامهلم. وهذا يكون ضمن الشلة.

واعتبر باريتو أن (قوى الرواسب) يقربها، وتقوم على (مشتقاتها) وهي تبريرات عقلية للرواسب لأنها تتكون وراء السلوك اللامنطقي فيحتاج إلى مبررات أو مشتقات وظيفتها إفضاء المعقولية أو الرشد الاجتماعي.

بمعنى الفعل يؤدي إلى رواسب (قوى داخلنا)، هي أساس الفعل والتي

تقوم على مبررات وهي بمثابة الأشياء التي نستخدمها لـدعم التبريـرات العقليـة للأفعال اللامنطقية التي نقوم بها مثل الكذب.

أصناف التبريرات (المشتقات):

التبررات تتعلق في المواقف والأفعال التي يقوم بها الأفراد والجماعات فيما بينهم حتى يجدوا نوعاً مـن التفاعـل الاجتمـاعي وفي ضـوء مـا تقـدم يمكـن أن نوضح أصنافها وهي على النحو التالي:

(1) التأكيد وهي حقائق واقعية أو تخيلة لتبرير العقل.

(2) السلطة وهي الاعتماد على مصادر لها لتبرير أفعالها.

(3) التطابق مع المشاعر والمبادئ وهـي تبريـر الأفعـال لأنهـا تقـوم علـى مصلحة الآخرين.

(4) براهين لفظية كالأمثال الشعبية، ذات صلة في طبيعة الموقف الحادث.

واعتبر باريتو أن أصناف وأنماط القوى والرواسب تتوزع في المجتمع خلال البناء الطبقي وتعمل (من أجل التوازن والتساند) وهذا ما يميز نظرية باريتو، عن نظرية كارل ماركس، فالأولى تركز على الطبقية الاجتماعية وفقاً لمعـايير خاصـة، بينما الثانية تركز على معايير مادية في تفسير الظواهر الاجتماعية.

الخاتمة

يتضح أن نظريات التغير تُعد من النظريات الاجتماعية الهامة التي حاولت أن تفسر التغير الاجتماعي داخل الجماعة حيث وضحت الأسباب الظاهرة والكامنة ذات الصلة المباشرة في عملية التغير، في كل من البناء الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي وهذا بحد ذاته يشكل مجموعة المبادئ والقوانين التي يستخلصها الباحثون في تفسير الظواهر الاجتماعية داخل الجماعة.

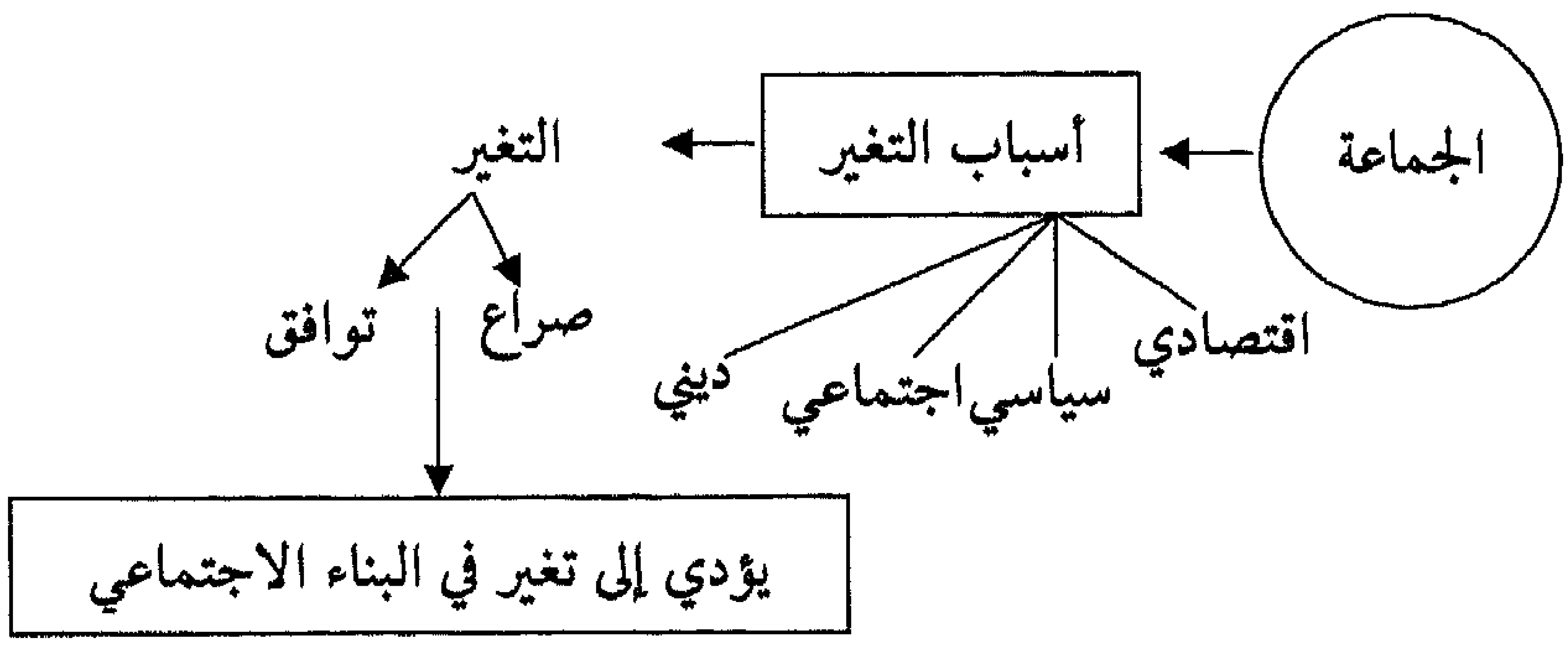
بما أن هذه النظريات فسرت التغير استناداً لعملية التطور والارتقاء الإنساني، بالنسبة للفرد، وهذا بحد ذاته يشكل مفهوماً ذو العلاقة في تطور الجماعات والأفراد في ضوء ما سبق يمكن أن نصل إلى ثلاث نقاط:

أولاً: يُعد التغير عملية وسمة عامة لا يخلو منها أي مجتمع من المجتمعات وهذا بحد ذاته ينعكس على سلوك الأفراد والجماعات معاً.

ثانياً: أن التغير والتطور صفتان متلازمتان لا يمكن الفصل بينهما، خاصة في مجال الكائنات الحية بشكل عام والمجتمعات الإنسانية بشكل خاص.

ثالثاً: ما ينجم عن التغير، تغير في البناء الاجتماعي، وتغير في التفاعل الاجتماعي ممثلاً في البنى الفكرية والسلوكية لدى الأفراد والجماعات.

وتأكيداً عن ذلك على نوضح ذلك بالنموذج التالي:



الوحدة الثامنة

أشكال الاتصال داخل الجماعة

الوحدة الثامنة

أشكال الاتصال داخل الجماعة

- مقدمة.
- تعريف عملية الاتصال الاجتماعي.
- أهداف الاتصال الاجتماعي.
- عناصر الاتصال الاجتماعي.
- أنواع الاتصال الاجتماعي.
- أساليب الاتصال الاجتماعي.
- أهمية الاتصال الاجتماعي.
- معوقات الاتصال الاجتماعي.
- أساسيات الاتصال الاجتماعي.
- أشكال الاتصال الاجتماعي.
- خاتمة.

الوحدة الثامنة

أشكال الاتصال داخل الجماعة

مقدمة:

يعد الاتصال أمراً هاماً في المجتمعات الإنسانية التي تكون في حالة تغير وتطور مستمر، وحتى يثبت الأفراد وجودهم ويستطيعوا التفاهم والتأثير في بعضهم البعض، فلا بد من حدوث عملية اتصال بجميع أنواعها فيما بينهم. وحيث تعتبر من المرتكزات الأساسية للعلاقات والصلات الإنسانية.

ومن أدوات الاتصال، الاتصال المادي كالرسائل والصحافة والنشرات والراديو والتلفزيون والبرق والبريد والخلويات وشبكة المعلومات والستلايت وغيرها من الوسائل الأخرى، وبالإضافة إلى ذلك توجد الاتصالات الإدارية والتي تختص بتبادل المعلومات والبيانات والأوامر فيما بين المستويات التنظيمية المختلفة في الجماعة، وفيما بين الجماعة، وبكل ما يحيط بها في البيئة الخارجية التي تعمل في نطاقها: وهذا ما سيتم التطرق إليه في هذه الوحدة.

تعريف عملية الاتصال الاجتماعي:

العملية التي من خلالها تنتقل المعرفة من شخص لآخر حتى تصبح مشاعاً بينهم بحيث تؤدي إلى التفاهم بين هذين الشخصين، أو تسعى إلى تحقيق تعلم يؤثر فيهم، مما يخضعها للملاحظة والبحث والتجريب والدراسة العلمية بوجه عام".

والاتصال الشخصي بين الجماعات عبارة عن "عملية نقل هادفة للمعلومات، من شخص للآخر، بغرض إيجاد نوع من التفاهم المتبادل بينهما".

والاتصال أيضاً هو العملية التي يتم خلالها نقل وتبادل المعلومات والأفكار بين طرفين أو أكثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وباستخدام وسيلة أو عدة وسائل اتصالية.

ويعرف بانه عبارة عن تبادل المعاني الموجودة في الرسائل والتي من خلالها يتفاعل الأفراد من ذوي الثقافات المختلفة من أجل إتاحة الفرصة لتوصيل المعنى وفهم الرسالة.

ويتم في عملية الاتصال بوجه عام بنقل المعرفة بأنواعها والمعلومات المختلفة من شخص لآخر أو من نقطة إلى أخرى وتتخذ لها مساراً يبدأ عادة من المصدر الذي تنبع منه إلى الجهة التي تستقبلها ثم يرتد ثانية وهكذا. وتتخذ هذه الارتدادات صوراً مختلفة تساعد المصدر على معرفة مدى ما تحققه من أهداف فيغير من رسالته ومن محتوياته وطريقة تقديمها وعرضها بما يحقق التفاهم المنشود.

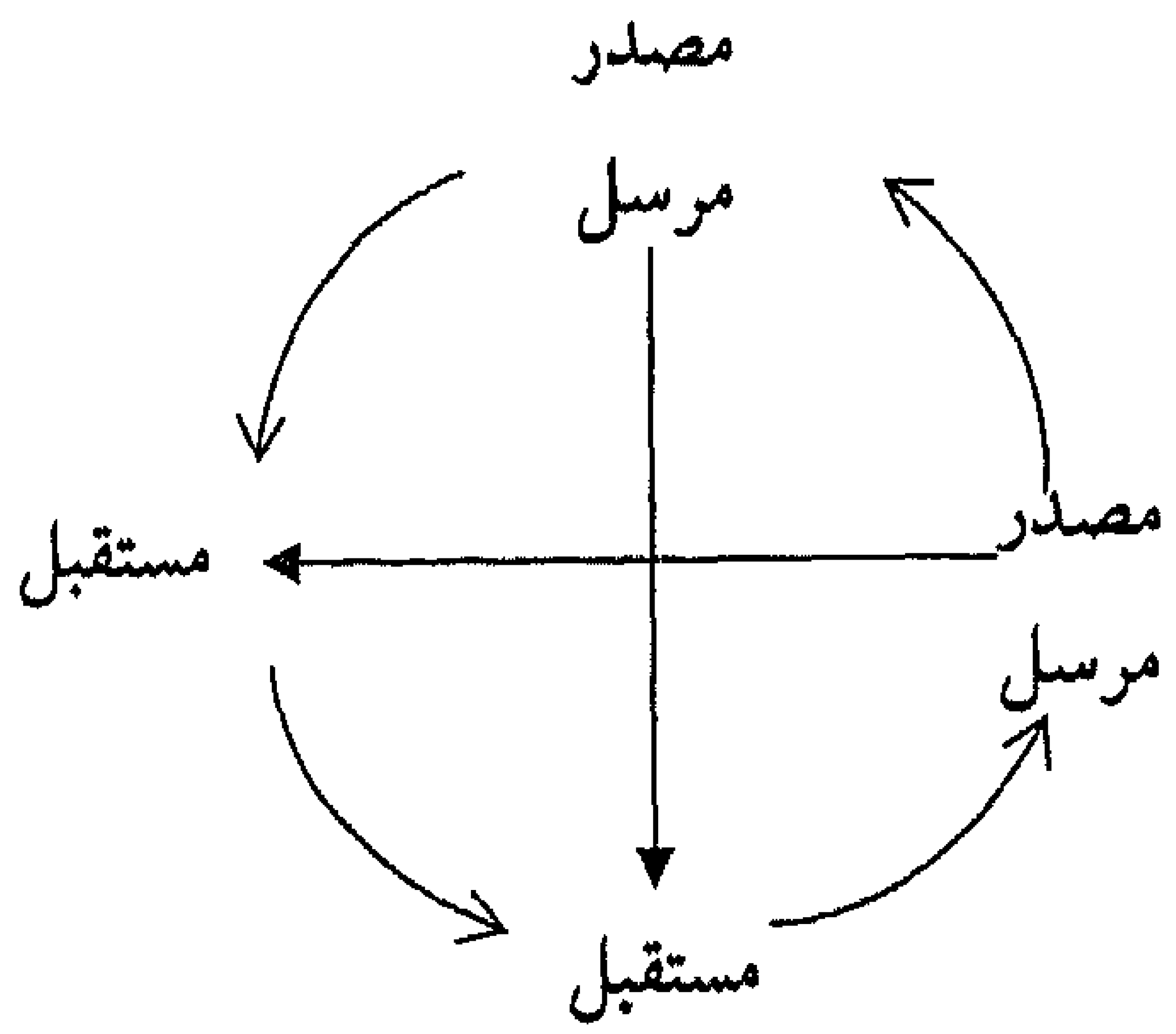
ويعني الاتصال المشاركة في الحديث والرأي واتخاذ القرار وأيضاً تبادل المشاعر والاتجاهات.

ويعرف بأنه الطريقة التي يتم عن طريقها انتقال المعرفة من شخص إلى آخر والمشاركة في الخبرة والتفاعل المشترك بين طرفين.

ويعرف المؤلف بهذا الصدد مفهوم الاتصال بأنه "عملية لنقل فكرة أو مهارة أو حكمة من شخص لآخر".

ومن هنا يتبين لنا أن عملية الاتصال لا تسير في اتجاه واحد بل هي عملية دائرية (مصدر. مستقبل. مصدر.. الخ) تحدث داخل مجال أوسع وأشمل، يضم كل الظروف والإمكانيات التي تحيط بهذا العملية التي تؤثر فيها ويشار إليها

أحياناً بالبيئة التعليمية وهي عملية ديناميكية تتأثر بالتفاعل المستمر بين عناصرها. والنموذج التالي يوضح ذلك:



أهداف الاتصال الاجتماعي:

يلعب الاتصال دوراً كبيراً في الإعلام والدعاية وإحداث الإقناع والتأثير العقلي والعاطفي تجاه بعض الأفكار والقضايا كذلك الإيحاء بأفكار واتجاهات ومقاصد معينة.

ويمكننا أن نحدد أهداف الاتصال فيما يلي:

(1) إن الغرض الأساسي من عملية الاتصال، هو إحداث تغيير في البيئة الاجتماعية، أو في الآخرين. فالمرسل يقصد من إرساله التأثير في مستقبل معين (محدد)، لذلك يجب التمييز بين مستقبل مقصود، وآخر غير مقصود، في عملية الاتصال، إذا يجب أن تصل الرسالة إلى الطرف المقصود، وليس غيره حتى تؤدي الرسالة غرضها..

(2) ويهدف أيضاً، إلى إحداث تفاعل بين المرسل والمستقبل من حيث الاشتراك بفكرة، أو مفهوم، أو رأي، أو عمل.

(3) يُهدف إلى أن يؤثر أحد طرفي الاتصال في الطرف الآخر، بحيث يؤدي هذا التأثير إلى إحداث تغيير إيجابي في سلوك المتعلم أو المتدرب. لذا فعملية التعليم والتعلم هي عملية اتصال، وتبادل للمعلومات بين الموجة والسامع عن طريق استخدام الألفاظ، والرسوم، والصور والأفلام، والمجسمات، والأجهزة، والآلات والمواد... إلى غير ذلك.

(4) زيادة فرص التفاهم المتبادل والانسجام بين المؤسسات والجماهير المتعاملة معها.

(5) اكتساب احترام وتقدير وثقة الرأي العام في التعامل مع المؤسسة.

(6) توضيح بعض الأفعال والتصرفات والمواقف التي صدرت عن المنشأة.

(7) تقديم المعلومات المتكاملة من وإلى المؤسسة وإيضاح العلاقات التبادلية بينها وبين الجمهور لإحداث نوع من الجاذبية المتبادلة تعود بالنفع والفائدة على الجميع.

وبالإضافة لما سبق فإن من أهداف عملية الاتصال اتساع خبرة المشاركين في الاتصال.

عناصر الاتصال الاجتماعي:

تتكون عملية الاتصال من العديد من العناصر المتكاملة حيث لا تتم تلك العملية إلا بوجود تلك العناصر، ومهما تنوعت عمليات الاتصال المختلفة فإنها لا تتم إلا إذا توافرت لها العناصر الأساسية التالية وهي:

(1) المرسل. هو الذي يريد أن يصل فكرة إلى شخص أو جماعة محددين.

(2) المستقبل. هو الشخص أو الجماعة التي يستقبل فكرة من شخص أو جماعة.

(3) الرسالة. تشمل فحوى الفكرة التي يريد أن يصلها المرسل إلى المستقبل.

(4) الوسيلة. هي الواسطة بين المرسل والمستقبل كالصوت والحركة والإشارة.

(5) التغذية الراجعة. تمثل استيعاب الفكرة المرسلة وتحليلها وتقبلها أو رفضها وهذا لا يتم إلا عن طريق تحليلها واستيعابها بشكل أفضل من فعل المرسل.

ولا يمكن أن تتم عملية الاتصال إذا غاب أحد هذه العناصر. بل إن كل عنصر منها يؤثر في الآخر ويتأثر به فهي عملية دينامية مستمرة وعلى أية حال يمكن شرح تلك العناصر بالتفصيل.

أولاً: المرسل:

المرسل هو الذي يبدأ الحوار بصياغة أفكاره في رموز تعبر عن المعنى الذي يقصده، حيث تشكل تلك الرموز الرسالة التي توجه إلى جمهور معين والمرسل هو مصدر الرسالة، أو النقطة التي تبدأ عندها عملية الاتصال عادة. وقد يكون هذا المصدر هو الإنسان أو الآلة أو المطبوعات أو غير ذلك.

وفي حالة تطبيق ذلك في العملية التربوية وفي الاتصال والتواصل مع الآخرين في المرسل يعتبر الأداة تنقل الرسالة ويوصلها إلى المستقبل.

ثانياً: المستقبل:

والمقصود به الشخص المراد وصول الرسالة إليه ويلعب دوراً هاماً كبيراً في تحديد صفات وخصائص الرسالة المناسبة التي تؤدي إلى إحداث التأثير المطلوب.

والمستقبل في العملية التربوية يعتبر المعلم أو المشرف أو أولياء أمور الطلبة.

ثالثاً: الرسالة:

وهي الموضوع الأساسي المراد نقله إلى جمهور معين، وقد تكون في صورة شفهية أو تحريرية، وأحياناً تأخذ شكل الرموز وأحياناً حركات.

كما أن الرسالة يجب أن تكون واضحة ومفهومة، ومباشرة ولا تخضع للتأويلات المتعددة حتى تحقق الهدف منها. والرسالة قد تكون توجيهات معينة يتم إرسالها إلى الآخرين في سياق جماعة معينة.

رابعاً: الوسيلة:

الوسيلة هي القناة التي تنتقل المعلومات عن طريقها من الشخص المرسل إلى الآخرين وقد تكون مطبوعة أو مسموعة أو مرئية. وسيلة الاتصال هامة جداً لنجاح عملية الاتصال والتواصل بين الشخص المرسل والآخرين.

خامساً: التغذية المرتدة:

وهي عبارة عن الأثر الذي يتركه رد فعل مستقبل الرسالة على المرسل وقد يكون أثراً إيجابياً ويدل على وصول الرسالة إلى المستقبل أو سلبياً ويدل على عدم وصول الرسالة إلى المستقبل. بالشكل الصحيح، وقد يطلق عليه بالفهم الخاطئ.

أنواع الاتصال الاجتماعي

هناك عدة أنواع للاتصال يمكن إيضاحها فيما يلي:

(1) الاتصال الأعلى (الروحاني):

وهو اتصال المخلوق بالخالق، ويتم هذا الاتصال بطريقة غير مباشرة من خلال العبادة، والتأمل والدعاء، والبصيره التي يمتلكها بعض الاشخاص.

(2) الاتصال الصاعد:

يُعرف بالاتصال المباشر، الذي يتم بين الرئيس والمرؤوس كما أنه اتصال عكسي من المرؤوسين إلى الرئيس، ويظهر هذا النوع في التنظيم الهرمي حيث تنساب السلطة عبر خطوط التنظيم لتتشكل من خلالهما عملية التواصل.

(3) الاتصال الأفقي:

يحدث هذا النوع من الاتصال في المستويات الإدارية الواحدة، ويكون الاتصال مباشراً بين الرؤساء والأفراد. داخل المجموعة. حتى يتم التفاهم بينهم بشكل صحيح.

(4) الاتصال الذاتي:

يتم هذا الاتصال بين الفرد وذاته. ويعني اتصال الفرد مع ذاته أي مع مكونات شخصية (الأنا، والأنا الأعلى، الهو). ويتم عن طريق العمليات العقلية الإدراكية الداخلية، كالتفكير، والتخيل والتصور. بحيث يمر الفرد بهذه العملية عندما يكون بصدد الإعلان عن رأيه أو اتخاذ قرار أو اتجاه معين.

(5) الاتصال الشخصي (الفردي):

يتم هذا الاتصال بين شخصين، أو فردين وهو من أكثر الأنواع الاتصال شيوعاً، ويشتمل على نوعين:

أ. مباشر: ويتم بين المرسل والمستقبل، يكونان في المكان نفسه، والاتصال يتم وجهاً لوجه حيث أن المرسل يحصل على رد فعل مباشر من المستقبل. ويمكن أن تنعكس الأدوار.

ب. غير مباشر: ويتم عن طريق واسطة ما، كالهاتف، أو الوسائل الاتصال

الأخرى كالتخاطب بالانترنت، وفي هذا النوع لا يكون هناك مواجهة بين المرسل والمستقبل وتكاد التغذية الراجعة أن تكون معدومة، وإذا ما حدثت تكون متأخرة.

(6) الاتصال الاجتماعي:

يحدث هذا اتصال بين شخص، وعدد من الأشخاص المتواجدين في المكان ما، وعادة ما يوجد تعارف بين المرسل ومجموعة المستقبلين (أي أن المجموعة المستهدفة معروفة من قبل المرسل والمرسل معروف للمستقبلين) وخير مثال على ذلك ما يحدث بين أفراد المجموعة الواحدة.

(7) الاتصال الجماهيري:

يتم ما بين شخص، وعدة مئات، أو آلاف، أو ملايين من البشر، ولا يتواجدون في المكان نفسه، ويكون المرسل معروفاً لدى المستقبلين، بينما المرسل لا يعرف المستقبلين، كما يحدث في وسائل الإعلام، كالقنوات الفضائية التلفزيونية، والمذياع، والصحافة والمواقع الالكترونية، وهذا. ويمكنه الاتصال باتجاه واحد فقط (من المرسل إلى المستقبلين)، ولا يحدث العكس ورد الفعل غير معروف بالنسبة للمرسل.

أساليب الاتصال الاجتماعي

توجد عدة وسائل للاتصال ويتحقق الاتصال في اتجاهاته المختلفة وبأساليب ووسائل متعددة يمكن إجمالها على النحو الآتي:

(1) الاتصال الكتابي (الوسائل الكتابية):

يتحقق هذا الأسلوب عن طريق الوسائل المكتوبة، كالرسائل والتقارير

والإحصاءات والمذكرات. ويتميز هذا الأسلوب بوجود مستند مادي مكتوب، يمكن الرجوع إليه في وقت الحاجة، ولكن يعاب عليه أنه مكلف جداً ولا تنتشر المعلومات إلا في نطاق ضيق، حيث أنها تتطلب وقتاً طويلاً.

(2) **الاتصال الشخصي (الوسائل الشفهية):**

يعتمد على المقابلة الشخصية بين المتصل والمستقبل ويظهر بوضوح هذا الأسلوب في الاجتماعات الخاصة ويمتاز بالسرعة الكبيرة وضمان أكبر درجة ممكنة من السرية والكتمان.

(3) **الاتصال الميكانيكي:**

من أهم أشكال الاتصال الميكانيكي الأفلام، التليفون، والخلوي النقال، التلفزيون، وهذه الوسائل تحقق إيجابيات عديدة حيث تتميز بالسرعة والقدرة على ترك مستندات مادية كدليل على الشخص المرسل والمستقبل بالإضافة إلى أن هذا النوع من الاتصال يجمع بين الاتصال الشخصي والكتابي.

أهمية الاتصال الاجتماعي:

(1) تكمن أهمية الاتصال في فتح المجال للاحتكاك البشري، وإيجاد الفرصة للتفكير والإطلاع والحوار وتبادل المعلومات في شتى المجالات والميادين.

(2) يتيح الاتصال الفرصة للتعرف على آراء الآخرين وأفكارهم عن طريق الحركة التي يحدثها على شكل حوار ونقاش بين طرفين من الناس أو مجموعة مع أخرى، كما أن الاتصال يفسح لكل فرد المجال للمشاركة في الحوار والنقاش، مما يساعده على تكوين شخصيته المستقلة والناضجة في المجتمع.

(3) يساعد الاتصال الأفراد والمجتمعات على نقل الثقافات والعادات والتقاليد واللغات من وإلى المجتمعات الأخرى.

(4) يستخدم الاتصال من خلال وسائله الجماهيرية المتعددة التأثير كوسيلة إعلان ناجحة.

(5) تلعب وسائل الاتصال المختلفة دوراً هاماً في عملية الإنماء، حيث يعد الإنماء حركة تغيير وتطوير للمجتمع في حقل معين يصب في قنوات التنمية الشاملة. (عبد الحميد، **1980**).

(6) تلعب وسائل الاتصال المتقدمة في العصر الحاضر، دوراً بارزاً في تطوير الأنظمة التربوية، وبخاصة في مجال التعليم عن بعد، وتحقيق ما يسمى الجامعة المفتوحة.

معوقات الاتصال الاجتماعي

لا يتم الاتصال في التنظيم بدون مشاكل أو معوقات. فقد تظهر بعض مصادر التشويش أو الشوشرة أو عدم انتظام تدفق الرسالة بالشكل المطلوب نتيجة لعوامل عديدة من أهمها العوامل التي تقلل من الولاء والإيمان بالرسالة بين العاملين بالمنشأة ما يلي:

* عدم انتباه مستقبل إلى محتويات الرسالة.

* عدم وجود تفهم دقيق للمقصود من الرسالة، بواسطة المرسل إليه أو المصدر.

* استخدام كلمات في الرسالة لها دلالات ومعان مختلفة لأشخاص مختلفين. أو رموز أو لغة ليس لدى المستقبل أي معرفة بها.

* ضغط الوقت لكل من المرسل أو المرسل إليه.

* تأثير الحكم الشخصي لمستقبل الرسالة على نجاح عملية الاتصال.

وللتغلب على صعوبات الاتصال يجب مراعاة الآتي:

(1) تقديم المعلومات بشكل يتفق ورغبات الشخص، فالشخص يقبل على المعلومات أو يعرض عنها، طبقاً لما إذا كانت تتفق مع احتياجاته أم لا، وهذا يدعو الإدارة إلى تفهم تلك الحاجات والرغبات وتصميم وسائل الاتصال تبعاً لها.

(2) تقديم المعلومات في وحدات صغيرة تؤدي إلى تفعيل الاتصال.

(3) إتاحة الفرصة للشخص المرسل إليه المعلومات لأن يشرح وجهة نظره في المعلومات ورد الفعل نفسه، وذلك يهيئ لمرسل المعلومات الفرصة لكي يتأكد من أن المعنى الذي يقصده هو بذاته المعنى الذي فهمه المرسل إليه.

والهدف من ذلك هو إيصال أكبر كمية من المعلومات الدقيقة والصحيحة إلى العاملين دون تأخير أو تشويش الذي قد يدعو إلى انتشار الشائعات وقيام جهاز الاتصالات غير الرسمي بين العاملين بالجماعة والذي قد يؤثر تأثيراً ضاراً في الروح المعنوية والكفاءة الإنتاجية.

أساسيات الاتصال الاجتماعي

يعرف الاتصال بأنه مجموعة الجوانب اللفظية وغير اللفظية التي تشكل اتصال ما بين افراد الجماعات وتفاعل بين فرد وآخر وقد يكون اتصال رمزي وقد يكون لغوي ويعبر ذلك عن تطلعات الفرد نحو الآخرين وقد يكون

الاتصال سلبي أو إيجابي، بعض الباحثين وبالذات في مجال علم النفس الاجتماعي أمثال بارينو (Barenow) يرى بأن الاتصال ما هو إلا مجموعة من وسائل الداخلية التي تشكل ما يدور لدى الفرد من أفكار ومعتقدات ويحدد بذلك بعدة عناصر ويمكن إجمالها على النحو التالي:

(1) لابد من توفر جهاز بيولوجي ممثلاً بالحواس الخمسة التي تعد بمثابة القنوات التي تتصل بها مع الآخرين.

(2) دخول مشاعر عاطفية سلبية أم إيجابية في الاتصال. بشكل أو بآخر فإن الاتصال ينقسم إلى قسمين:

أ. اتصال مباشر: أي وجه لوجه وفقاً لطبيعة الموقف.

ب. اتصال غير مباشر: يتم ما بين شخصين أو أكثر قد يكون عن طريق وسائل الإعلام ولا يتخذ الخصوصية.

ومن أشهر وسائل الإعلام المسرحيات التي توجه الناس بشكل غير مباشر لشخص بعينه بل هي لجميع الناس.

إن الاتصال بحد ذاته ما هو إلا قناة من قنوات الاتصال الفكري والحسي والاجتماعي التي تعمل على ربط الآخرين ببعضهم البعض وبالتالي فإن الاتصال ما بين المجموعات ما هو إلا وسيلة لتحقيق أهدافها وبناء معتقداتها ونشر ثقافتها.

ما هي الوسائل التي من خلالها تتم عملية الاتصال؟

في ضوء ما تم استعراضه في هذه الوحدة يرى المؤلف بأن وسائل الاتصال تنقسم إلى قسمين:

(1) وسائل طبيعية بيولوجية: وهي تتمثل بالتقاء فردين مع بعضهم البعض والتحدث بلغة وإشارة معينة وهذا يغلب على جميع المجتمعات الإنسانية وخير مثال على ذلك ما يلقى في الندوات من حوار ما يناسب الجماعة وقد يكون ذلك بشكل عرضي أو صدفة أو منظم أو مرتب يأخذ بعين الاعتبار في هذا المجال.

(2) أما الوسيلة الثانية: فقد تستخدم الوسائل التكنولوجية للاتصالات وما نعرفه اليوم بالتطور الحاصل للاتصالات السلكية واللاسلكية الذي أدى إلى أن يصبح العالم قرية صغيرة لأن مستوى الاتصالات به سريعة جداً. وحيث ادت شبكة المعلومات إلى تسريع الاتصالات في وقتنا الحاضر.

وبالتالي فإن الاتصال له عدة أشكال وعدة وسائل من خلالها ادى إلى نشر الثقافة والوعي خاصة فيما يتعلق بالقضايا التي تتعلق بالجماعة بشكل خاص والمجتمع بشكل عام.

أشكال الاتصال الاجتماعي

تشير الدراسات التي قدمها (بارينو) بأن هناك أربع أنواع من الاتصالات

الاتصال الأول اللامركزي الدائم (الدائري):

هنا نشير إلى أنه يمكن للاتصال أن يكون غير متمركز حول شخص معين بل تتم حول مجموعة من المجموعات الجميع يتصل مع بعضه البعض بشكل دائري لا مركزي، والمثال التالي يوضح ذلك:

"عندما نقول أن مجموعة من الناس تتحدث حول مشكلة ما تخصهم فإن

الجميع يبدي رأيه حول تلك المشكلة أو المسألة دون أن يكون هناك شخص ما من داخل المجموعة، يريد الاتصال فالكل يتصل مع بعضه البعض بشكل دائري ويبدي رأيه حول هذه المسألة".

ويتصف هذا الاتصال بعدم التمركز حول مجموعة ما أو شخص ما وأنه يتصف بأن الجميع يتصل مع الجميع بشكل دائري حول هذه المسألة.

يمكن التأكيد بأن الاتصال اللامركزي يتصف بثلاثة خصائص:

(1) لا يتمركز حول شخص معين.

(2) الجماعة جميعها تتصل مع بعضها البعض، دون أن يكون هناك مركزاً.

(3) الاتصال الشبه الدائري يؤكد على أهمية عدم استئثار شخص ما في عملية الاتصال، "الكل يتصل مع الكل ويحوي هذا الاتصال جميع أنواع الاتصال الأخرى".

الاتصال الثاني بشكل نظام حرف C:

ونعني به نظام السلسلة المركزي الذي يؤدي إلى اتصال الناس مع بعضهم البعض ولكن هنا بشكل مترابط ومنظم، وقد يطلق عليه بنظام الاتصال نصف العجلة، أو نصف الدائرة، وهذا يتبع في عمليات الحوار والمناقشة ونعني به أيضاً بأنه يشكل بعض المواضيع العلمية والتي يمكن طرحها في هذا النوع من الاتصال.

الاتصال الثالث:

اتصال العمود الرأسي: وهذا ينتشر نوعاً ما، في المؤسسات الرسمية والتربوية

ويكون هذا الاتصال من أعلى إلى أسفل، بمعنى أن قائد المجموعة أو مديرها يصدر التعليمات أو الحلول إلى من هو أقل منه درجة أو رتبة حتى يتم الاتصال مع جميع المؤسسات.

الاتصال الرابع:

الاتصال الأفقي: يمثل مجموعة الأفراد أو الجماعات الذين يتصلون مع بعضهم البعض ولكن يكون شبه رسمي لأن افراد الجماعات يتبادلون الأفكار والآراء بشكل متسلسل ومترابط، ولكنه لا يأخذ من الصيغة الرسمية كما هو الحال في الاتصال الرأسي.

فالاتصال الأفقي يمثل مجموعة الآراء والاتجاهات التي يتحاورون بها المجموعات والأفراد ويناقشون فيما بينهم ولكن لا يكون بشكل رسمي محدد، والجدول التالي يوضح أنواع الأتصال بين الجماعات.

الرقم	أنواع الاتصالات	أشكالها	خصائصها	إستخداماتها
1	الاتصال الإداري	يكون الاتصال من اعلى الهرم إلى الأقل، اي من القائد إلى افراد المجموعة، وعادة باخذ الصفة الرسمية.	1) من القائد إلى افراد المجموعة. 2) يكون منظم ومبرمج.	1) يُستخدم في بحث موضوعات عامه، متعلقة بالجماعة. 2) ويكون هذا الاتصال مبرمج وموحة ولا يمتاز بالعشوائية.
2	الاتصال نصف عجلة	يكون هذا النوع الاتصال من مجموعة الأفراد وقد أطلق عليه هذا الاسم يشبه نصف العجلة.	1) بشكل الأفراد في اتصالهم بشكل نصف عجلة.	يستخدم في موضوعات ذات خصوصيه عالية، خاصة بين الأفراد والجماعات.
3	الاتصال الراسي	يكون هذا الاتصال من الإعلى إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى.	يتسم هذا الاتصال بالرسمية	يستخدم هذا النوع من الاتصال في الموضوعات التي تكون رسمية أو شبه رسمية.
4	الاتصال الأفقي	يكون هذا الاتصال على شكل سلسلة تختص بمجموعة	لا يكون فيه قائد للمجموعة عملية الاتصال	يستخدم في الحوار حول قضية معينة تختص بجماعة صغيرة.

الخاتمة

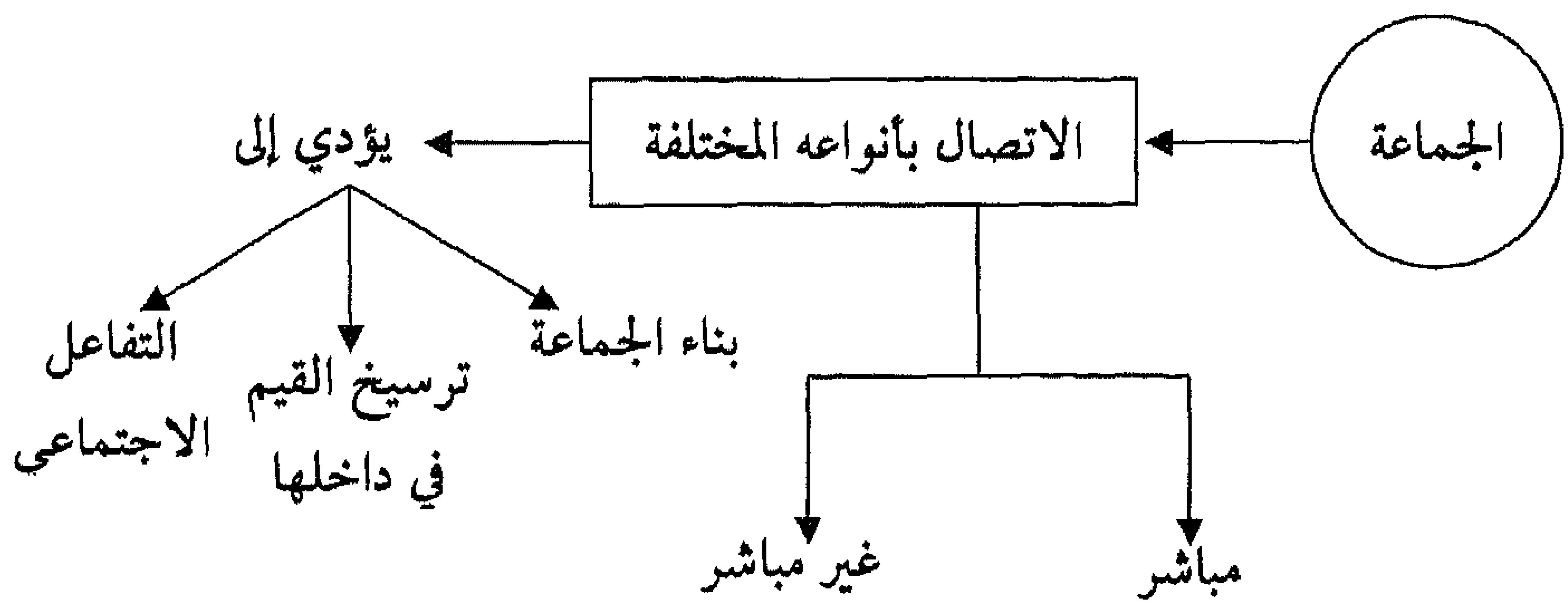
بعد ما تم استعراض هذه الوحدة، نجد بأنه لعملية الاتصال بجميع أنواعها لها أهمية في تفعيل دور الجماعات في اتخاذ القرارات التي تؤدي إلى تشكيلها أو حركها وهذا يشكل العامل الحاسم في البناء الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي.

ولذلك لابد من تحديد عدة نقاط تتعلق في هذا المجال:

1) الاتصال بانواعه برسخ التفاهم بين افراد الجماعة، ويؤدي إلى بناء الثقة والاحترام بينهم.

2) عملية الاتصال ترتبط ارتباطاً وثيقاً في تشكيل الجماعات وحراكها، لأن ذلك في حد ذاته يشكل تنظيم الجماعة من حيث بنائها.

وتأكيداً على ذلك يمكن توضيح ما سبق في الشكل التالي.



الوحدة التاسعة

طريقة العمل مع الجماعات

الوحدة التاسعة

طريقة العمل مع الجماعات

- مقدمة.
- اتجاهات الجماعة والتعرف عليها.
- مفهوم الاتجاه.
- مقاييس الاتجاهات.
- المشاركة مع الجماعة.
- دوافع مشاركة الجماعة.
- اتخاذ القرارات والجماعات.
- صياغة القرار وتنفيذه.
- مراحل صياغة القرار.
- ماهية المناقشة.
- الهدف من المناقشة.
- حل المشكلات.
- خاتمة.

الوحدة التاسعة

طريقة العمل مع الجماعات

مقدمة

سنتناول في هذه الوحدة الطريقة المثلى للعمل مع الجماعات بحيث يؤدي ذلك إلى تشكيل قيمها واتجاهاتها، ولتحقيق ذلك لابد من التحدث حول عدة موضوعات ذات صلة في هذا المجال.

اتجاهات الجماعة والتعرف عليها:

يحتل موضوع الاتجاهات أهمية خاصة، وذلك لأن الاتجاهات النفسية الاجتماعية تعتبر من أهم نتائج التنشئة الاجتماعية، لأنها تعد محددات ضابطة منظمة للسلوك الاجتماعي للأفراد والمجموعات.

كما أن اتجاهات الفرد تحدد سلوكه في مواقف معينة، سواء كانت هذه المواقف متصلة برموز دينه، أو بعمله، أو بطرق تعامله مع الآخرين، أو نظرته إلى فرد من الأفراد أو مؤسسة من المؤسسات، بل أن كل منا يتصُف باتجاهات نحو ذاته، فقد يمجد نفسه أو يحقرها أو يتفق تقديره لنفسه مع تقدير الآخرين له، وهذا يفسر نشأة الاتجاهات وتعددها.

مفهوم الاتجاه:

قد اختلفت تعاريف العلماء اختلافاً شاسعاً في تحديد مدلول الاتجاه، فمثلاً عرفه بعض العلماء مثل:

1. ليند برج (Lundbirg): الاتجاه هو كلٍ ما يشير إلى وضع عام في الكائن

الحي تجاه موضوع أو موقف مُعين وهـذا مـا نطلـق عليـه بـالتكيف (انتقـد العلماء هذا التعريف ووصفوه بالغموض).

2. العالم وارن (Warren): عرفه علـى أنـه حالـة اسـتعداد أو ميـل لنـوع مـن النشاط، بمعنى أن لدى الإنسان ميول للقيام بنشاط أو تصرفٍ يتصرفه وفقـاً لطبيعة هذا النشاط أو الموقف حسب رغبته وميوله.

3. العالم شرم (Schram): عرفه على أنه حالة مفترضة من الاسـتعداد بطريقـة تقيمية تؤيد أو تعارض موقفاً منبهاً معيناً، وهذا التعريف بالاستناد إلى مبـدأ المثير والاستجابة.

على الرغم من الاختلاف والتباين بين العلماء على تعريف الاتجـاه إلا أن كافة الاتجاهات تشترك في مجموعة من الخصائص يمكن إجمالها على النحو الآتي:

(1) الاتساق: فالاتجاه المتسق يكون أكثر ثباتاً وأكثر مقاومة للتغير.

(2) يرتبط الاتجاه مع غيره من الاتجاهـات الـتي تحـدد سـهولته أو صـعوبته أو قابليته للتغير.

(3) قوة الحاجات النفسية التي يشبعها الاتجاه وكثرتها.

مقاييس الاتجاهات:

أشارت دراسات وارن (Warren) بأن عدة أنواع المقاييس الاتجاهات الـتي من خلالها تقيس اتجاهات الأفراد والجماعات في مواقـف وموضـوعات مختلفـة، يمكن إجمالها على النحو الآتي:

1. الوصـفيه: وهـي نـوع مـن أنـواع الدراسـات النموذجيـة هـدفها وصـف

الاتجاهات التي تبحث في اهتمام جماعة فردية مثل (اتجاهات العاملين البيض نحو العاملين الزنوج).

2. الانتخاب: ويتعلق بموضوعات الرأي العام وتصلح هذه الطريقة في القضايا الاجتماعية والسياسية والتي تخص عدد كبير من الأفراد.
3. النظريات: وهي محاولات العلماء لوضع نظريات في موضوعات الاتجاهات فنجد هناك كثير من المنظرين الذين تخصصوا في وصف طبيعة الاتجاهات.
4. التجارب: وهي تحتوي على العديد من المواقف التي تبحث في مستويين أو أكثر المتغيرات المستقلة وملاحظة مدى تأثيرها على المتغير التابع والمعتمد.

المشاركة مع الجماعة

حظيت المشاركة كمصطلح على العديد من التعريفات إلا أن أقربها إلى فهمنا هو ما أورده ديفيز (Deves) حيث عرفها بأنها "تفاعل الفرد عقلياً وانفعالياً مع الجماعة التي يعمل معها بما يمكنه من تعبئة جهوده وطاقته لتحقيق أهدافها وتحمل مسؤولية آرائها بوعي وحماس ذاتي".

ومن التعريفات السابقه يتبين لنا ثلاثة أركان تقوم عليها المشاركة الأول يتمثل في التفاعل والانسجام العقلي والانفعالي مع الجماعة، أما الثاني فيتمثل في التعبير عن هذه الروابط بالعمل الجاد وتعبئة الجهد الفردي وحبه في إناء المجموعة، أما الركن الثالث فيتمثل في تحمل المسؤولية والالتزام بوعي وقناعة شخصية تنبع من ضمير الفرد ووجدانه وحسه.

وهذا يؤكد أن المشاركة بمثابة سلوك واع وتصرف رشيد ينبع من فلسفة يؤمن بها الفرد كإيمانه بالجماعة التي ينتسب إليها.

ويعرف قاموس (علم الاجتماع) المشاركة بأنها الجزء الذي يمنح العضو أو

يعطي له فرصة في لعب الدور، وذلك من خلال نشاطه البنائي في وظيفة الجماعة "وعادة ما يكون وجهاً لوجه" وتوصف مشاركة الأعضاء بأنها فعالة إذا ارتبطت بدور فعال في وظيفة الجماعة ومواقعها وهي مدخل للتوحد من خلال الاتصال في الأنشطة المشتركة والمحددة اجتماعياً.

ويؤدي توسيع نطاق الجماعة إلى إثراء القرارات لأنها تصبح متأثرة بمعلومات وخبرات متنوعة، كما أن الإجراءات المتخذة تكون أكثر ملائمة لمتطلبات الموقف الذي يتفاعل معه المشاركون فضلاً عن أن كل مشارك يصبح أكثر اهتماماً بالمواقف طالما أن القرارات والإجراءات المتخذة تتأثر به، وهذا يكسبه خبرات لها أثر تزيد من فائدته ونصحه.

دوافع مشاركة الجماعة

هناك دوافع تدفع الفرد وتحفزه للمشاركة مع الجماعات، يمكن إجمالها على النحو التالي:

(1) الرغبة في العمل من أجل الصالح العام، أو كسب شعبية والحصول على مركز وتقدير الآخرين أو حسب مزاملة الأصدقاء.

(2) يلجأ الإنسان إلى المشاركة والاختلاط والعمل مع الجماعة من أجل توفير وإشباع احتياجات الفرد المختلفة.

(3) وجود نوع من الضمانات التي تضمن لأعضاء الجماعة الأمن النفسي، والشعور بالطمأنينة وتحقيق الديمقراطية، وخاصة إذا كان الفرد عضواً في جماعة، فإن شعوره بأهمية الدور الذي يلعبه ويكون مؤثراً في حياة الجماعة، سيحفزه نحو زيادة كماً وكيفاً في المشاركة.

وقد أضاف العالم روس (Ross) بعض الدوافع التي تدفع للمشاركة وهي:

1. توقع الفرد للمركز الذي يشغله: فالشخص يشارك دون تردد إذا شعر أنه سيصل إلى مركز معين أو يحقق نجاحاً، أو يرضي رغبات شخصية وينقسم الأشخاص في هذا المجال إلى فئتين: الأولى فئة تتميز بالمرونة في موقعها وتطور توقعاتها وتخيلاتها بما يتفق مع مصلحة الجماعة والثانية فئة تتميز بالجمود وتركز على مصالحها الشخصية ولا يهمها العلاقات الاجتماعية.
2. استمرار تحقيق الغرض من المشاركة: فكلما كانت عملية تحقيق الأهداف الخاصة بأفراد مستمدة نتيجة لمشاركته، كلما أدى إلى استمراره وتمسكه بموقفه إزاء المشاركة.
3. الإطار المرجعي: فكلما ازدادت أمال الفرد وطموحه، كلما كان أكثر ميلاً للاندماج في المشاركة.

في ضوء ما تم عرضة يتبين بأن النقاط السابقة توضح الدوافع الحقيقية لأسباب مشاركة الأفراد داخل الجماعة، أما بالنسبة لأسباب العزوف عن المشاركة في الجماعة فهي:

(1) عدم استثارة العضو للمشاركة بمعنى وجود فجوة بينه وبين الجماعة.

(2) شعور بعض الأعضاء في الجماعة بوجود بعض الخلافات والصراعات.

(3) شعور بعض الأعضاء بأن خدمات ونشاط الجماعة موجهة لبعض الأعضاء دون غيرهم.

(4) الخوف من أن المشاركة ستلزم العضو بمسؤوليات قد لا يستطيع الوفاء بها أو الخوف من الالتزام المادي والأدبي.

ومما سبق نرى أن المشاركة الحقيقية هي سلوك عملي صادر عن إيمان وقناعة بروح الفريق وبذاتية الجماعة، ومثل هذا السلوك لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال تربية سليمة وإعداد فكري توفره فلسفة واضحة تؤمن بأن الإنسان نواة الجماعة باعتبارها أساساً وإطاراً للعمل والبناء.

اتخاذ القرارات في الجماعة:

تشترك الجماعات في عملية التداول واتخاذ القرار التي تعُد مظهراً من مظاهر الحياة الجماعية، وذلك من خلال عملية التفاعل التي تحدث داخل الجماعات، وهذا التفاعل في الواقع يحدث من خلال التفكير الجماعي وممارسة الأنشطة الجماعية وتبادل الأعضاء للأماكن وبالتالي يترتب على هذه العملية وصول الأعضاء إلى قرار يهم الجماعة وأعضائها.

كما تعتمد عملية التداول واتخاذ القرار في الجماعة على التفاعل والعلاقات المتبادلة بين أعضاء الجماعة ونسق الاتصالات ودوافع الأعضاء للانتماء والمشاركة ولهذا نجد أن تجمع أعضاء الجماعة معاً وحديثهم وتبادل الأفكار بينهم واتصالهم ببعض وبالأخصائي واهتمامهم بموضوعات مناقشة أمورهم تؤدي بهم في النهاية إلى اتخاذ قرار الجماعة.

وعملية اتخاذ القرار تنبع من التفكير والأفكار والعاطفة والإحساس وهي عملية أساسية تساعد على نمو الجماعة واستمرارها لأداء وظائفها المختلفة وهناك مجموعة من العوامل التي تؤثر في عملية اتخاذ القرار في الجماعة وأول هذه العوامل هو الاتصال فإذا كان الاتصال مفتوحاً فإنه يسمح للأعضاء بتبادل تصبح قراراتها شاملة وأعضاء المجموعة، أما العامل الثاني فإن عملية اتخاذ القرار تمثل وجهات نظر الأعضاء بعضهم في بعض، والموضوعات التي تحدث هذه

التوجهات، والعامل الثالث يتمثل في مستوى نمو الجماعة ومستوى العاطفة لديها.

صنع القرار وتنفيذه:

يمكن تعريف القرار بأنه مسار فعل يختاره المقرر باعتباره أنسب وسيلة متاحة أمامه لإنجاز الهدف أو الأهداف التي يبتغيها أي حل لمشكلةٍ تشغله ويقول (وليان جور) أن القرار يشير إلى الأخذ في الاعتبار بالنتائج المترتبة لفعل ما قبل القيام به.

ويجب التفرقة بين مفهوم صنع القرار واتخاذ القرار، فالأخير يشمل المرحلة الأولى بمعنى أن اتخاذ القرار يمثل آخر مرحلة في عملية صنع القرارات.

ومفهوم صنع القرار لا يعني اتخاذ القرار فحسب وإنما هو عملية معقدة للغاية تتداخل فيها عوامل متعددة نفسية، وسياسية واقتصادية واجتماعية كما يتضمن القيمة والحقيقة والظروف غير محددة. ويستخدم مصطلح صانع القرار للإشارة إلى شخص له مسؤوليات رسمية تتعلق بصناعة التنظيم، أما اتخاذ القرار فهو مصطلح يشير إلى ديناميكية تسود بين كافة المشاركين في اختبار السياسة الملائمة.

طرق اتخاذ القرار:

قد تأخذ هذه العملية عدة أشكال تشمل الدراسة والمناقشة والتصويت والتفويض وقد يكون هدف الجماعة اتخاذ قرار لحل المشكلة التي تهم أعضاء الجماعة أو الموقف الاجتماعي الذي تظهره القيادة في الجماعة، ويصنف جوردون (Jordan) أربع طرق لاتخاذ القرار هي:

(1) التصويت: هو أسلوب شائع وطبيعي في الجماعات الديمقراطية وكثيراً ما تختلف الأعضاء حول موعد إجراء التصويت وقد وجد جوردون في دراساته أن أعضاء الجماعة كثيراً ما يفقدون ثقتهم في التصويت وهم يلجئون إليه فقط حين لا يكون هناك اختلاف حول الموضوع ولا تجرى الجماعة التصويت في المسائل الهامة المختلفة عليها.

(2) الإجماع: وهو يتضمن في دراسات جوردون تقديم اقتراح من جانب بعض الأعضاء الآخرين وتدور المناقشة على نطاق واسع على أن يحس الأعضاء بأن الجماعة على وشك اتخاذ القرار ويتم ذلك بطريقة مرنه وغير رسمية ويرى جوردون أن الجماعة بهذه الطريقة هي التي تسيطر فعلاً على عملية اتخاذ القرار.

(3) تأجيل اتخاذ القرار: وهي طريقة تتفق بها الجماعة على ألا تتفق على حد قول جوردون وهي تحمي الأقلية من إرادة الأغلبية وتبقي على الجماعة، وتلجأ الجماعة إلى هذه الطريقة غالباً حين تحس أن هناك نزعة من جانب بعض الأعضاء إلى فرض سلوك معين يشارك فيه الكل.

(4) تفويض السلطة في اتخاذ القرار: كثيراً ما تعمل الجماعة الديمقراطية بتسيير أعمالها والإسراع في اتخاذ القرارات إلى تفويض سلطة اتخاذ القرار إلى فرد أو إلى لجنة صغيرة تستطيع أن تتخذ القرار بسرعة أكبر وكثيراً ما يكون ذلك في ظروف خاصة كأن القصد هو توفير الوقت.

وفي النهاية ليس من المعقول أن نتوقع من أعضاء الجماعة أن يحسنوا اتخاذ القرار إذا لم تكن قد منحت لهم فرصة سابقة لتحمل المسؤولية ذلك لأن اتخاذ القرار مهارة يجب أن تُعلم ومن الضروري اصطناع الصبر في المراحل الأولى من

تعلم هذه المهارة لأن الناس قد اعتادوا على قادتهم أو على نماذج السلطة في المبادأة بالفكرة وبالعمل، تأكيداً على ما سبق فإن المراحل التي ذكرها جوردن تشير إلى أنماط مختلفة من الجماعات، التي تسودها القرارات الديمقراطية وأخرى تسودها التسلط والتكتاتوريه وهذا بحد ذاته يمثل تبايناً في تشكيل سلطة الحكم والقيادة في داخلها.

مراحل صنع القرار:

في عملية اتخاذ القرار يتعين أن نجيب على عدد من الأسئلة من أهمها، ما هي المشكلات التي تواجهنا؟ كيف نجد الحلول الممكنة؟ وما هي البدائل التي يجب أن نختارها؟ ولهذا فإن اتخاذ القرارات يمر بعدة مراحل نذكرها على النحو التالي:

(1) تحديد المشكلة: أحد الطرق في تحديد المشاكل يكون طريق الخدمات المقدمة أو عن طريق جماعات النفع ممثلاً في أسلوب تحديد المشكلات وهو طريق الواقع الحقيقي باستخدام منهج البحث العلمي للواقع الذي يتميز بظروف واقعية وكلما تعمقنا في فهم المشكلة بشيء من الحرية والمرونة وباستخدام الأسلوب العلمي كلما كان هذا أفضل بكثير من أسلوب المسبق في تحديد المشكلة، وهذا يمنحنا فرصة أفضل في اختيار بدائل علمية وفرص للدراسة.

(2) اختيار وتحليل السياسة: يمكن للممارس الذي يعمل مع الجماعات أن يحدد السياسة من خلال إطار الركائز الأساسية التي تحدها القيم والأهداف التي تضعها الجماعات والتي توجه إلى معايير أكثر تحديداً.

(3) تكوين وتنمية البرامج: وهذا يعني الالتزام ببرنامج متطور لتحديد

الخطوات العلمية المبتغاة وفي هذه الحالة يتطلب أيجاد الأفعال التي توصي بها السياسة للتنفيذ، والتي تحدها أهداف وأغراض من أنشطة تحكمها الاتجاهات القائمة والتي توصل إلى الأهداف المطلوبة.

(4) المتابعة والتقويم: يتم تقويم المعلومات وعملية المرجع بالنسبة لقياس فاعلية البرامج المطبقة بالنسبة لعمليات علاج المشاكل والمفهوم الشائع المعنى تقويم يطبق على النتائج الناجمة من عمليات النشاط التي تأخذ ما أنتجه تخطيط عملية حل المشكلات والمعلومات التي يحصل عليها من النتائج والتي يمكن استخدامها في اتخاذ القرارات المستمدة.

والخلاصة أن عملية اتخاذ القرارات عملية حيوية وهامة وتحدث في كل أنواع الجماعات على تعددِ أنواعها، كما أن أهم عناصرها اتخاذ القرار هي الاتصال والمشاركة. وأهم طرق اتخاذ القرار التصويت والاجماع وتفويض السلطة لتأجيل اتخاذ القرار وأهم خطوات اتخاذ القرار هي حل المشاكل والتي تبدأ بتحديدها وينتهي بالمقارنه والتقويم.

المناقشة في الجماعات:

من المهارات التي لا غنى عنها، ويحتاجها الأخصائي الاجتماعي في محيط عمله، الطريقة التي يستخدمها في ميدان العمل ذاته، ممثلة في كيفية قيادة المناقشات والاستفادة منها لتحقيق ما يسعى إليه.

ماهية المناقشة:

المناقشة نشاط اجتماعي يأخذ طابع الحوار الكلامي المنظم الذي يدور حول مشكلة أو موضوع، تشعر الجماعة بحماس اتجاه محاولة الخروج منها يتم

تحديد الجوانب المختلفة للمشكلة ثم يتم تحليلها ويشترك في المناقشة جميع أفراد الجماعة محاولين تبادل أكبر قدر من الحقائق والمعلومات خلال وقت محدد وفي نهايتها يمكن لكل فرد أن يكون قد اكتسب أفكار جديدة وحقق تجانس أفضل داخل الجماعة.

الهدف من المناقشة.

تعد عملية المناقشة جانباً هاماً في حياة الجماعات، وحتى تكون فعالة ومجدية يجب أن تتصف بالموضوعية، وهذا بحد ذاته يحدد أهدافها التي يمكن أجمالها على النحو التالي:

(1) الارتقاء بالتبادل الحر لأفكار أعضاء الجماعة، ويتم ذلك بحصول كل فرد على معلومات وخبرات مرتبطة بموضوع المناقشة.

(2) المناقشات تغرس روح البحث الدؤوب للباحث عن الحقيقة، والمشاركة في الجهود الجماعية وذلك من خلال تحريك الإحساس الخاص لكل فرد بالمسؤولية والقدرة على التفكير الواعي.

(3) تتيح الاستفادة من أكبر عدد من الخبرات الفردية باعتبار هذه الخبرات مصدر قوة الجماعة واستمرارها لتحقيق أهدافها.

أنواع المناقشات الجماعة:

من أنواع وأشكال المناقشات الجماعية:

1. المناقشات تؤدي إلى زيادة درجات التركيز على العلاقات الاجتماعية المتصلة بالمهام والأعمال.
2. تدور المناقشة الجماعية حول الهدف المنوي تحقيقه مثل تكوين رأي، والاستشارة لإصدار قرار معين، واتخاذ قرار جماعي.

حل المشكلات:

المشكلة هي عدم القدرة على التفكير بقضية معنية والعجز عن اتخاذ قرار مناسب للموقف الذي يمر فيه الفرد أو الجماعة، ويمكن تحديد خطوات حلها في عدة مراحل على النحو التالي:

أ. التهيئة وتتضمن إدراك الناس للمشكلة وأن حلها يعتبر أمراً هاماً.

ب. تحليل المشكلة وتتضمن تحليل الطبيعة الواقعة للمشكلة وأسبابها، ويرتبط بمعرفة حلها عادة بالعديد من الأسباب الأساسية، لذلك يجب إعادة صياغة المشكلة الأساسية.

ت. وضع المحكات أو الشروط التي يجب توافرها في أفضل الحلول.

ث. وضع البدائل مع توقع واحتمال أن هناك بعض الحلول المقترحة قد يكون خطأً لذلك يجب أن يكون هناك أكثر من احتمال وبديل.

ج. اختيار الحل باستخدام المحكات وبتقدير الفوائد والخسائر التي ستعود على الجماعة من كلٍ بديل أو حل يختار أفضل الطرق.

وفي النهاية إن طريقة العمل مع الجماعات هي إحدى طرق الخدمة الاجتماعية التي تستخدمها الجماعة كوسيلة لتنمية الشخصية وتحقيق التوافق الاجتماعي للفرد من خلال عملية التفاعل، إذ يكتسب الفرد شخصيته نتيجة مشاركته في حياة الجماعة.

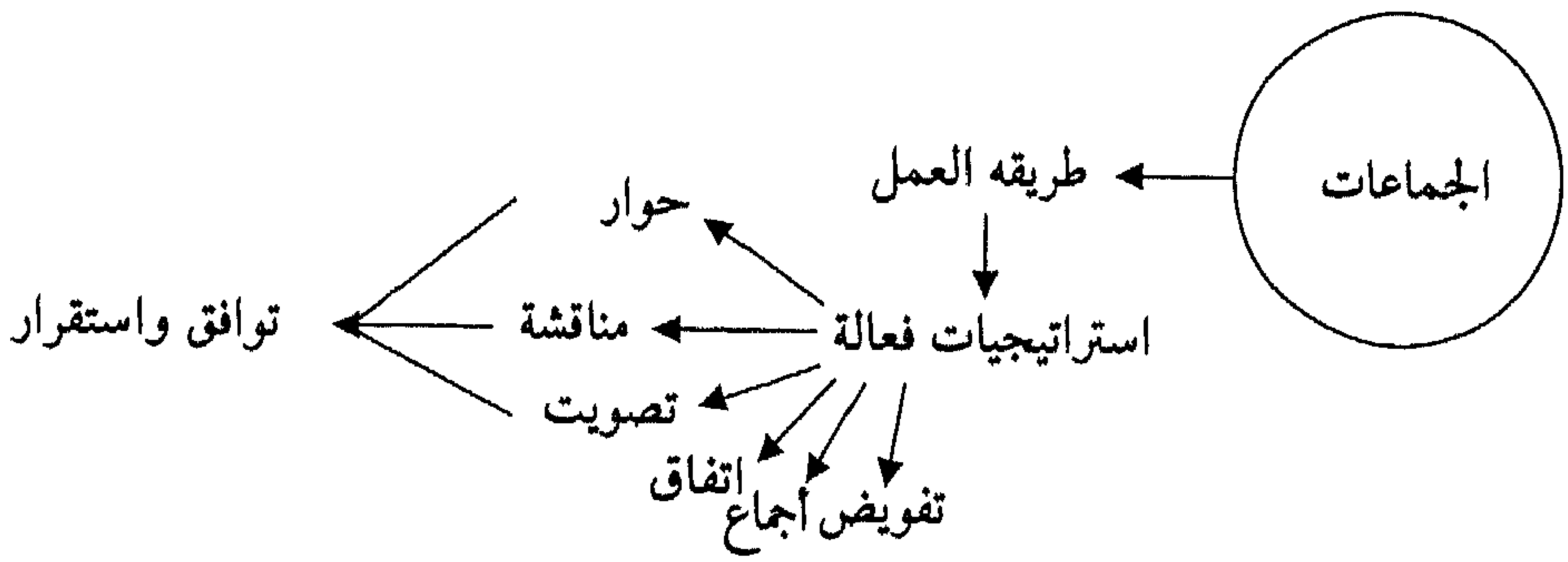
الخاتمة

بعد ما تم استعراض طريقة العمل مع الجماعات، يمكن إتباع طرق واستراتيجيات في تفعيل دور أعضائها، ممثلاً ذلك في المشاركة وطريقة تحديد أسسها، ومن ثم ذلك يؤدي إلى الانتقال إلى دور المناقشات الفاعلة التي تشكل آراء واتجاهات الجماعة نحو أفرادها وبالتالي فإن هذا يشكل اتخاذ القرارات الصائبة من أجل الصالح العام للجماعة، مما يجعلها أكثر تماسكاً وقوة، في ضوء ما سبق يمكن التوصل إلى نقطتين:

الأولى: إن ما يحدث داخل الجماعات من تفاعلات اجتماعية، ممثلة في التوافق والصراع لا يتم إلا من خلال عمليات المناقشات والحوار لتشكيل اتجاهات تؤدي إلى تقبل أفرادها لبعضهم.

الثانية: الجماعات في طبيعتها متغيرة ومستقرة، ولابد من الحراك الاجتماعي الذي يعتريه نوعاً من المشاركة في المناقشة حتى تشكل اتجاهات أعضاء الجماعة نحو جماعاتهم.

وتأكيد على ما ورد في النقطتين، لابد من توضيح ذلك من خلال النموذج التالي:



الوحدة العاشرة

منهجية البحث في دراسة الجماعات

الوحدة العاشرة

منهجية البحث في دراسة الجماعات

- مقدمة.
- الوسائل التي يستخدمها الأخصائي للتعرف على احتياجات الجماعة.
  1) الملاحظة.
  2) المقابلة.
  3) الاستفتاءات.
- كيفية التعرف على الشخصيات القيادية من خلال استخدام أدوات البحث.
- البرامج المستخدمة لتفعيل دور المشاركة داخل الجماعة.
- تقييم البرامج.
- العوامل التي تؤدي إلى نجاح البرامج.
- الأدوات المستخدمة في دراسة الجماعات.
- مشروع تطبيقي يوضح منهجية البحث في دراسة الجماعات.
- خاتمة.

الوحدة العاشر

منهجية البحث في دراسة الجماعات

مقدمة

بعدما قمنا بتوضيح الأساسيات النظرية والعلمية لديناميكية الجماعة وتعريف الجماعة وتحديد صفاتها وكيفية تشكيلها وحاجاتها، والعوامل التي تؤدي إلى إنهائها، وتوضيح البناء الاجتماعي لها من حيث تشكيلها السيكولوجي وتحديد أنواعها من حيث نشأتها وتشكيلها واستمراريتها، والتطرق إلى عمليات التضامن والتكافل داخلها، واتجاهات دراسة تشكيل سلوكها، وتغيرها من حيث الشكل والأهداف، ومن يقوم بهذا التغير وأيضاً التطرق إلى نظريات التغير الاجتماعي، وأشكال الاتصال وطريقة العمل داخل الجماعة، لابد من التطرق إلى منهجية البحث في دراستها من حيث البرامج والأدوات المستخدمة والوسائل المتبعة من قبل الأخصائيين والقياديين.

الوسائل التي يستخدمها الأخصائي للتعرف على احتياجات الجماعات:

إن احتياجات الأعضاء من البرامج الترويحية متباينة ومتنوعة ويمكن للأخصائي التعرف على هذه الاحتياجات بوسيلة أو أكثر، ومن هذه الوسائل:

1. الملاحظة:

ويقصد بها الملاحظة المقصودة التي يخطط الأخصائي لها والتي توصله إلى التعرف إلى ميول الأعضاء ورغباتهم وقدراتهم، فهي أداة دراسة تتم عن طريق المشاهدة، وهي أسلوب له أثر كبير في التعرف على احتياجات الأعضاء لأنها

تعتمد أساساً على ترك المشترك في النشاط حراً طليقاً في استرساله سواء في حديث أو سلوكه، والأخصائي لا يقتصر على ملاحظة الفرد لنفسه، بل تمتد ملاحظاته إلى العناصر التي تؤثر فيه، ومدى استجابته لها، فهو يلاحظ ويسمع ما يقال دون أن يتدخل.

2. المقابلة:

تعتبر المقابلة من أهم وسائل التعرف على احتياجات الفرد، لأنها مقابلة مباشرة، يكون الفرد ذاته هو المصدر الأساسي للمعلومات المطلوب التعرف عليها، وبواسطتها يستطيع الأخصائي أن يحصل على الإجابات التي يحتاج إليها في إعداده للبرنامج.

وتتم المقابلة بشكل مقصود فهي تتم بشكل مقصود بعد تحديد موعد للمقابلة في مكتب الأخصائي، ويراعى العناية بمكان المقابلة المقصودة بحيث تتوفر فيه الراحة والهدوء، يهيئ جواً من الطمأنينة والثقة في نفس الفرد. كما أن المقابلة قد تتم بشكل غير مقصود عن طريقة مقابلة الفرد بعد ممارسته للنشاط المراد تحقيقه.

وتيسر المقابلات غير المقصودة جواً يساعد كلٌ من الأخصائي والفرد في الحصول على بيانات عن طريق الحديث والملاحظة مما يفيد كثيراً في التعرف على الاحتياجات.

والمقابلة تتطلب من الأخصائي مراعاة الآتي:

أ. قبل المقابلة: يعد الأخصائي للمقابلة، بأن يدرس مقدماً الهدف منها بحيث يكون واضحاً في ذهنه تماماً.

ب. أثناء المقابلة: أن الطريقة التي تبدأ بها المقابلة تحدد إلى درجة كبيرة

نجاحها أو فشلها. فيجب أن يهيء الفرد للمقابلة بإشاعة جو غير شكلي مشبع بروح الصادقة، والبدء بموضوع عام ثم التدرج منه إلى طرق الموضوع الخاص بالمقابلة، ويراعى أن يكون الحديث ودياً يوفر للفرد الجو الملائم للإدلاء باحتياجاته.

ت. بعد المقابلة: يسجل ما تم في المقابلة، ويستحسن ألا تسجل المقابلة إلا بعد انتهائها، حتى لا يحول التسجيل دون استرسال الفرد في الحديث، كما أن الكتابة في حضور الفرد قد تحول انتباه الأخصائي عن ملاحظة الفرد، ولا يمنع بطبيعة الحال من تسجيل نقطة رئيسة يخشى الأخصائي نسيانها.

ويقوم الأخصائي بعد ذلك بدراسة وتحليل وتقييم ما تم في المقابلة وذلك لاستخلاص النتائج.

3. الاستفتاءات:

يعتبر الاستفتاء وسيلة موضوعية للتعرف على احتياجات الأفراد والجماعات للتعرف على أكثر هذه الاحتياجات أهمية لهم.

ويعتمد نجاح الاستفتاء على عوامل كثيرة منها:

(أ) أن يُحدّد الهدف من البحث ويفهم فهماً تاماً دقيقاً.

(ب) أن يراعى تقسيم البحث إلى وحدات يمكن قياسها. فمثلاً إذا قلنا أن الهدف من الاستفتاء هو التعرف على حاجات المشتركين الترويحية فإن هذا لا يكفي، إذ ينبغي أن نسأل أنفسنا.. أية حاجات؟ هل هي حاجات ترويحية؟ أم رياضية؟ أم اجتماعية؟ أم ثقافية؟ ثم نتناول كل فرع منها ونعاود السؤال... ماذا نقصد بالحاجات الترويحية الرياضية؟

هل نقصد الحاجة للممارسة أم المشاهدة؟ وهكذا... من هنا يتضح لنا أهمية تحديد الأهداف وأهمية تنظيم وتحديد الأسئلة الموصلة للهدف المطلوب.

(ت) يجب أن يحوي الاستفتاء عدداً من الأسئلة محدد من أهداف البحث بحيث تكون الإجابات عليها بطريقة محددة (كنعم) أو (لا) أو (أوافق)... الخ، ويستحسن اختيار عدد الأسئلة مساوٍ لعدد الأفراد، قبل تطبيق الاستفتاء، ضماناً لوضوحها، واتفاق نتائجها مع هدف البحث.

(ث) ينبغي التأكد أن المشتركين قد فهموا أهداف الاستفتاء فهماً جيداً، واقتنعوا بقيمته وجودته، قبل الشروع في عملية جمع البيانات.

(ج) عقب إنهاء عملية جمع البيانات والتأكد من صحتها تنقل الدراسة إلى المكتب بهدف تحويل البيانات التي تم الحصول عليها إلى معلومات ذات معنى وقيمة.

4. الاتصال بالمصادر:

يقصد به الاتصال بالجهات أو الأشخاص الذين يمكننا عن طريقهم التعرف على احتياجات المشتركين ومن هذه المصادر الأسرة والأصدقاء، وغيرهم خاصه ممن لهم صلة وثيقه بالمبحوثين.

5. التعرف على خصائص مراحل النمو:

لكل مرحلة نمو خصائصها الجسمية والعقلية والنفسية التي تميزها عن المراحل الثمانية الأخرى، ويتطلب منا التفهم الواضح لخصائص كل مرحلة حتى تتناسب مع البرنامج المعد لها.

وكذلك، كيفية التعرف على الشخصيات القيادية من خلال استخدام أدوات البحث ويشترط من المرشد، أن يتبع عدة أساليب ممثله في النقاط التالية:

* أن يكون لديه القدرة على الإصغاء الفعال، لكل فرد من أفراد المجموعة.
* التعرف على احتياجات الأفراد من خلال تحديدها بشكل عام.
* أن يهيأ جو يطفو عليه الراحة والطمأنينة.
* إشاعة جوٍ غير شكلي مشبعاً بروح الصداقة.
* ومن خلال المقابلة يتدرج من الموضوع العام إلى الخاص.
* أثناء المقابلة أن يستطيع أن يحدد مدى فشل أو نجاح العملية.
* وأن يكون الكلام ودي يوفر للفرد جواً مناسباً لاحتياجاته.

البرامج المستخدمة لتفعيل دور المشاركة داخل الجماعة

قسم المشتغلون مع الجماعات إلى البرامج إلى أنواع متعددة، كالبرامج الثقافية والرياضية والاجتماعية. وقبل تواجد الجماعة المراد التعامل معها، يجب التخطيط لبرامج تقوم على أساس متشابهه في الصفات المراد تطويرها أو تعديلها:

1. البرامج الاجتماعية:

يهدف هذا النوع من البرامج إلى تنمية المهارات الاجتماعية، لدى أعضاء الجماعة وتدريبهم على الاعتماد على أنفسهم، والقدرة على تكوين علاقات طيبة مع الآخرين.

والبعض منها تهدف إلى زيادة النشاط الترويحي، كالموسيقى والغناء،

والبعض الآخر يهدف إلى بث روح الواجب نحو الأسرة، والمجتمع كالخدمة العامة والرعاية الصحية والإسعاف، ومكافحة الأمية والتطوع في حملات النظافة.

2. البرامج الثقافية:

يهدف هذا النوع من البرامج إلى منح الفرصة للعضو داخل الجماعة في أن يتثقف ثقافة اجتماعية صحية، ومساعدته على زيادة مستوى التثقيف الذاتي، وتنمية قدراته المعرفية والعقلية.

كما يجب مُراعَاة الاستفادة من المكتبات، وحلقات البحث، والمحاضرات والمسرح والأحاديث وَبرامّج الإذاعة، والاستفادة من شبكة المعلومات.

3. البرامج الرياضية:

يعد النشاط الرياضي من أهم الوسائل، لإعداد الفرد للعمل الجدي الذي يقوم به بالمستقبل، وقد كانت (ماريا منتسوري) أول من أقامت بيوتاً للأطفال وهيأتها بالأدوات والأجهزة المختلفة، حيث تدرب حواس الطفل ويتعود الانتقال من النشاط السهل إلى آخر أكثر تعقيداً، ويقوم بهذا كله من تلقاء نفسه تحت إرشاد وإشراف فني، ويكون اللعب تلقائي أي الصادر عن رغبة الفرد الخالصة، ولذلك يعتبر هذا النشاط من أهم نواحي البرامج التي تقوم بها الجماعات.

وهدف هذا النوع من البرامج إيجاد الفرص المناسبة للعضو للاشتراك في النشاط الرياضي، لكي ينمو جسمه نمواً متزناً واكتسابه القدرة على تناسق

الحركة والتدريب على التعاون المنظم، والتغلب على الصعاب والعمل من أجل الجماعة.

كما تشمل هذه البرامج التمارين الرياضية والألعاب الخارجية والداخلية والإيقاعات الحركية وإقامة المخيمات الترفيهية.

4. البرامج الفنية:

تعتبر الفنون الجميلة والأشغال اليدوية من النشاط العامة التي تميل إليها جماعة الأطفال، لأنها تتفق مع طبيعتهم واستعدادهم، ويتضمن هذا النوع من البرامج كافة أنواع النشاط الذي يتطلب استخدام المهارة اليدوية والمنتجات الفنية التي ينتجها أعضاء الجماعة لها قيمة كبيرة في نظرهم، لما يحس به العضو المنتج من شعور بالتحصيل، كما أنه يجد في مهارته إرادة تمكنه من الحصول على مكانه لائقة بين أعضاء الجماعة ويخلق هذا النوع من النشاط الميل المهني لديه.

ومن مميزات البرامج الفنية أنها تتمثل في النقاط التالية:

(1) التشجيع على الابتكار.

(2) وسيلة فعالة للتخفيف من التوتر النفسي.

(3) علاج المشكلات الذاتية للفرد.

وتشمل هذه البرامج التلوين بالأصابع، الرسم والنحت وأشغال النجارة والتطريز وإصلاح أجهزة الراديو والساعات.

5. البرامج الإرشادية والتوجيهية:

هذا النوع من البرامج لا يزال غير معروف للكثير من المؤسسات الاجتماعية، وذلك لعدم وجود الإحصائيين الذين لديهم المعرفة الكافية بهذا

النوع من البرامج، كما أن بعض المؤسسات تقدم البرامج الإرشادية لتثقيف أعضاء الجماعات والآباء والأمهات أو دراسة موضوعات مختلفة كالزواج والمشاكل الأسرية ومسائل العمل.

وتختلف أنواع البرامج تبعاً لاختلاف مراحل النمو والميول والحاجات والقدرات الجسمية والعقلية والاجتماعية لدى الفرد التي تقابل مراحل النمو المختلفة والتي يحسن أن يراعيها الأخصائي في عمله مع الجماعة.

تقييم البرامج:

تعتبر البرامج أهم أركان الطرق للعمل مع الجماعات، يمكن من خلالها تعديل سلوك الأعضاء، وبث المثل العليا لديهم، بل تعد من الوسائل الهامة في تكوين المواطن الصالح. وبناء أخلاقياته، وإذا كان الباحث في مجال ديناميكية الجماعة يود معرفة مدى التقدم الذي وصل إليه أعضائها فما عليه إلا القيام بعملية التقييم التي يتم عن طريقها التحقق من مدى التقدم، والتعرف على عوامل النجاح في البرامج، (ممثلاً ذلك بزيادة أفعال) اهتمام وإقبال الأعضاء عليها ومعرفة سبب فشل البرامج التي لم يقبل إليها الأعضاء فيعمل على تعديلها أو تغيرها.

العوامل التي تؤدي إلى نجاح البرامج:

في ضوء العرض السابق، تشير الدراسات المتعلقة بديناميكية الجماعة وبالذات دراسة بيون (Bion) بأن هناك مجموعة من العوامل تؤدي إلى إنجاح البرامج يمكن تصنيفها حسب أعضاء الجماعة، والجماعة نفسها، والبرامج

المطبقة، والعوامل المتصلة بالأخصائي، والعوامل المتصلة بالمؤسسة، يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أ. العوامل المتصلة بالأعضاء وتتمثل بالتالي:

(1) اختلاف الفروق الفردية بين أعضاء الجماعة اختلافاً كبيراً ما يؤدي لعدم إيجاد رأي عام جماعي مُوّحد للجماعة ككل.

(2) اختلاف المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لأعضاء الجماعة مما قد يقف حائلاً دون تكوين علاقات اجتماعية سليمة بينهم.

(3) التفاوت في سن الأعضاء.

ب. العوامل التي تتصل بالجماعة:

تشير الدراسات في مجال علم النفس الاجتماعي، وخاصة في مجال هيكلية الجماعات وبالذات دراسة شاتز (Schutz)، بأن عدة عوامل تتصل بالجماعة، وتمثل بالنقاط التالية:

(1) كبر حجمها.

(2) عدم اتفاقها على البرامج والإعداد لها.

(3) عدم تقبلها للأخصائي والمؤسسة.

ت. العوامل التي تتصل بالبرامج وتتمثل بالتالي:

(1) الشعور بالملل سواء من طولها أو من قصرها.

(2) عدم تجددها وتنوعها.

(3) عدم تحقيقها لرغبات الأعضاء.

ث. عوامل تتصل بالأخصائي وتتمثل بالتالي:

(1) عدم اهتمامه بوسائل التسجيل أو استخدامه لها.

(2) عدم إلمامه ببرامج الجماعة وما يتناسب منها للجماعة التي يعمل معها.

(3) عدم تدريبه مهنياً وقلة تجاربه السابقة للعمل مع الجماعات.

ج. العوامل التي تتصل بالمؤسسة و تتمثل بالتالي:

(1) عدم وجود الإشراف الكافي.

(2) عدم وجود الخبرة الفنية داخل المؤسسة.

(3) عدم توافق برامج المؤسسة واحتياجات الجماعة.

الأدوات المستخدمة في دراسة الجماعات:

يندرج تحت هذا الموضوع مجموعة من الأدوات التي يمكن اعتبارها كمحكات في دراسة الجماعات تساعدنا في جمع المعلومات عن واقعها وحيثياتها يمكن إجمالها على النحو التالي:

1. التسجيل (Records):

يُعّرف بأنه الأسلوب المهني الذي يقوم به الباحث، خاصة بتدوين كافة العمليات المهنية، فهو عملٌ فني يعتمد إلى حدٍ كبير على مهارة الممارسة. بهدف فهم وتوضيح ما يمكن أن يصل إليه الباحث من نتائج تتصل بها ويعتمد ذلك على الدقة والأمانة والموضوعية.

يعتمد الباحث على عمليات التسجيل، كأداة اساسيه في طريقة العمل مع الجماعات، كما يعتبر التسجيل الوسيلة التي نتعرف من خلالها على مدى ما

حققه الأفراد والجماعات من النمو، وما حققته طريقة العمل معها من نتائج مرتبطة في عملية التغير نحو الأفضل.

وكما يعتبر التسجيل عملية أو مسؤولية، يشترك فيها معظم أعضاء الجماعة والأخصائي والمشرف بحيث يكون لكل منهم دوره ومستواه الخاص به.

كما تهدف عملية التسجيل إلى تحقق عدة أهداف من أهمها:

1. تحسين تجارب الفرد مع الجماعة.
2. تحسين الأساليب التي يتبعها الفرد مع الجماعة.
3. تطوير الأساليب الفنية التي يتبعها الأخصائيين في عملهم مع الجماعات.

أغراض التسجيل:

تعد عملية التسجيل من الأدوات الهامة في جمع المعلومات المتعلقة فيما يختص بدراسة الجماعات والأفراد، أما فيما يتعلق بأغراضها، يمكن تحديدها بالنقاط التالية:

أ. قياس مهارات الأخصائي المهنية.

ب. الأغراض التنظيمية والإدارية.

ت. الأغراض العلمية.

ث. قياس تطور المؤسسة ونموها.

في ضوء ما تقدم يمكن طرح السؤال المحوري التالي ما أثر التسجيل في التعرف على المهارات المهنية للأخصائي؟ وتشمل الأجابة:

الإجابة على مثل هذا السؤال في النقاط التالية:

1. مساعدة الأخصائي على دراسة سلوك الفرد في الجماعة وإدراكه وانفعالاته ودوافعه.
2. معاونة الأخصائي على أداء عمله الفني مع الجماعة، بطريقة أكثر إدراكاً وفهماً لمواقفها إزائها ومواقف الجماعة منه وعلاقته بها.
3. مساعدته على أن يرسم الخطة وبرامج العمل مع الجماعة.
4. تهيئته لتحسين التجارب والأساليب والطرق، التي يتبعها مع الجماعة.
5. مساعدة الأخصائي على دعم التعاون بين المشرف والجماعة التي يعمل معها.

أما فيما يتَعّلق بأثر التَسّجيل في قياس تطور الجماعات ونموها تشير بعض الاراء والاتجاهات في هذا المجال بأنه له عدة آثار يمكن اجمالها على النحو الآتي:

(1) تطور حياة الجماعة من حيث موعد بدئها وكيفية أدائها وأهدافها.

(2) تتعرف من خلاله على خصائص الجماعة من حيث نوع عضويتها وشروطها وحجمها وأعمار أعضائها.

(3) تحدد من خلاله خصائص الأفراد الذين ينتمون للجماعة من حيث عمر كل فرد فيها وجنسه وعمله وثقافته وبيئته الاجتماعية.

(4) نوضح من خلاله علاقة الأخصائي بالجماعة ككل ومع الأعضاء كفرد.

(5) نلم من خلاله بخصائص البرنامج من حيث تأثيرها بالجماعة المراد دراستها وكيفية اختيارها وتخطيطه وتنفيذه.

1. تطور حياة المؤسسة نشأتها ونوعها وأهدافها وتطور أهدافها.
2. خصائص المؤسسة، نوع عضويتها وشروطها وأعمار أعضائها والمستوى الثقافي والاجتماعي لديهم، وعدد الجماعات وأنواعها، أهدافها، خدماتها.
3. دور الأخصائي في المؤسسة وقدرته على المشاركة في تقدمها وعلاقته بغيره من الأخصائيين.
4. خصائص برامج المؤسسة أنواعها وطرق تنفيذها والإمكانيات اللازمة لبرامج المؤسسة.
5. التنظيم والإدارة والتنسيق في المؤسسة.

أما فيما يختص بالأنواع لطرق التسجيل المختلفة، يتحدد ذلك بثلاث أنواع، يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أ. التسجيل عن طريق التقارير.

ب. التسجيل بواسطة المقاييس الاجتماعية.

ت. التسجيل من خلال الرسوم البيانية.

2. التقارير (Reports):

تعد التقارير (Reports) الأداه الثانية المستخدمة في دراسة تشكيل الجماعات وحراكها وتستخدم للتعرف على التفاعلات التي تتم داخل الجماعات حيث يمكن إجمال أنواعها على النحو التالي:

(أ) التقرير الدوري:

يقوم الأخصائي بإعداد هذا النوع من التقارير بعد كل اجتماع يعقده مع

الجماعة، ويجب أن يكون واضحاً وأن هذا التقرير لا يعني فقد كتابة ما يدور في الاجتماعات للجماعة بل يشمل على برامج الجماعة، إذ أن كل برنامج جمعي هو بمثابة اجتماع يستخدم فيه أسلوب التفسير والتحليل لأهم متطلبات الجماعة.

(ب) تقرير تحليلي للجماعة:

يقوم الأخصائي بكتابة هذا التقرير على فترات حسب ظروف كل جماعة فيعده كل ثلاث أشهر أو أربعة أو يعده بشكل دوري، كما تعود أهمية هذا النوع من التقارير إلى عدة أسباب أهمها:

أ. بالنسبة لأفراد الجماعة:

1. تمكن الأخصائي من تقديم مساعداته للأفراد، بالطريقة التي تتفق واحتياجاتهم.
2. تُعرّف الأخصائي على مركز الفرد في الجماعة، والأسباب التي تعيق الأفراد في التفاعل داخل الجماعات التي ينتمون إليها.

ب. بالنسبة للجماعة:

1. تعرف الأخصائي على نمو الجماعة وتطورها.
2. تعرف الأخصائي على مدى اتفاق البرامج مع رغباتها.

ت. بالنسبة لأخصائي الجماعة:

1. تحدد موقفه من الجماعة، وموقفها منه.
2. كما تمكنه من التعرف على التغيرات التي ظهرت في حياة الجماعة، حتى يتمكن من مساعدتها في تحقيق أغراضها المشتركة.

ث. بالنسبة للمشرف:

تمكن أهمية هذا النوع من التقارير بالنسبة للقائم على عملية الإشراف في نقطتين:

1. متابعة تطور الجماعة ونموها.

2. تعتبر التقارير مادة هامة، يعتمد عليها المشرف في مناقشاته مع الأخصائيين.

ج. بالنسبة للمؤسسة:

تخدم هذه التقارير المؤسسة ويمكن تحديدها في نقطتين أساسيتين:

1. تخدم التسجيلات المؤسسة في تقويم برامجها وخدماتها.

2. تعتمد المؤسسة على التقارير في وضع سياستها، فيما يتفق مع فلسفة المؤسسة.

ح. بالنسبة للناحية الدراسية:

كما أشارت الدراسات إلى أهمية التقارير بالنسبة للناحية الدراسية أو إجراء الأبحاث ممثلة في نقطتين:

1. تعتبر مادة هامة تعتمد عليها طريقة العمل مع الجماعات.

2. تعد مادة هامة للدراسات العلمية للمشتركين في العمل مع الجماعة.

عناصر التقرير الدوري لاجتماعات الجماعة:

عند دراسة الناحية الشكلية والتأليفية لمكونات التقرير الدوري الذي

يختص في دراسة الجماعات، فإنه يتكون من مجموعة من الأجزاء يمكن إجمالها على النحو التالي:

(1) جزء إحصائي. يختص بتحديد نوعية الإحصاء المستخدم في موضوع التقرير، وما أعد من أجله التقرير.

(2) جزء إعدادي. يوضح مجال تقسيم الموضوعات التي يحتوي عليها التقرير.

(3) جزء قصصي. يمثل هذا الجزء سرد الأحداث التي جرت ضمن الواقعة خاصة في الاجتماعات المنظمة الدورية للجماعة.

(4) جزء تحليلي. يوضح هذا المجال التحليل ممثلاً في ربط الوقائع مع بعضها للوصول إلى نتيجة واقعية.

(5) جزء تخطيطي. يوضح هذا الجزء الخطوط العريضة التي وردت في التقرير، حتى يتسنى لنا تطبيقها.

ب. التقرير التحليلي:

يقوم الأخصائي بأعداد هذا النوع من التقارير محتوياً على تحليل المواقف والخبرات الجماعة التي لاحظها خلال الاجتماع. ويعرف على أنه تحليل مجموعة للوقائع ولأحداث التي جرت داخل الاجتماعات بشكل يستند إلى الناحية العلمية والموضوعية.

عناصر التقرير التحليلي للجماعة:

من خلال الإطلاع على مكونات التقرير التحليلي (Anlytical Report) فإنه يتكون من عدة عناصر، وأجزاء تختص بالأخصائي، والجزء الفردي والجماعي، والبرامج المطبقة. حيث يمكن إجمال عناصره على النحو التالي:

1. جزء إحصائي ويشمل على:

أ. عدد أفراد الجماعة وأعمالهم وجنسهم.

ب. توزيع المستويات الثقافية والمهنية.

ت. عدد الحضور في كل اجتماع.

ث. عدد الأعضاء المتغيبين أو الذين تركوا الجماعة.

2. جزء فردي ويشمل على:

أ. درجة ثقافته.

ب. جنسه، وعمره.

ت. حالته الاقتصادية، والثقافية.

ث. ميوله، وقدراته.

ج. خبراته السابقة.

ح. علاقته بأخصائي الجماعة.

3. جزء جماعي ويشمل على:

أ. نوع الجماعة.

ب. طريقة تكوينها.

ت. العلاقات السائدة فيها.

ث. دستورها.

ج. قراراتها.

ح. علاقة الجماعة بالجماعات الأخرى.

4. جزء خاص ممثلاً لبرامج الجماعة ويشمل على:

أ. برامج الجماعة بأنواعها.

ب. عدد المشتركين في كل برنامج.

ت. البرامج التي يميل إليها الأعضاء.

ث. أثر البرنامج في حياة الجماعة.

5. جزء عن دور الأخصائي في الجماعة:

أ. علاقته بالجماعة.

ب. دوره في برامج الجماعة ومدى تدخله في تخطيطها وتنظيميها.

ت. موقفه إزاء مشاكل الجماعة.

ث. دوره في تنظيم الجماعة.

ج. دوره بربط الجماعة بالجماعات الأخرى.

في ضوء ما سبق، سنقدم مشروعاً دراسياً تطبيقاً، يقوم على استخدام أدوات منهجية البحث الاجتماعي في دراسة الجماعات، ممثلاً في موضوع إيجاد التوافق الثقافي ما بين جماعات المهاجرين والمواطنين.

مشروع تطبيقي:

إيجاد التقارب الثقافي الاجتماعي ما بين جماعات المهاجرين والمواطنين لتقرير الشراكة بينهم

المقدمة:

سيتناول هذا المشروع قوة الشراكة بين طلبة الجامعات الوطنيين والمراهقين

المهاجرين عن طريق تقديم النشاطات التي تُشكل التواصل بين الطرفين، بحيث تبني نوعاً من التفهم المشترك بينهما، القائم على الاحترام والتعاون.

مشكلة المشروع:

سيحاول المشروع الإجابة عن سؤال محوري مفاده، "ما مدى تأثير النشاطات والفعاليات التي يقدمها المشروع على قوة الشراكة بين الطرفين في بناء ثقافة وسيطة تحقق التفاعل بين جماعات الشباب الوطنيين المحليين، والمراهقين المهاجرين اللاجئين"؟

أهداف المشروع:

يهدف المشروع إلى استخدام نموذج لدمج جماعات الشباب المهاجرين واللاجئين من عدة أقطار في العالم، وبالذات من دول (العالم الثالث) مثل الصومال، وهايتي، وغينيا، للكشف عن احتياجاتهم، ممثلاً ذلك في استخدام معلومات الدراسة والبحث في أعداد تقرير ممثلاً في اعداد كتاب لاستخدامه من قبل الآباء والطلاب المهاجرين والمواطنين. ويمكن إجمال أهداف التقرير في عدة نقاط:

1. دمج الطلاب الكبار مع الطلبة القادمين وبالذات المراهقين، ممثلاً ذلك بسد حاجاتهم الأمنية والتركيز على إخضاعهم لدورات في التعليم المدني.
2. تشجيع القيادة الشابة الوطنية، وهذا لا يتم إلا بتعليم تلك الفئة مهارات المشاركة السياسية لحل مشكلات المجتمع والجماعات وتنظيمه، ولا يتم أهم المشكلات لتلك المجتمعات إلا من خلال تحقيق أهدافها.
3. تزويد تلك الفئة بنموذج للثقافات (ثقافة الطلاب الوطنيين المحليين) وسط

تبادل ثقافاتهم الاجتماعية المختلفة ودمجها في ثقافة وسيطة بحيث يتم من خلالها التفاعل بين فئات الشباب المختلفة بين الطرفين.

أهمية المشروع:

تكمن أهمية المشروع في كونه سيطرح نموذجاً تشاركياً ثقافياً، من خلال التعليم الجامعي، لإيجاد قيادة جماعية شابة من المراهقين المهاجرين ترتقي لحل مشكلاتها السياسية، والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

الفئة المستهدفة:

مجموعة من الشباب المهاجرين واللاجئين الذين تتراوح أعمارهم من (15-19) عاماً.

الفئات المشتركة:

الطلاب من كلية College of Public and Comrnunity (CBCS) Service وجامعة Massachusetts بمشاركة المهاجرين واللاجئين الذين تتراوح أعمارهم بين (15-19) عاماً.

خلفية المشروع:

تقوم خلفية المشروع على إلقاء الضوء على ما يخلفه اللجوء والهجرة، التي تشكل لدى المهاجرين التوترات وعدم التكيف والانسجام والتوافق في المجتمعات الجديدة التي قدموا إليها، الذي يؤدي إلى العزلة والإحباط الناجمة عن الحواجز الثقافية التي تحول بينهم وبين التعرف على الثقافات الجديدة للمجتمعات التي قدموا إليها، وهذا يتطلب إعادة بناء ثقافي اجتماعي لشخصياتهم ولأفكارهم ولمعتقداتهم، حتى يصبحوا قادرين على التكيف والدمج في تلك المجتمعات.

وتأكيداً على ذلك يرى كل من اريكسون وفريتمان (Erikson 1968, Van and Fritman 1998) بأن الشباب المهاجرين خاصة في مرحلة المراهقة المتأخرة يبحثون عن الهوية خاصة بهم في المجتمعات الجديدة التي قدموا إليها، وهذا بحد ذاته يخلق لديهم قلقاً وتوتراً في علاقتهم الاجتماعية مع الآخرين.

وتتلخص التجربة بهذا النموذج بأنها تقوم على تقديم الخدمات التعليمية التعاونية التي تشكل قوة انتماء الشباب لثقافتهم، فتؤدي في المحصلة النهائية إلى تطور القيادة الشبابية لديهم للارتقاء والتوافق والتناغم في مجتمعاتهم وهذا ما أكده بيتمان (**Pittman 1991**).

ويشير ليكس (Lakes 1996) بأن استخدام التشارك ما بين الشباب المحليين الذين يدرسون في الجامعات والمراهقين من الجاليات القادمة، يؤدي إلى تشجيعهم في المشاركة الثقافية، ويؤدي أيضاً إلى تغيرات جذرية في التعليم المدني الذي يعُدّ حاجة ملحة لهؤلاء الشباب المراهقين، وهذا بحد ذاته يؤدي إلى تشجيعهم على تعلم ثقافة تلك البلد التي قدموا إليها، ويحفزهم إلى مستقبل أفضل ويعد (التعليم المدني حاجة ملحة، خاصة مع وجود القادمون الجدد بسبب التغييرات الأخيرة في السياسة العامة المتعلقة بالهجرة والرفاه. المهاجرين واللاجئين يحصلون على تسهيلات تتضمن التشجيع على التعليم والاهتمام بالاطفال والمسنين وتحفيزات من أجل المثابرة للمستقبل).

وتأكيداً على ذلك يشير دالي وونج (Daley and Wong 1994) بأن جميع الأجيال المهاجرة واللاجئة تحتاج إلى تعليم مدني يؤدي إلى تنمية قياداتهم الشابة لإفادة مجتمعهم. كما أن الطلاب الكبار المواطنين الذين يدرسون في الجامعات والمعاهد لهم دور في التعاون مع المراهقين المهاجرين لتطوير مهاراتهم لمواجهة

مشكلاتهم المستقبلية، وهذا يؤدي بالمحصلة النهائية إلى إفادتهم لمجتمعاتهم الأصلية.

وبهذا الخصوص أشار كل من جورج وألكسندر (George & Alexander 1993) إلى أن هذا التدريب سينمي لدى الآباء الاحترام والتقدير، بما أنجز المراهقون الذي سيؤدي في المحصلة النهائية إلى تعاونهم في المجتمع بشكل عام.

والسؤال المحوري المطروح حول الموضوع:

ما هو النمط الذي يمكن أن نتبعه في ترسيخ المنهجية التعاونية لإيجاد شراكة حقيقية في الثقافة بين الشباب المواطنين والمراهقين المهاجرين؟

للإجابة على هذا السؤال أشار الباحثون ليكس، ليفرد، وسيجمال (Lakes, 1996, Leiferand Mc Clarney, 1997, Sigman, 1998). لتحقيق قوة المشاركة الحقيقية يجب أن تمر في عدة مراحل ذات علاقة وطيدة في هذا الموضوع:

1. المرحلة الأولى: تفعيل دور طلبة جالية الجامعات من حيث الالتقاء بين جيلين، وإيجاد ثقافة مشتركة عبر وسائط متعددة أي (الالتقاء بين طلبة الجامعات المحليين والمراهقين والمهاجرين لبناء نموذج مشترك ممثلاً ذلك في ايجاد وسائط متعددة كالأفلام، والمحاضرات، والمناقشات، والمناظرات، والنشاطات الترفيهية والثقافية لتفعيل ثقافة مشتركة بينهم).
2. المرحلة الثانية: محاولة مناقشة القضايا التي يتعرض لها المراهقين المهاجرين وعائلاتهم في تلك البلدان، وهذا بحد ذاته يؤدي إلى التغلب على الانقسامات بينهم وتبني من خلال ذلك نموذجاً تعاونياً بينهم.

3. المرحلة الثالثة: الاعتماد المتبادل بين الجيلين (الكبار والمراهقين من جانب) و(طلبة الجامعات والمعاهد المحليين من جانب آخر) لبناء ثقافة مشتركة تقوم على التعاون، ممثلة في خدمة الشباب في تقديم المهارات في تدريب مرشدين مفوضين، وبناء الإرادة لديهم وتزويدهم بالخبرات التي تؤدي في المحصلة النهائية إلى حل مشكلاتهم وتزويدهم بثقافة مشتركة تؤدي إلى التوافق والانسجام.

4. المرحلة الرابعة: ترسيخ الدعم للأبحاث التي تولي أهمية للمراهقين وتجعلهم يتحملون المسؤولية، وهذا لا يتم إلا بتشجيعهم ومشاركتهم في تبادل المعلومات والمعارف بينهم وبين الطلاب المحليين.

وهذا بحد ذاته يرسخ ثقافة تعاونية مشتركة بينهم، وهذا ما أشار إليه كل من جرين وويل (Green 1995 Weil 1996)، كما أن هذا بحد ذاته يؤدي إلى رفع من مستوى التوقعات التي تعمل على إيجاد نموذج مفتوح ومتبادل يؤدي إلى ترسيخ أربعة نقاط أساسية:

* انفتاح مجموعة شباب الجامعات المحليين (الوطنين) على مجتمع الجاليات (المهاجرين).
* العمل مع الشركاء الذين يسهمون في ترسيخ الثقافة المشتركة التعاونية بشكل فعال.
* الإصغاء للشباب أكثر من إعطائهم الأوامر، والعمل على ترسيخ الثقافة المشتركة بين الطلبة المحليين والمراهقين المهاجرين.
* توزيع الأدوار الوظيفية ذات العلاقة في ترسيخ الثقافة التعاونية المشتركة للآباء والمعلمين وغيرهم من المتطوعين لبناء مسؤولية متكاملة بينهم.

وهذه الأمور لا تتحقق إلا من خلال منهجية أنشطة تعاونية تشاركيه تدور حول مفهوم التخطيط ومشاركة، وبناء المعلومات، وتحديد مخطط تعاوني فعال يحدد النتائج والأجندة التي ستؤدي بالمحصلة النهائية إلى إيجاد أفراد مشاركين وفعالين في اتخاذ القرارات.

إجراءات المشروع:

يقوم المشروع على عدة خطوات إجرائية منها:

1. عقدت عدة اجتماعات مع الموجهين والوسطاء (القائمين على المشروع) في الكليات والجامعات، وكانت تلك الاجتماعات عبارة عن (مقابلات) تركز حول بحث الأدوار والتوقعات التي سيساهم بها المراهقين المهاجرين للتعرف بأهم مشكلاتهم وتشخيصها وإيجاد الحلول لها حتى تؤدي إلى تطور مجتمعهم.
2. استخدام وسائط ذات معنى في ترسيخ الربط بين الأهداف المرجو تحقيقها بالعمليات، بحيث يؤدي إلى الإسهام في إيجاد ثقافة تعاونية مشتركة، تؤدي بالمحصلة النهائية إلى زيادة المشاركة الثقافية بين الطلبة المحليين والكبار المراهقين في الجاليات.

ولتحقيق الإجراءات ركز على ثلاثة محاور رئيسية:

1. تعريف الشباب المحليين بالمراحل التطورية لطبيعة المراهقة.
2. تعريف الشباب المحليين بالثقافات والحضارات القادمين الجدد أو المهاجرين.
3. ثقافة بناء المجتمع.

من خلال عرض ما سبق سنتطرق لكل واحدة بالشرح والتفصيل:

أولاً: تعتبر طبيعة المراهقة التطورية للمراهق مرحلة هامة يتم من خلالها التغيرات النفسية والبيولوجية والاجتماعية والجسدية للمراهق، وتأثير ذلك على الهوية والتفاعل الشخصي الذاتي مع محيطه الاجتماعي ودوره في إظهار ذاته خاصة من ناحية الرفاق والشلة، ومدى إبداء رأيه حول ما يحيط به من تغيرات في الوسط الاجتماعي الجديد الذي جاء إليه، ومحاولة تعديل سلوكه فيما يتعلق بالنقد الساخر اتجاه الآخرين.

ثانياً: قدمت إجراءات وبرامج كان هدفها الأخذ بعين الاعتبار تعدد اختلاف الثقافات حول الطبقة والأصل والهوية، وهذا بحد ذاته كان له دور فعال في تشكيل الهوية والعرق، وكذلك طبق هذا البرنامج من خلال طرح سؤالين رئيسيين:

1. كيف يصنفون المراهقين الجدد أنفسهم ضمن العرق الجديد بمعنى (نظرتهم لأنفسهم عالية أو متدنية)؟
2. كيف ينظرون المراهقون الجدد إلى خلفياتهم العرقية، ومدى تأثير ذلك على شخصياتهم؟

ولتفعيل ذلك عمل القائمون على المشروع بمنح المراهقين فرصة لدعمهم من خلال نقاشات وحوارات يشاركون بها مع الآخرين ومع طلبة الجامعات المحليين، وهذا بدوره عزز ثقتهم بأنفسهم من خلال عدة اجتماعات يمكن إجمالها على النحو الآتي:

* الاجتماع الأول: إزالة المشاعر التي يشوبها نوع من الخجل والدونية لديهم حتى يتوصلوا في المحصلة النهائية بأن يصبحوا فخورين بأنفسهم وبثقافاتهم.

* الاجتماع الثاني: عزز الثقة بينهم.

* الاجتماع الثالث: رسخ مفهوم المشاركة لدى ثقافتهم وثقافة المجتمعات القادمين إليها وبين نوعاً من التقارب وعدم التعارض.

* الاجتماع الرابع: أصبحت لديهم هوية بحيث أصبحوا فخورين بأنفسهم بشكل نهائي وخير مثال على ذلك ما قدم لشباب (Haitian) وشباب (the cape Verdian) الجدد مع الثقافة التي أتوا إليها.

* وفي نهاية هذا الإجراء الذي قام على الحوار والمناقشات، أدى إلى تطوير النقد لديهم، وبناء مشاعر التعاطف بينهم، وأدى إلى اعتزازهم بأصلهم ورسخ مفهوم المسؤوليات والواجبات لديهم بشكل أفضل.

* قدم الشباب الصومالي في الاجتماع ثقافات عامة ومصنوعات يدوية عن تاريخ الصومال، كما قدم الغينيين بعض النماذج عن ثقافات أرضهم ممثلة بالطعام والملابس والموسيقى.

* كما أن شباب الهايتيين (Haitian) قدموا معرض للراقصين مع الموسيقى.

نتائج المشروع:

وفي ضوء ما تقدم، توصل المشروع إلى عدة نقاط محورية يمكن إجمالها على النحو التالي:

1. ترسيخ مفاهيم التقارب والمشاركة بين المراهقين المهاجرين والمجتمع الجديد الذين وفدوا إليه.
2. تعزيز المشاركة والنقاش والحوار لديهم بحيث أدى ذلك إلى تحديد احتياجاتهم مما أدى في المحصلة النهائية إلى ترسيخ عدة مفاهيم أو قيم كالاحترام، وبالذات احترام ثقافة الآخر وتقبله، كما رسخ مفهوم الحوار والنقاش المتبادل ما بين المشاركين، ورسخ أيضاً مفهوم التقبل لدى الفئات المشاركة.
3. كانت التجربة بكل معطياتها، تجربة ناجحة في كسر الفجوة بين الثقافات المتعددة للجماعات المختلفة، وهذا يتصل في تشكيلها وحراكها.

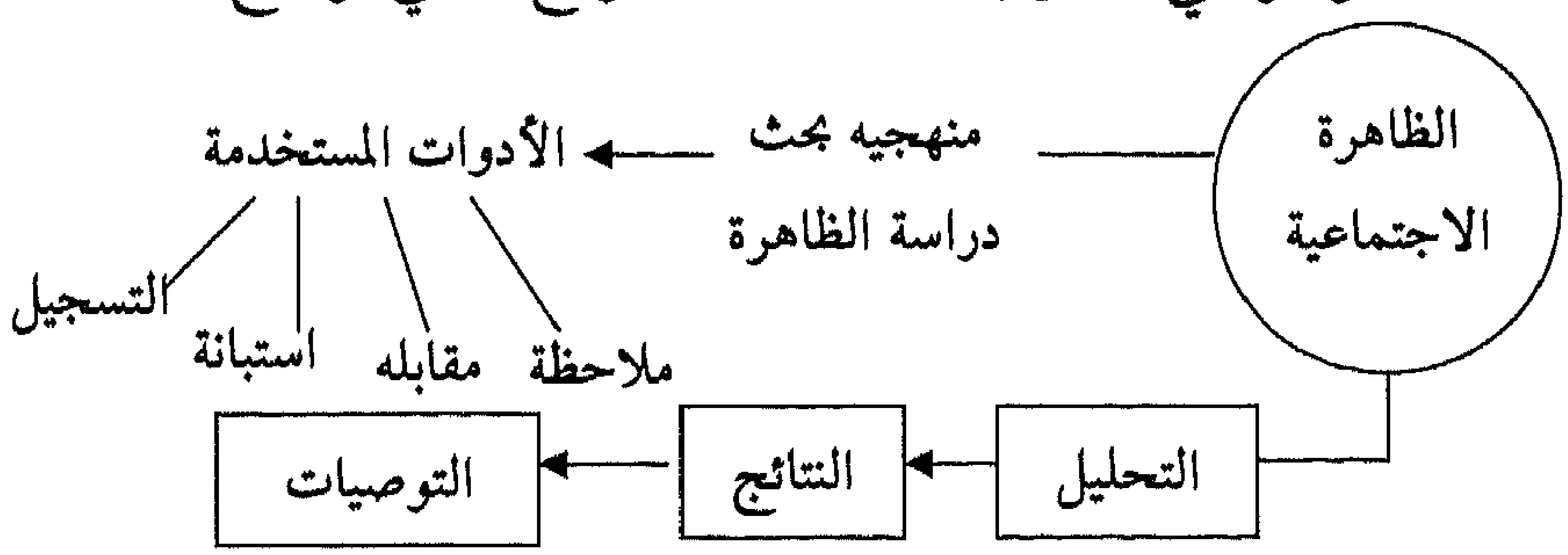
الخاتمة

بعدما تطرقنا إلى منهجية البحث في دراسة الجماعات، توصلنا إلى أنها تعتبر ذات أهمية، خاصة الوسائل التي يستخدمها الباحث، في التعرف على تشكيلها وحراكها، من حيث اكتشاف الشخصيات القيادية في داخلها، والتعرف على الاختلاف والتوافق بينها وبين الجماعات الأخرى من ناحية ثقافية، وأهمية البرامج المستخدمه لدراستها، والتي تناسب وتنسجم مع حاجات وأفكار ورغبات وأهداف أعضائها، ولا ننسى دور الأدوات المستخدمة في جمع المعلومات والبيانات كالاستبانه والمقابله والملاحظة والتسجيل، التي تعتمد عليها في عملية التحليل والتفسير للظواهر المراد دراستها حيث قدمنا مشروعاً تطبيقياً يمثل ذلك.

في ضوء ما سبق يمكن أن نحدد نقطيتين ذات صلة في منهجية البحث في دراسة الجماعات:

الأولى: تعد منهجية البحث الاجتماعي من الأسس العامة في دراسة الجماعات من حيث بنائها وتشكيلها وحراكها.

الثانية: لابد من استخدام اداة البحث المناسبة لدراسة أية ظاهرة من الظواهر التي تتعلق بالجماعات، والنموذج التالي يوضح ذلك.



الوحدة الحادية عشرة

النظريات الاجتماعية التي فَسّرت تشكيل الجماعات

الوحدة الحادية عشرة

النظريات الاجتماعية التي فَسّرت تشكيل الجماعات

- مقدمة.
- مفهوم النظريات الاجتماعية.
- النظريات الاجتماعية التقليدية.
- بداية المقاربة الوصفية.
- المواطنة والعدالة الاجتماعية.
- الوضعية في نظرية كُومت (Comt).
- مفهوم الظاهرة الاجتماعية ضمن الجماعات.
- أسس دراسة المنهج الوضعي.
- المنهج التاريخي.
- النظريات الاجتماعية البيولوجية لمفهوم الجماعات.
- النظرية الوظيفية في تفسيرها لتشكيل الجماعات.
- النظرية الوظيفية المعاصرة في تفسير تشكيل الجماعات.
- خاتمة.

الوحدة الحادية عشرة

النظريات الاجتماعية التي فَسّرت تشكيل الجماعات

مقدمة

ليست النظرية من كماليات البحث الاجتماعي العلمي بقدر ما هي ضرورة ملحة للباحث الاجتماعي، لذا فالدعوة إلى التخلي عنها أو التقليل من أهميتها يجب مواجهتها بالرفض التام، حتى لا يُحرَم الباحث من الأرضية الرئيسة لتأسيس علمه، إذ أنه بدون نظرية تمثل رصيداً لأي علم، فلا وجود لأي أساس للعلم.

إذن أهمية النظرية تكمن في أننا نقرأها لا لنفهمها ونطورها فحسب بل لأنها النظرية تمثل نمطاً لبناء المعرفة العلمية وضرورة لكل ملاحظاتنا، إنها الشرط الضروري لانطلاق التفسير والتحليل حتى وإن كانت غير كافية وحتى نفسر ذلك لابد من الدخول إلى النظريات التي تفسر تشكيل الجماعات.

مفهوم النظريات الاجتماعية

في علم الاجتماع المعاصر ثمة نوعين من النظريات:

1. النظريات الكبرى، ومثالها النظرية الماركسية ذات الطرح الشمولي أو التحليل الماكرو سيوسيولوجي (Micro sociology).
2. ولكن هناك تصنيفات أخرى للنظرية الاجتماعية على أساس نظريات البنية (النظريات البنيوية الأنثروبولوجية والاجتماعية) أو نظريات الفعل كالنظرية التفهمية لـ ماكس فيبر.

النظريات الاجتماعية التقليدية

أولاً: الوضعية (سان سيمون S. Simon :1760- 1825)

المقاربة الوضعية هي منهجية تحليلية تقوم على استبعاد لأنماط الفكر والتحليل اللاهوتي (الديني) والميتافيزيقي. (التجريدي= الطبيعة)، من أي تحليل مقترحة بديلاً عنهما الإنسان الذي بات يتمتع بقيمة مركزية في الكون.

ويشير أوجست كومت بأن هناك عدة مراحل مرت بها الإنسانية ومصدر قانون الحالات الثلاث تبين لنا أن فكر الإنسان يكون موضع ترحيب في المرحلتين السابقتين، إذ أن الإنسان عجز عن أن يجد له موقع أو مكانة فيما مضى لذا فقد استبعد من أي تحليل للظواهر مفسحاً المجال أمام القوى الدينية أو قوى الطبيعة. وبما أنه لم يكن للإنسان أية قيمة فمثل المجتمع ليس لها أية قيمة، ولهذا تطورت الوضعية العلمية التي تناولت ظواهر طبيعة بينما لم تتطور ذات الوضعية حينما كانت تتناول ظواهر متعلقة بالإنسان والمجتمع، وسنرى كيف وضع أوجست كومت حداً لهذه الازدواجية في التفكير والتي يسميها الفوضى العقلية التي تسببت في ثلاث ثورات برجوازية وقعت في أعقاب الثورة الفرنسية (1789 حتى سنة 1848)، ولكن قبل الوصول إلى أوجست كونت علينا العودة إلى جذور الوضعية لدى أستاذ كومت المفكر سان سيمون.

عاش سان سيمون في نظام إقطاعي سليلاً لأسرة أرستقراطية، ويحمل لقباً اجتماعياً هو الكونت وكان ضابطاً برتبة ملازم أول لما كانت فرنسا تخوض حرباً ضد الإنجليز في شمال القارة الأمريكية، وقد نضج فكره خلال الثورة الفرنسية التي كانت بمثابة ثورة على النظام الاجتماعي والاقتصادي في أوروبا

عامة وفرنسا خاصة وثورة على النظام المعرفي التقليدي السائد في فرنسا وثورة على النظام السياسي الملكي.

بداية المقاربة الوضعية

بدأت المقاربة الوضعية في مرحلة الفكر الموسوعي الذي عرفه في القرن (18) واتخذت لدى سان سيمون طابعاً تطبيقياً علمياً وليس نظرياً مثلما كان سائداً في المرحلة التجريدية أي العلم النظري المجرد، ففي القرن (18) طور الفكر الموسوعي آليات تحليل جديدة تقوم على الترابط بين المعرفة والواقع الإنساني لذا مثل هذا الفكر مرجعية سان سيمون. فمن أين البداية إن لم تكن من المقاربة الوضعية للدين؟ ويعرف سيمون الدين في كتابة الشهير (المسيحية الجديدة بأنه "جملة تطبيقات العلم العام التي يمكن بواسطتها أن يحكم الرجال المستنيرون غيرهم من الجهلة".

بهذا المضمون فإن الديانة عند سان سيمون هي أداة مدنية للحكم المستنير لغير المستنيرين. وبما أن الدين يلعب دوراً في التربية لذا فإن التربية هي العنصر الذي يساعد على توطيد المشاعر الديمقراطية وتحقيق القيم الأساسية. ولهذا يرى بأن مفهومي السياسة والديمقراطية تساوي الحرية داخل الجماعات، كما يرى بأن السياسة هي علم الإنتاج، والحرية هي نبذ المميز العرفي والثقافي والسياسي والسؤال المحوري المطروح فما الذي يحدث عندما يلتقي المفهومان؟ سنلاحظ تغييراً في مفهوم الجماعات داخل الأمة. وإذا أعطينا هذين المفهومين مدلولاً وضعياً وتصوراً موضوعياً (أي محاكمة المفهومين وتحليلهما علمياً وليس دينياً ولا تجريدياً). فالذي سيحدث أن أمة جديدة ستنبثق. هذه الأمة متحررة من

الحيز الديني والانغلاق مثلما ستكون متحررة من تبعات الإقطاعية والعنصرية، ومثل هذه الأمة الجديدة يسميها سان سيمون بـ "الأمة العاملة".

ومن الملاحظ أن تغير القاعدة المعرفية تسبب في تغير النتائج، فلو نظرنا إلى المفهومين في المراحل السابقة على الوضعية فلا يمكن الحديث عن أمة عاملة بالمعنى لسان سيمون لأن السياسة كانت حكراً على طبقة معينة ولأن المجتمع ليس حراً ولا يتمتع بأية عدالة، ومثل هذه السياسة والعبودية كانتا تجدان لهما شرعية ذات طابع ديني أو طبيعي. بيد أن الوضعية بوصفها استعمال للعقل ورفع من مكانة الإنسان قدمت السياسة كأداة حيوية في تنشيط الحياة الاجتماعية والاقتصادية ونقلت الأمة من طور الخمول والكسل إلى طور العقل والإنتاج ووضعت الجميع على قدم المساواة وأصبح الإنسان سيد نفسه حراً من أي تمييز عرقي أو ثقافي أو سياسي. في داخل الجماعات من المجتمع الذي ينتمي إليه.

هكذا فالانتقال من المرحلة الإقطاعية اللاهوتية إلى المرحلة الصناعية العلمية والانتقال من ساحة العلم النظري إلى ساحة العلم التطبيقي العملي. فالوضعية تأبى الاعتراف بفواصل ما بين النظري والعملي إذ ثمة ترابط بين المعرفة والواقع الإنساني.

المواطنة والعدالة الاجتماعية

يربط سان سيمون بين مفهوم المواطنة الذي جلبه معه من أمريكا حيث كان يقاتل الجيش الإنجليزي في بلد تعج في الثورات الأهلية الكبرى والعارمة ووضح مفهوم العدالة الاجتماعية بل أنه ينحاز إلى مفهوم المواطنة معلناً في كتابه (المسيحية الجديدة) تخليه عن لقبه الكونت:

لم يعد ثمة أسياد. نحن جميعاً متساوون. وأعلمكم بهذه المناسبة أنني أتخلى عن صفتي الكونت التي اعتبرها وضعية جداً أمام صفتي كمواطن.

تبع هذا الإعلان حسما لتردد سان سيمون في تأييده للثورة الفرنسية في البداية ثم نال لقب المواطن الصالح مرتين متتاليتين مما يعني أنه بات رمزاً للتحرر والمساواة والتجديد. هذه النقطة في حياة سان سيمون - المواطن الصالح – ليست نقلة سياسية فحسب بل نقلة اجتماعية وفي هذا الأساس نقلة فكرية ومعرفية في ذات الوقت. كما أن هذه النقلة أيضاً جهد سان سيمون في ترجمتها من خلال عمله الدؤوب من أجل تغير مضمون المسيحية من الداخل وإكسابها مضموناً جديداً علمياً يقوم على مبدأ الحرية والمساواة. هكذا يبدو الدين هو العلم العام كما يصرح سان سيمون. كما يرى بأن الدين ليس حالة ثابتة بقدر ما هو حالة تطورية ويتساءل عن اثنين وماهية الأديان نراه في كتاب (المسيحية الجديدة) يقول بتطورية الأديان وعدم بقائها على حالها. كما أن الأديان مثلها مثل بقية المؤسسات تتمتع بطفولة وفترة قوة ونشاط وأيضاً مرحلة انهيار وحين تكون في مرحلة انهيار فأنها تكون ضارة، أما في مرحلة الطفولة فهي غير كافية. وهذا يقودنا إلى سؤال محوري: لماذا ينظر الكثير إلى سان سيمون على أنه من مؤسسي علم الاجتماع الديني؟

لأنه في واقع الأمر ساهم ولو بشكل محدود في تأسيس هذا العلم. ومن حيث الجوهر لأن سان سيمون قدم الأديان بوصفها ظواهر اجتماعية وإنسانية من الممكن تحليلها تحليلاً علمياً كبقية الظواهر الأخرى. بل أن سان سيمون قاربها كما فعل ابن خلدون في نظريته حول تداول الحضارات التي تنشأ ثم تقوى ثم تنهار، وهكذا بدا له الدين. إذن الوضعية تخلصت من كل الثوابت المقدسة.

ويلاحظ أن الوضعية الجديدة كما مارسها سان سيمون لا تهدف فقط إلى تغيير شروط إنتاج المعرفة بل إلى تغيير النظام السياسي والمؤسساتي والاقتصادي. بمعنى أن الوضعية تمثل نقلة جذرية في النظام السياسي والاجتماعي القائم. وما لم تحدث هذه النقلة فمن المستحيل أن نتحدث عن أمة عاملة.

إذن ثمة تغييرات تجعل من المجتمع عنصراً إيجابياً.

والسؤال هو: ما هي مستويات التغيير الجديد بحسب المقاربة الوضعية؟

والجواب على ذلك يكمن في تحقيق العدالة في مضمونها السياسي والاجتماعي واستبعاد الدين من الحياة الاجتماعية.

ثمة مبدأ يحكم تحقيق العدالة المنشودة ذو بعد شخصي وعلمي لدى سان سيمون. هذا المبدأ هو وجوب جبر الهوة الفاصلة بين النظري والتطبيقي للوصول إلى علاقة تكاملية بين المستويين، ودون ذلك سيظل هناك ازدواجية تحافظ على استمرارية الهوة الفاصلة لذا لابد من إنجاز منظومة ابستمولوجية معرفية جديدة تقوم على التكامل بين البعدين النظري والتطبيقي ولعل أوضح مثال هو ما طبقه سان سيمون على نفسه تعلق في دعوته إلى تحقيق العدالة تخليه عن لقب الكونت وإعلائه لشأن المواطنة (لم يعد بيننا أسياد).

هذه المقاربة الوضعية الباحثة عن العدالة السياسية والاجتماعية ستسعى عملياً إلى تحقيق عنصرين داخل الجماعات وهما:

* هدم العناصر السياسية والمؤسسة المكونة للنظام السياسي والاجتماعي القديم والتي من بينها التميزات الطبقية والاجتماعية والمسيحية في شكلها التقليدي.

* لذا فإن (سان سيمون) سيرسي دعائم تعامل معرفي جديد مع الظاهرة الدينية بمختلف تنظيماتها ومؤسساتها، تقوم على اعتبار الظاهرة الدينية ظاهرة اجتماعية إنسانية من خلال إخراجها من دائرتها المقدسة والنظر إليها باعتبارها ظاهرة إنسانية، هذا المبدأ المعرفي الجديد تجاه الظاهرة الدينية سنجده حاضراً وقائماً في كتابات الكثير من العلماء امثال غاستون وهنري ودوركايم ومارسيل موسن، هذه الأسماء بالإضافة إلى ماكس فيبر سيكونون أهم المتخصصين في علم الاجتماع الديني مستنيرين بأطروحات سان سيمون ومفهومه للدين ومنهج التعامل معه.

ولكن لماذا يجهد سان سيمون لاستبعاد الدين من الحياة الاجتماعية ويشدد على تشجيع التعامل الجماعي بين أفراد المجتمع؟ ثم لماذا تنقل سان سيمون بين الكنائس مبشراً بالمسيحية الجديدة؟ وإجابة على ذلك ممثلاً في المجتمع الذي يريده سان سيمون هو مجتمع صناعي علمي، ومثل هذا المجتمع يبحث عن دماء جديدة لضخها في عروقه كما أنه يحتاج إلى وحدة معرفية ومعيارية وبالتالي لابد من القضاء على ملفات النظام القديم بكل منظوماته وتشكيلاته ومعتقداته وتصوراته وبناء وأنماط تفكيره وتحليله إذا ما أردنا تحقيق العدالة والتقدم فكيف العمل؟ وما العلاقة بين الدين والمجتمع الجديد؟

يحرص سان سيمون على تجاوز الدين اعتقاداً منه أنه العقبة التي تشجع الفراغ. ولأنه ثمة تناقض بين الفراغ والعمل الجماعي المنتج لذا ينبغي أن نغير مضمون الدين بأن نكسبه مضموناً جديداً يتمثل في نظام تبشيري جديد. ولأن الإنتاج الجماعي أو الخلق الجماعي تحديداً يقوم على الإنتاج البشري، لذا

ينبغي فك التناقضات التي يعاني منها مجتمع ما بعد الثورة- أي المجتمع الصناعي- إذ يلاحظ سان سيمون أن المجتمع ما زال في حالة صراع قائم على نقطتين:

(أ) معرفة لاهوتية ومعرفة علمية.

(ب) سلطة إقطاعية وسلطة صناعية.

إذن ثمة تحالف بين المعرفة اللاهوتية والسلطة الإقطاعية ضد المعرفة العلمية والسلطة الصناعية ولفك هذا التناقض أو التحالف ينبغي استبعاد الدين للسماح بمرور العمل الجماعي المنتج وقت الفراغ. وهذا لا يتم إلا بتشجيع العلم والإنتاج، إذ يحدث تغير جديد يقوم على وحدة العمل والإنتاج، ويؤدي إلى انتشار الأفكار الوصفية بفعل انتشار الصناعة.

إذ يعتقد سان سيمون أن انتشار الأفكار الوضعية ستساعد وستشجع على انتشار الصناعة التي هي الشرط الأساسي والوحيد لقيام مجتمع وضعي ومعرفة وضعية، فالصناعة بطبيعتها تخلق مجتمعاً وضعياً وتصورات وضعية في نفس الوقت استناداً إلى مبدأ يعتبر أن المعرفة العملية تعني المعرفة العلمية. إذن الصناعة هي مبدأ مركزي في كل النظريات المعرفية بين هذا المبدأ نجده لدى الفكر الاشتراكي الطوباوي الذي يشمل ويعبر عنه سان سيمون وآخرون، إذ أن الفكر الاشتراكي الذي يعد سان سيمون عميده بني على مركزية مبدأ الصناعة. بمعنى أن الصناعة تشجع بطبيعتها على خلق القيم الوضعية المستقلة عن الفكر الديني والكنسي في نفس الوقت. كما نجد مركزية مبدأ الصناعة لدى دوركايم من خلال كتابيه "تقسيم العمل الاجتماعي" و "الانتحار" وكذا مع ماكس فيبر في كتابه "الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية".

في ضوء ما سبق فقد انعكس الفكر الصناعي على الفكر السياسي والاجتماعي الغربي عامة والفرنسي خاصة هي شرط كل التحولات النوعية والفكرية والاجتماعية. وقد عبر عنها ماكس فيبر كقيمة بيروقراطية وصناعية قبل كل شيء فالمجتمع الذي لا يملك بيروقراطية وأبنية صناعية لا يحق له أن يدعي العقلانية.

كما يقيم سان سيمون مقاربة بين الإنتاج والكسل وأمة كسولة وأمة عاملة ويتساءل في إطار المقاربة الوضعية: هل يمكن أن يحصل تعايش بين الأمتين؟ لذا يطالب سان سيمون بالحزم مع الأمة الغير منتجة بضرورة إزاحتها ولتحل محلها الأمة المنتجة ولكن ما هي أداة التغيير؟ ويجيب عن ذلك على أهمية استخدام أدوات المعرفة الوضعية والعلم والقضاء على الهوة الفاصلة بين البعد النظري والبعد التطبيقي للوصول إلى وحدة المعرفة، هذا هو جوهر المقاربة الوضعية. لذا نجد سان سيمون يصر على استبدال المضمون القديم للمسيحية بمضمون جديد يعمل على تطويرها من الداخل، هذا المضمون الجديد يتمثل في كتابه "النظام الصناعي" من خلال:

(أ) التأكيد على سعيه إلى تكوين مجتمع حر.

(ب) التأكيد على نشر المبادئ والقيم التي ستكون أرضية النظام الجديد.

(ج) التأكيد على أن النظام الاجتماعي يستند على ثلاث فئات:

أ. الفنانون لأنهم يفهمون قيم التغير ويشكلون أداة تشجيع للمجتمع حتى يغير أوضاعه القائمة.

ب. العلماء الذين يقترحون تصورات وبدائل ووسائل عامة، يمكن استعمالها لتحسين حال الأغلبية.

ت. الصناعيون الذين يشجعون المجتمع على القبول بالمؤسسات الجديدة.

أما منطق الترتيب أعلاه فهو التقاء الإلهام مع التفكير ومع الإبداع والمهم في هذا التصنيف أن الصناعيين يتربعون على قمة المجتمع الصناعي وفي أعلى مراتب النظام الاجتماعي الجديد، في ضوء ما سبق يمكن أن تتوصل إلى عدة استنتاجات في مجتمع العدالة والمساواة، هو المجتمع الحر الذي يقوم على حركة جمعانية أي مجموعة من المواقف لم يعد الفرد فيه خاضعاً له.

1. هذا المجتمع أخرج الفرد من مرحلة الفكرة ليصبح مواطناً. وهذه نقلة سياسية واجتماعية.
2. أشرك الفرد مع الآخرين (المجتمع) في عمل جماعي واحد وإبداع واحد وخلق واحد.
3. هذا يعني أن الوضعية بالمضمون اللسان سيموني تعبر عن مردودية الفرد وليس فقط تغيراً في الأوضاع الاجتماعية والسياسية. كما يعني أن سان سيمون يراهن على دور المجموعة على التغير، هذه المجموعة التي يبنى على ثلاث مستويات وهي:

أ. الإنتاج.

ب. التقنية.

ت. الصناعة.

أما العناصر الأساسية التي اعتمدتها المقاربة الوضعية مع سان سيمون هي:

1. تحييد الدين والفكر اللاهوتي عن المشاركة في الحياة العملية.

2. وضع أسس مشروع علمي وفكري ومعرفي يقوم على مبدأين أساسيين هما:

أ. مبدأ العملية؛ فلا تعامل بعد الآن مع الظواهر والأشياء إلا من منظور علمي.

ب. مبدأ العلمنة وفيه تحييد وإقصاء صريح للدين.

هذه تعد بمثابة آليات التحليل العلمية التي ضمنها سان سيمون للمقاربة الوضعية وهي الآليات التي سنجدها مستعملة في النص الكونتي بطريقة أو بأخرى. هذه أيضاً هي الأرضية المعرفية والعلمية التي سينطلق منها أوجست كونت ليجعل من المقاربة الوضعية أكثر قرباً من الواقع والتحليل. ومبدئياً فالمقارنة الوضعية ستجمع بين مستويين رئيسيين:

(1) المستوى النظري: عبر قراءة العلوم وتنظيمها وتثبيتها وهو ما قام به سان سيمون.

(2) المستوى التطبيقي: وهو تطبيق عناصر المقاربة الوضعية في تحليل واقع المجتمع.

في ضوء ما تقدم لقد وضع سيمون أرضية لبناء الجماعات والمجتمع وقد انطلق أوجست كونت من هذه الأرضية.

ثانياً: الوضعية في نظرية (أوجست كومت A. comt : 1798-1857)

أولاً: حياته

عمل أوجست كومت سكرتيراً لسان سيمون، وتأثر به أشد التأثير. واتصل بتقاليد القرن (18) الموسوعية فكان ذو سعة معرفية. وقد أمتاز مجتمعه

بالاضطراب والفوضى حيث المرحلة الانتقالية بين التقليد والحداثة. ونجد أن عصره امتاز بشيوع ظاهرتي النماء (التنمية) والتقدم (التحديث)، وأشد ما يؤثر عنه سعيه إلى بناء شجرة المعرفة حيث صنف العلم تصاعدياً: الرياضيات، الفلك، الفيزياء، الكيمياء، الأحياء، وأخيراً السوسيولوجيا.

ثانياً: تأسيس علم الاجتماع بين الضرورة والحاجة

إن قيام علم الاجتماع في عصر كومت جاء كضرورة اجتماعية وحاجة علمية ملحة حتمتها الرغبة في إصلاح المجتمع وإنقاذه من الفوضى الضاربة فيه. ذلك أن حالة المجتمع الفرنسي بعد الثورة اتسمت بـ:

* فوضى عقلية فاضطراب خلقي وفساد عام.

* وإن انسجام المصالح المادية والمنافع المتبادلة لن تحقق الاستقرار والتقدم.

لذا فإن تنظيم أي شأن من شؤون الاجتماع والأخلاق والسياسة والدين لن ينجح إلا إذا سبقه تنظيم عقلي للآراء ومناهج البحث وطرق التفكير.

ما هي فوضى العقل داخل الجماعات؟

وجد أوجست كومت أن الفوضى العقلية ناجمة عن وجود أسلوبين متناقضين للتفكير وفهم الظواهر:

* الأسلوب الأول: هو الأسلوب العلمي الذي يستعمله الناس للتفكير في الظواهر الكونية والطبيعية والبيولوجية.

* الأسلوب الثاني: هو التفكير الديني الميتافيزيقي الذي يستخدمه الناس للتفكير في الظواهر المتعلقة بالإنسان والمجتمع. وهنا سؤال يطرح نفسه علينا

السؤال هو: كيف يمكن التوفيق بين نمطي تفكير متناقضين في وقت يسعى كومت إلى تحقيق وحدة المعرفة الإنسانية؟ قدم أوجست كومت ثلاث مقترحات لمواجهة الفوضى، يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولاً: التوفيق بين التفكيريين الوضعي والميتافيزيقي بلا أي تناقض، فما هو محتوى التفكيريين؟ والجواب على ذلك يمثله المنهج الوضعي الذي يقوم على أربع أسس:

* يقوم على الملاحظة وتقرير طبائع الأشياء كما هي.
* يدرس الحقائق الجزئية وعناصر الظواهر بحثاً عن أسبابها المباشرة.
* يؤمن بخضوع الظواهر لقوانين يمكن الكشف عنها.
* منهج نسبي غايته كشف القوانين العلمية.

ثم قدم الأسس التي يقوم عليها المنهج الميتافيزيقي، حيث يمكن اجمالها على النحو التالي:

* يقوم على التأمل النظري والبحث المطلق.
* يدرس الحقائق الكلية بحثاً عن العلل الأولى.
* لا يؤمن بخضوع الظواهر لقوانين يمكن الكشف عنها.
* منهج مطلق غايته وضع مبادئ فلسفية لا سبيل إلى تصورها.

من الواضح أن مقاربة هذين النمطين من التفكير، أو أي محاولة للجمع بينهما ستؤدي إلى اضطراب عقلي في أذهان الناس، لذا ينبغي التخلي عن هذه المقاربة المستحيلة بسبب الفرو قات الحادة بين الفكريين.

ثانيــاً: صــرف النظــر عــن الــتفكير الوضــعي وإنجازاتــه وإخضــاع كــل العقــول والعلـوم إلى المنهج الميثولـوجي الميتـافيزيقي كمنهج عـام وشـامل. حيـث أن هـذا الحل يعيد إلينا الوحدة العقلية ولكن هل يمكن تحقيقه علمياً؟

ويمكن الإجابة على هذا السؤال من خلال النقاط التالية:

* من استحقاقات هذا الحل القضاء ليس على الطريقة الوضعية فحسـب بل إنكار كل الانتصارات العلمية الـتي تحققـت في التـاريخ الإنسـاني، انطلاقاً من التفكير الوضـعي، علينـا هنـا أن نتنكـر لاخـتراع الطباعـة وإنجازات كوبرنيكس، وجاليليو، وديكارت، وبيكون، ونيوتن وغيرهـم ممن اشتغلوا بالأبحاث الوضعية، وأوصلوا لنا تراثاً عقلياً أورثونا إياه.

* من جانب آخر فإذا تراجعنا عن الوضعية كنمط للتفكير. فهل سـننجح في تجميد القدرة على التفكير؟، هل نسـتطيع الحـد مـن تطـور الـتفكير وإبقائه جامداً على حاله؟ وهل نستطيع أن نـتحكم في قـوانين الطبيعـة التي حكمت علـى المراحـل السـابقة بالفسـاد فنمنعهـا مـن أن تحـدث النتيجة نفسها؟ من المؤكد أن جعل التفكير الوضـعي شـيء مـن قبيـل العدم مستحيل شكلاً ومضموناً.

ثانياً: تعميم النهج الوضعي وجعله منهجاً كلياً عاماً وشاملاً لكـل ظـواهر حيث أن الكون يساوي وحدة المعرفة الوضعية التي تجعل من الفـرد قـادراً علـى الـتفكير بشـكل علمـي، ومـن اسـتحقاقاته القضـاء علـى مـا تبقـى مـن الفكـر الميتـافيزيقي ومظـاهره وأن يفهـم الأفـراد ظـواهر الاجتمـاع اعتمـاداً علـى المنهج الوضعي، بما في ذلك ظواهر الإنسـان والمجتمـع الـتي كانـت تسـتبعد مـن التحليل الوضعي قبل أوجست كومت. ولتحقيق ذلك ثمـة شـرطين لاسـتيعاب الظاهرة الوضعية:

(1) أن تكون تلك الظواهر خاضعة لقوانين بحيث لا تسيرها الأهواء والمصادفات؛ وهذا شرط متوفر في الظواهر الاجتماعية كون المجتمع جزء من الطبيعة الكلية كما أن جميع نواحي الطبيعة خضعت لقوانين ثابتة أمكن الوصول إليها، [هذه هي جوهر الصراع بين علماء الاجتماع حول وجود قوانين للظاهرة الاجتماعية أم لا؟].

(2) معرفة الناس لقوانين الظواهر وهو أمر لا يتوفر إلا اعتماداً على الدراسة الوضعية عبر باحثين مهمتهم الكشف عنها؛ وهذه مسألة تتطلب قيام علم جديد وهو علم الاجتماع.

هكذا يمكن القضاء على الفوضى العقلية والاجتماعية والأخلاقية وتحقيق الإصلاح المنشود.

كما أن كومت أطلق على علم الاجتماع بالعلم الجديد كان يسمى "الطبيعة الاجتماعية تساوي الفيزياء الاجتماعية" (physique social) – ثم أسماه بعلم الاجتماع (sociology).

مفهوم الظاهرة الاجتماعية ضمن الجماعات:

إن كومت لم يُحدد تعريفاً على الرغم أنه عني بتعريف الظاهرة الطبيعية والكيميائية والبيولوجية. والسؤال المطروح هنا ما مبرر ذلك، لأنه كان يرى أن علم الاجتماع يدرس كل الظواهر التي لم تدرسها العلوم السابقة عليه. ولأنه يرى من العبث تعريف الظاهرة الاجتماعية أو تحديدها باعتبار كل الظواهر الإنسانية بما في ذلك ظواهر علم النفس هي ظواهر اجتماعية. أما بالنسبة لموضوع علم الاجتماع لم يحدد موضوعاً لعلم الاجتماع معتبراً أن الإنسانية هي موضوع العلم وهي الحقيقة الجديرة بالدراسة والبحث. ولكن إذا كانت

الإنسانية هي موضوع علم الاجتماع. تدور أبحاث كومت في هذه الحالة حول نظريتين أساسيتين هما قانون الأدوار الثلاثة وتقدم الإنسانية. الذي يمثل ديناميكا الجماعة.

فمثلاً في دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها. كما أن ملحق قانون الأدوار الثلاثة يرى بأن العقل الإنساني أو التفكير الإنساني قد انتقل في إدراكه لكل فرع من فروع المعرفة من الدور الميثولوجي (الديني اللاهوتي) إلى الدور الميتافيزيقي وأخيراً إلى الدور الوضعي أو العلمي ويعني ذلك بأن تاريخ الفنون والنظم والحضارة إجمالاً وتطورها ومظاهر القانون والسياسة والأخلاق وما إليها لا يمكن فهمه إلا إذا وقفنا على تاريخ التطور العقلي بوصفه المحور الأساس الذي تدون حوله كل مظاهر النشاط الاجتماعي والسبب في ذلك أن الفكر هو الدعامة لكل نواحي الحياة الاجتماعية. ويمثل محتوى القانون عدة أدوار يمكن إجمالها على النحو التالي:

أ. الدور اللاهوتي:

يقصد فيه كومت أن العقل سار على أساس التفسير الديني، فقد كانت الظواهر تفسر بنسبتها إلى قوى مشخصة أبعد ما تكون عن الظاهرة نفسها كالآلهة والأرواح والشياطين وما إلى ذلك كتفسير ظاهرة النمو في النبات بنسبتها إلى الله (عز وجل) أو إلى أرواح النبات وعدم الأخذ بأسباب النمو الدنيوية.

ب. الدور الميتافيزيقي (الفهم التجريدي):

في هذا الدور نسب تفسير الظواهر إلى معاني مجردة أو قوى خيالية أو علل أولى لا يمكن إثباتها كتفسير نمو النبات بقوة أرواح النبات.

ج. الدور الوضعي (العلمي):

الدور العلمي هو أن يذهب العقل في تفسير الظاهرة بنسبتها إلى قوانين تحكمها وأسباب مباشرة تؤثر فيها كتفسير ظاهرة النمو النباتي بالعوامل الطبيعية والكيميائية والقوانين المؤلفة لهذه الظاهرة.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار صحة قانون الحالات الثلاث يمكن التأكيد على ذلك بنقطتين:

(أ) القانون صحيح من حيث العودة إلى تاريخ العلوم من ناحية وتاريخ الإنسانية من ناحية أخرى، وقد ثبت بالدراسة والبحث لدى أوجست كومت أن كل فروع المعرفة مرت بصدد تفسيرها للظواهر من الدور اللاهوتي إلى الدور الميتافيزيقي انتهاء بالدور العلمي.

(ب) يعقد كومت موازنة بين أدوار الإنسانية الثلاثة وبين الأدوار التي يمر بها الفرد في نشأته:

* المرحلة البيثولوجية- تشبه مرحلة الطفولة لدى الفرد.
* المرحلة الميتافيزيقية- تشبه مرحلة الشباب والمراهقة.
* المرحلة الوضعية- تشبه مرحلة الرجولة والاكتمال.

هكذا تغدو الإنسانية شأنها شأن الفرد في مراحل نموها وتقدمها.

[إن السير الاجتماعي لابد أن يكون خاضعاً لقوانين] لذا فإن كومت يعرف معنى مصطلح (التقدم) سيراً اجتماعياً نحو هدف معين لا يمكن الوصول إليه إلا بعد المرور بأدوار ضرورية محددة. هكذا اقترح كومت بأن المجتمعات تسير وفقاً لقوانين ضرورية تحدد بالضبط سير تقدمها والشروط أو الظروف الضرورية لذلك. وهو الأمر الذي لم يتوصل له سابقوه امثال (بسكال

وكوندرسيه وهلفيتيوس). فالتقدم أو التحسن المصاحب يعني الانتقال من مرحلة إلى أخرى.

كما أن هناك ثمة مظهرين مصاحبان الإنسانية في الانتقال وهما متلازمان:

1. تحسن في الحالة الاجتماعية:

ويعني ذلك بأنها تقدم مادي أوضح وأسرع حركة وأسهل حدوثاً وأقرب تحقيقاً. ويتوقف حدوثه على مقدار معرفتنا بقوانين الظواهر الاجتماعية والتدخل على ضوئها لتحقيق الإصلاح أو التقدم المنشود، وبمقدار ما تعجل الإنسانية بتدخلها بمقدار ما تختصر الزمن لأن عملية التقدم شاقة وبطيئة وتعترضها الكثير من الصعاب والأزمات.

2. التحسن في الطبيعة الإنسانية:

هو تحسن بيولوجي وعقلي، فالتحسن البيولوجي أدى إلى زيادة عمر الإنسان أو تقدم القواعد الصحية وفن الطب. أما التقدم العقلي فأدى إلى كشف وسائل جديدة للسيطرة على الطبيعة وتسخيرها لخدمة الإنسان لأن العقل والذكاء عبارة عن آلة يمكن استعمالها بصفة مطلقة في توسيع نطاق التدخل الإنساني والإشراف على الكون ومظاهره. كما يرى كومت بأنه الحالة الاستاتيكيه تقوم على مرتكزين:

* دراسة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها كونها ثابتة في فترة معينة من تاريخها.

* كذلك دراسة هذه المجتمعات في تفاصيلها وجزيئاتها من حيث العناصر والنظم الاجتماعية المكونة لها.

أما نظرة كومت للمجتمع: فهي نظرة أسست لعلم الاجتماع الدوركايمي؛

بل لجوهر علم الاجتماع فيما بعد؟ حيث ينظر كومت إلى المجتمع باعتباره كلية اجتماعية تتكون من جميع الأفراد الأحياء منهم والأموات، أو ما يمكن تسميته بالذاكرة الاجتماعية الحية والماضية بكل ما تشتمل عليه من بنى ومؤسسات وعلاقات، وتراث وسلوكيات وثقافات تعبر بانصهارها جميعاً عن كلية اجتماعية أو ما يمكن تسميته بالتعبير الفلسفي بـ"الوجود الاجتماعي"، ويشدد كومت في بحوثه على تحليل القدرة الاجتماعية ليثبت أن الاجتماع الإنساني هو الحالة الطبيعية للإنسان، وبالتالي فإن المجتمع يقوم على الفرد ولا يزول بزوال أفراده.

نظرة كومت للمجتمع تنسف نظريات العقد الاجتماعي التي تتعامل مع المجتمع، وكأنه مركب صناعي تكون عن قصد بين الأفراد في صيغة عقد اجتماعي بينهم، انتقلوا بموجبه من الحياة الوحشية العدوانية إلى الحياة المدنية.

فالفرد لا يعتبر عنصراً اجتماعياً ولا قيمة لقوته الطبيعية لأن القوة الاجتماعية مستمدة من تضامن الأفراد ومشاركتهم في العمل، وتوزيع الوظائف بينهم، كما أنه لا قيمة أيضاً لقوة الفرد العقلية إلا باتحادها مع غيرها من القوى. ولا قيمة أيضاً لقوة الفرد الأخلاقية وليدة الضمير الجمعي والتضامن الأخلاقي في المجتمع. وفي المحصلة فإن الفردية لا يتحقق فيها أي شيء من المظاهر الجمعية دون امتزاج العقول، وتفاعل وجدانيات الأفراد، واختلاف وظائف وتنوع الأعمال ذات الأهداف الواحدة والغايات المشتركة.

كما يرى بأن الأسرة هي الخلية الأولى في جسم التركيب الجمعي، وهي أبسط وسط يتحقق فيه مظاهر الحياة الاجتماعية من امتزاج للعقول وتفاعل للوجدانيات، واختلاف في الوظائف، وتنوع في الأعمال وهي أيضاً اتحاد له طبيعة أخلاقية، لأن المبدأ الأساسي في تكوينها يعزى في نظر كومت إلى وظيفتها الجنسية والعاطفية، إذ ثمة ميل متبادل بين الزوجين من جهة وعطف متبادل

بينهم والأبناء من جهة أخرى. فالمشاركات الوجدانية موجودة بين أفراد هذا المجتمع الصغير وثمة واجبات على كل فرد في الأسرة ثمة تربية، ونزعة دينية، يغرسها الوالدان في أولادهم.

أما المجتمع يعتبره وحدة حية ومركب ومعقد أهم مظاهره التعاون والتضامن لذا فهو من طبيعة عقلية ووظيفية أخلاقية تابعة لها ولاحقة ومترتبة عليها. أما مبدأ التعاون والتضامن فهو الذي يحكم المجتمع ويسيطر عليه. هذا المبدأ يسمى "تقسيم العمل وتوزيع الوظائف الاجتماعية" لدى المفكرين المحدثين.

يرى كومت أن التضامن الاجتماعي مبدأ لا يمكن أن يتحقق بصورة كاملة إلا إذا وجه المسؤولون عنايتهم إلى إصلاح ثلاث نظم اجتماعية أساسية هي:

(1) نظام التربية والتعليم:

يعتقد كومت أن النظام التربوي، والتعليمي ينبغي أن يكون نظاماً وضعياً مبنياً على أسس علمية مرنة، وبديلاً عن النظام الميتافيزيقي ذو النظرة المجردة. وهذا يستوجب فصله عن السياسة لإبعاده عن النفاق والإثارة للخصومات وإفساد الطبائع. كما يرى ضرورة تقسيم مراحل التعليم إلى ثلاثة مراحل هي الابتدائية والثانوية والعالية.

(2) إصلاح نظام الأسرة:

دعا كومت لأن تبنى الأسرة على أساس الأخلاق، وترويض الأفراد على تقبل مبدأ التضامن الاجتماعي ونبذ الأنانية. ولهذا الغرض منح الأم دوراً كبيراً في التنشئة الاجتماعية، والتربية وغرس مبادئ الدين الوضعي في الأطفال، أو ما أسماه كومت بـ"عبادة الإنسانية".

(3) النظام السياسي:

الحكومة هي دليل على تقدم المجتمع وليست شراً لابد منه مثلما كان سائداً في القرن الثامن عشر، لأن تقدم المجتمع مرهون بمدى انقياد الأفراد للحكومة ومدى بسط سلطتها عليهم، أما وظيفتها فهي تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي، والحرص على وحدته، وعلى الحكومة أن ترعى وظيفتها المادية والروحية، أي الجمع بين السلطتين الزمنية، والدينية وأن تعمل على حفظ الدين وحمايته وغرسه في قلوب الأفراد.

ويجدر التذكير أن كومت درس النواحي الاقتصادية، والأخلاقية، والدينية في المجتمع، ونقد النظريات الاقتصادية السائدة في عصره وكذلك الأخلاقية، والحاجة الماسة إلى مجموعة منظمة من العقائد.

أسس دراسة المنهج الوضعي

تشير الآراء والاتجاهات في هذا المجال بأن المنهج الوصفي يقوم على عدة أسس من أهمها:

(1) تشدد الوضعية كنمط تفكير علمي على إحلال فكرة القانون محل فكرة القوى الخارقة للعادة التي تحكمت طويلاً بتفسير الظواهر العلمية، هكذا فإن الوصول إلى القانون العلمي الذي يحكم سير الظاهرة ويفسرها سيكون في إطار الوضعية المطلب الأول والمحور الأساسي الذي تدور عليه الدراسة والبحث.

(2) إن من مبادئ الفلسفة الوضعية أيضاً إخضاع التخيل أو التصوير الفلسفي، الذي كانت تقوم عليه المناهج القديمة إلى الملاحظة، وهكذا ضربت الفلسفة الميثولوجية والميتافيزيقية في الصميم.

(3) يستند منهج البحث الوضعي إلى تفسير العلاقات التي تربط بين الظواهر الاجتماعية أهمية كبرى انطلاقاً من أن الفلسفة الوضعية تعتبر نفسها مفسرة للكون ومظاهره وتسعى إلى الكشف عن طبائع الأشياء والقوانين التي تحكمها وهذا بخلاف المناهج القديمة التي لم تمنحنا فكرة واضحة عن تحديدها للعلاقات بين مختلف الظواهر وعن الارتباط الحقيقي بينها.

(4) إذا كانت المناهج القديمة تنزع في تفسيرها للظواهر إلى المعاني المطلقة والمبادئ الكلية، والعلل الأولى مما يجعلها منتجة لمفاهيم جامدة غير قابلة للتطور، فإن الوضعية كفلسفة تهتم بتحديد دائرة المعاني المطلقة وجعلها معاني نسبية مرنة، قابلة للحركة والتطور بما يستجيب لنمو العقل ومستحدثات العصر ومتطلبات الظروف، وبهذا الصدد يرى كومت بأن تقنية الملاحظة تساعد في الكشف عن الظواهر الإنسانية بشكل دقيق ومباشر.

كما يميز كومت في هذا السياق بين "التجربة الاجتماعية" التي تطبق على ظواهر المجتمع وبين "التجربة العلمية" التي تُجرى على الظواهر الطبيعية كالكيمياء والبيولوجيا. وما يهمنا ويهم كومت، هو التجربة الاجتماعية.

ويكمن جوهر التجربة الاجتماعية في البحوث العلمية بأنها تهدف إلى استخراج القوانين يلجأ الباحث عادة إلى إجراء تجارب مقارنة بين ظاهرتين متشابهتين في كل شيء، ولكنهما مختلفتين في حالة واحدة، وهذا الاختلاف بين الظاهرتين يعزى إلى هذه الحالة فقط. ومهمة الباحث هي معرفة هذا العامل (القانون) الذي تسبب باختلاف الظاهرتين ثم دراسة مدى فعالية العامل

الطارئ على ظاهرة أخرى، وعلى أية حال يمكن طرح السؤال التالي: هل لـدينا وسائل تمكننا من إجراء تجارب من هذا القبيل في علم الاجتماع، بمعنى آخر: هل يمكن استخدام التجربة كوسيلة في معاينة الظواهر الاجتماعية؟

الجواب على ذلك يعتقد كومت أن المجتمع مثل جسم الإنسان لابـد، وانـه يتعرض إلى حالات مرضية سابقة من حين إلى آخر بفعل عوامل طارئة وتيـارات ظرفية كالثورات والفـتن والانقلابـات، وهـي حـالات تحـدث بـلا شـك طبقـاً للقوانين الستاتيكية والديناميكية، ولا ريب أن دراسة الحالات الباثالوجيـة هـذه في المجتمع ستؤدي إلى تكـون رصـيد معـرفي يسـاعد في إعـادة المجتمـع إلى سـيره المعتاد، وهذا يقودنا إلى سؤال آخر: إلى أي حد تصلح التجربة كوسـيلة فعالـة في دراسة الظواهر الاجتماعية؟ وللإجابة على ذلك يجب على الباحث الوقوف من قبل على القوانين التي تخضع لها الظواهر في حالتها العادية، حتى يمكن الكشـف عن العامل الطارئ الذي سبب الحالة المرضية. ومع ذلك ليست التجربة وسيلة مجدية ولا مواتية في كل الظروف والمناسبات وبالتالي فهي غير فعالة.

كما أشار كومت إلى المنهج المقـارن، حيـث ركـز علـى أهميتـه في دراسـة الظواهر الاجتماعيه وعرفها بأنها وسيلة منهجية تقوم على تحديـد أوجـه الشـبه وأوجه الاختلاف بين الظاهرتين، وحدد ثلاثة أشكال للمقارنة الاجتماعية يمكن إجمالها على النحو التالي.

أولاً: مقارنة في مستوى الميكرو سوسيولوجي Micro Sociology و "المقارنـات الواسعة":

* مقارنة المجتمعات الإنسانية ببعضها.

* مقارنة ظاهرتين في مجتمعين أحدهما تطورت بسرعة وأخرى بطيئة التطور.

* ملاحظة وجود مجموعة من النظم في مجتمع بينما لا تؤدي الظاهرة نفس الوظيفة في مجتمع آخر أو ليست بالدرجة نفسها.

ثانياً: مقارنة في مستوى (الميكرو وسوسيولوجي) "مقارنات أضيق نطاقاً"

مثلاً كأن تقع مقارنة في مجتمع واحد بين الطبقات أو الهيئات والمؤسسات أو في مستوى المعيشة، والأخلاق، الأذواق العامة، اختلاف اللهجات... الخ، درجة التحضر والتخلف.

ثالثاً: مقارنات أكثر شمولاً وعمومية وأوسع نطاقاً

مثلاً مقارنة جميع المجتمعات الإنسانية في عصر ما بالمجتمعات الإنسانية نفسها في عصر آخر للوقوف على مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في كل طور من أطوارها ومعرفة درجة التطور ما بين الشعوب الإنسانية.

المنهج التاريخي "المنهج السامي"

هو آخر حجر في بناء المنهج الوضعي، ويقصد به كومت: "المنهج الذي يكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشري باعتبار أن هذا الجنس وحدة واحدة تنتقل من مرحلة إلى أخرى أرقى منها". حيث بنى كومت منهجه على أساس قانون الأدوار الثلاث، وهو منهج يعبر عن فلسفته نفسها، أكثر مما يعبر عن حقائق علمية، قدم وسائل منهجية لدراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية تنسف ما يدعيه لاسيما أن الظواهر تتطور أو تبطئ أو تؤدي وظائف مختلفة في مجتمعات مختلفة، كما أنه يقر بالتباين والاختلاف لنفس الظواهر وما بين المجتمعات.

فلماذا ينظر كومت إلى الجماعات الإنسانية كوحدة واحدة في التطور والتقدم؟ وللإجابة على ذلك يؤكد بأن شيوع الوضعية أظهرت العديد من المدارس الاجتماعية التي نشطت في جمع المعلومات عن الظواهر الإنسانية والاجتماعية وحاولت تفسيرها وتحليلها، ومن هذه المدارس المدرسة الاجتماعية البيولوجية التي لا تعترف باستقلالية الظاهرة الاجتماعية، بل تعتبرها مظهراً من مظاهر الحياة اليومية. كما ترى أن الظاهرة الاجتماعية في نشأتها وتطورها تسير وفق القوانين التي تسير عليها الظواهر البيولوجية. ثم جاءت المدرسة الفرنسية التي يتزعمها إميل دوركايم وأتباعه مثل مارسيل موس وليفي بروهل ودي سوسير وبوجليه وهاليفاكس وكوهين وغيرهم، وقد التزمت هذه المدرسة بحدود الوضعية الكونتية، بل أنها أرست الوضعية الصحيحة. واعترفت باستقلال علم الاجتماع والظواهر الاجتماعية وقدمت دراسات ميدانية ممتازة، وتميزت أبحاثها بالدقة العلمية، وبذلك جهداً نظرياً ضخماً في إقامة دعائم علم الاجتماع وتحديد مناهجه وميادينه، ثم تلتها المدرسة المادية التاريخية لكارل ماركس التي ذهبت إلى اعتبار أن كل ما يحدث في المجتمع وما ينشأ فيه من ظواهر ونظم إنما يرجع إلى الطبيعة الاقتصادية. فالظروف الاقتصادية هي العامل الوحيد الذي يشكل نظم الاجتماع والسياسة والأخلاق والدين وبالتالي فالمادة الاقتصادية هي قطب الرحى في التطور السياسي والأخلاقي والاجتماعي، ثم جاءت المدرسة الجغرافية (لبرون وميشليه) التي تعتبر بأن ظواهر المجتمع هي وليدة البيئة وظروفها العمرانية والطبيعية. لهذا فقد فسرت كل ما يحدث في المجتمع بالرجوع إلى الظواهر الجغرافية وقامت بهذا الصدد بتطبيقات تعسفية، أما المدرسة النفسية لجابربيل تارد وغوستاف لوبون وهي المدرسة التي خسرت خصومتها التاريخية مع إميل دوركايم وأتباعه، لماذا؟ لأنها لا تعترف باستقلال علم الاجتماع بل

تلحقه بعلم النفس وبالتالي فهي تفسر الظواهر الاجتماعية بمبادئ وأصول سيكولوجية. هذه المدرسة تعتبر الظواهر الاجتماعية وليدة الإرادة الفردية في التقليد والمحاكاة؛ وتلت ذلك المدرسة الانثربولوجية لمنظرها تبن وهي تعد مدرسة واسعة تزعمها الكثير من العلماء أمثال فريزر وستمارك (Frezer Westrmarek Gillen, B. smith, Rivers, Taylor, lang, Maclenan,). وقد اهتمت هذه المدرسة بدراسة المجتمعات البدائية وأشكالها التي ما تزال قائمة سواء في أمريكا أو أستراليا أو أفريقيا وآسيا فتعرف روادها على النظم الاجتماعية الأولى، واتسم الرواد بأنهم جمّاعين مهرة للمعلومات غير أنهم أقل قدرة على التحليل، هذا النقص الذي بدأته المدرسة الأنثروبولوجية وتداركته مدرسة دوركايم.

النظريات الاجتماعية البيولوجية لمفهوم الجماعات

من أشهر روادها ومؤسسها "هربرت سبنسر" (1820- 1903/H.spensser)، الذي بدأ حياته مدرساً ثم مهندساً. ولكنه ترك وظيفته واشتغل بالسياسة والأدب والاجتماع واعتنق مذهب التطور "في النشوء والارتقاء" ووصل إلى حقائق دقيقة قبل أن ينشر داروين بحوثه. ولما نشر سنة (1850) كتابة "الاستاتيكا الاجتماعية" أخذ نجمه يسطع فكتب بعد ذلك في علم الحياة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والتربية، والسياسة.

حاول تطبيق فكرة "النشوء العضوي والتطور" على الكائنات الحية في ميدان علم الأحياء، وعلى الإنسان في ميدان علم النفس، والأخلاق وعلى المجتمع في ميدان علم الاجتماع والسياسة. ومن المبادئ العامة لفلسفته، عندما تحدث عن نفسه قائلاً "أن جرثومة فلسفتي ظهرت عندما توصلت إلى حقيقة بيولوجية أساسها، أن الأنواع الدنيا من الحيوان تتألف أجسامها من أجزاء متماثلة لا

يتوقف بعضها على بعض وأما الأنواع العليا من الحيوان فتتألف أجسامها من أعضاء متباينة تعتمد في أعمالها ووظائفها على بعضها البعض. وهذه النتيجة استقرائية وصلت إليها من بحوثي وتجاربي في ميدان الدراسات البيولوجية. وهذه الحقيقة تصدق كذلك على جماعات الأفراد. فكأن المجتمع شأنه شأن أي كائن حي يبدأ متجانساً ثم يميل إلى التفرد والانتقال من المتجانس إلى اللامتجانس.

تشتمل مقولة سبنسر عن نفسه المبادئ العامة لفلسفته، وهذه المبادئ تقوم على التكامل، التجانس والتباين، اللاتجانس والعلاقة بينهما، كيف؟

انطلاقاً من مبدأ "النشوء والارتقاء" يمكن القول:

أن الارتقاء في جميع مسالك الطبيعة من نبات وحيوان واجتماع إنساني وما يتصل بهذا الاجتماع من شؤون تتعلق بالأخلاق، السياسة، الفنون والعادات إنما يقوم على أساس واحد هو "الانتقال من التماثل والتشابه إلى التباين وعدم التجانس وبنى علم الاجتماع وخاصة في مجال تطور الجماعات على مجموعة من الحقائق والنماذج البيولوجية يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أ. نماذج التماثل والتشابه أو التجانس:

إن الأنواع الدنيا من النبات يكون التشابه فيها أكثر وضوحاً من الاختلاف في حين أن الأنواع العليا من النبات يكون الاختلاف فيها بارزاً. كما أن الأنواع الدنيا في الحيوان تكون هي الأخرى متماثلة كالأميبيا والإسفنج.

ب. نماذج الاختلاف والتباين أو اللاتجانس:

في النباتات الراقية يمكن ملاحظة الاختلاف في ميدان التذكير والتأنيث. وفي الحيوان يعتبر الإنسان هو الأرقى ولاشك أن الاختلاف أشد وضوحاً.

مميزات الأنواع

في الأنواع الدنيا من النبات والحيوان فإن الجزء يؤدي حصراً وظيفة الكل فإذا قطعنا جزء من جسم الإسفنج فالحياة مستمرة لأن باستطاعة الجزء أن يعيش ويقاوم حتى يصل إلى حالة التماثل الأولى وكذلك الأمر في بعض النباتات. هذا يعني أن التطور لن يصل في أحسن الأحوال إلا إلى حالة التجانس أما اللاتجانس فلا. هذا يعني أيضاً أن الجزء مستقل عن الكل حيث قوى النمو والتوالد كامنة فيه.

أما في الأنواع العليا من النبات والحيوان فإن الجزء لا يؤدي وظيفة الكل كما أن الجزء مستقل عن الكل نسبياً غير أن التباين والاستقلالية لا تعني الانفصال بل التكامل كما أن العضو مثلاً في الإنسان لا تكمن فيه قوى النمو والتوالد لذا فهو يؤدي وظيفة معينة إلى جانب وظائف الأعضاء الأخرى بحيث أن عملية التكامل الوظيفي تؤدي إلى وحدة القصد والهدف. ومن هذه الحقائق البيولوجية يستخلص سبنسر القانون التالي:

'أن في الحياة ميلاً إلى التفرد والتخصص والانتقال من المتجانس إلى اللامتجانس ومن المتشابه إلى المتباين. فالجماد أو الجسم غير الحي كذرات التراب، النار والهواء يكون متماثلاً وغير متخصص في حين أن الجسم الحي يتمتع بذاتية وينفرد بشخصيته ويؤدي وظيفة خاصة ومحدودة يتعين عليه أن يؤديها وكلما زاد الكائن الحي ارتقاءً زاد تفرده وتخصصه ظهوراً.

وهكذا يقرر سبنسر أن التخصص هو غاية كل تطور وارتقاء في الموجودات. حيث يكمن دائماً هذا القانون حسب تحليل سبنسر إلى دعامتين:

الأولى: كلما ازداد المركب الحيوي تعقيداً ازداد تخصصاً وتفرداً.

الثانية: كلما ازدادت الأعضاء اختصاصاً ازدادت استقلالاً، وصول الحقائق البيولوجية إلى حقائق اجتماعية.

(1) الأفراد وحياة الفطرة

اتسمت حياة الجماعات البشرية الأولى بالتشابه والتماثل في انتسابهم إلى مجتمع تتشابه فيه طرق المعيشة والحاجات والغايات ووسائل العيش والاقتصاد والنمو والدفاع والأمن والزواج والدين والمعتقدات والأساطير.... الخ.

وفي مرحلة ما حدث تطور في الحياة الاجتماعية والانتقال من سذاجة الفطرة إلى مرحلة أكثر ارتقاء لوحظ فيه ظهور الفوارق بين الأفراد وتقاسم وظيفي لشؤون الأسرة والعمل وما إلى ذلك من شؤون الحياة الاجتماعية.

(2) انقسام المجتمعات:

- كلما ازداد التخصص والتفرد كلما انقسمت المجتمعات إلى طبقات أكثر.
- شيوع ظاهرة التخصص والتفرد في أدق مظاهرها.
- تعقيب/ تساؤل: هل التخصص والتفرد يشكلان مصدر قوة أم ضعف للمجتمع؟ تماسك أم تفكك؟

إن الإسراف في التخصص لا يعني استقلال كل كائن عن الآخر أو كل طائفة اجتماعية عن بقية الطوائف الأخرى في المجتمع وعلى العكس من ذلك فالتخصص ينطوي على التضامن والتعاون ويتجه نحو التآلف؛ فالعدالة تستوجب ضمانات لتحقيقها كالقضاة، والمحامون، ووكلاء الدفاع، والكتاب، والمحضرون بحيث ينصرف كل إلى عمله ليتحقق القصد والهدف العام كما أن التآلف ينسحب على الدور التكاملي الذي يؤديه كل من التاجر والصانع

والطبيب، والمدرس، وعامل النظافة، والمزارع، والجندي، والشرطي بحيث ينصهر الجميع في بوتقة واحد تنزع نحو وحدة القصد والهدف رغم التفرد والاختصاص.

ملخص نظرية سبنسر

تتلخص النظرية التطورية عند سبنسر في:

الانتقال من التشابه إلى التباين أو من التعميم إلى التخصص أو من الاستقلال الانعزالي (فوضى الشيوع) إلى النظام والتدرج.

هذه المعاني لا تتغير، فهو شرحها في كتابه "المبادئ الأولى" وفي كتبه الأخرى "مبادئ علم النفس وعلم الحياة وعلم الاجتماع".

ثالثاً: نظريته في طبيعة المجتمع

أ. المحددات النظرية:

إن نظرية سبنسر في المجتمع تنبع أصلاً من فلسفته في التطور الاجتماعي هذه الفلسفة ستؤدي حتماً إلى مماثلة بين المجتمع والكائن الحي ولكن بشرط. أي أن المجتمع فقط يشبه الكائن الحي ولكنه يتطابق معه. كيف؟ عبر ثلاث ماهيات:

1. ماهية المجتمع:

حسب داروين وهيغل بصفة خاصة يتفق سبنسر على اعتبار المجتمع جزء من النظام الطبيعي للكون، وبالتالي فهو يرفض الفكرة التي تعتبره شيئاً خارجاً عن هذا النظام.

2. ماهية علم الاجتماع:

إن اعتبار المجتمع جزء من النظام الطبيعي للكون يستوجب، حسب

سبنسر، النظر إليه كفرع من منظومة التفسير الطبيعي التي تطبق على سائر مظاهر الكون وليس على المجتمع فقط. وعلى هذا الأساس فإن علم الاجتماع هو محاولة لمعرفة نشأة المجتمع وتركيبه وعناصره وهيئاته ومراحل نموه وتطوره وما إلى ذلك من المظاهر التي تخلفها العوامل الطبيعية والنفسية والحيوية بوصفها عوامل تعمل متضافرة في عملية تطورية موحدة.

3. ماهية التطور الاجتماعي:

هكذا فإن التطور الاجتماعي ليس إلا عملية تطورية عضوية ليس بالمعنى البيولوجي النصي بل بالمعنى الاصطلاحي الذي يخلص سبنسر إلى تسميته بالتطور فوق العضوي.

ب. التطور فوق العضوي: ما هو؟ - التطور العضوي؟

إن التحدث عن تطور عضوي (بمعنى بيولوجي) وتطور فوق عضوي (بمعنى اصطلاحي) يعني أن سبنسر بصدد الحديث عن مقارنة الكائن الحي من جهة والمجتمع من جهة أخرى. وبما أن المنهج المقارن يستوجب ضبط التشابهات (التماثلات) والاختلافات (التمايزات)، فمن الواضح أن سبنسر عندما يتحدث عن عناصر تشابه بين المجتمع والكائن الحي إنما يتحدث أيضاً عن فروقات لذا نراه دقيقاً في اختياره للمصطلحات والمفاهيم بالقدر الذي يسمح له ببناء نظرية تجد لها موقعاً ملائماً بين النظريات الاجتماعية التي أعقبت ظهور علم الاجتماع على يد أوجست كومت.

طبيعة الفروقات بين التطور العضوي والتطور فوق العضوي

لدى مقارنته للمصطلحين في نطاق المجتمعات الحيوانية يرى سبنسر أن التطور فوق العضوي وإن كان موجوداً في مجتمعات النمل والنحل مثلاً بوصفها

مجتمعات حشرية راقية، إلا أنه يبقى أقل وضوحاً. إذن المسألة تتعلق بمدى تعقد المجتمعات المدروسة، أي بمدى تخصصها، وفي هذا السياق يعقد سبنسر مقارنة بين المجتمعات الحيوانية والمجتمعات البشرية، فماذا يلاحظ؟.

يلاحظ أن المجتمعات الحيوانية ليست معقدة كالتعقيد الذي يمكن ملاحظته في المجتمعات البشرية. لماذا؟ وأين يكمن التعقيد؟ مبدئياً فإن الاجتماع الحيواني يشتمل على ضرب من السلوك والأثر ما هو أشد تعقيداً مما لدى الاجتماع الإنساني، غير أن الاجتماع الإنساني ينطوي على تفاعل في مستوى العلاقات الإنسانية وتشابك المصالح والرغبات بين الأفراد مما ينجم عنه ضروباً من السلوك والآثار أشد تعقيداً وأشد تنوعاً إلى الحد الذي يجعله أرقى صورة للتطور العضوي.

ج. محتوى المماثلة البيولوجية

يرى سبنسر بأن المجتمع يشبه الكائن الحي فهو عبارة عن كائن عضوي أو مركب عضوي يشبه الجسم الحي وكذلك فإن عناصر المجتمع وهيئاته تشبه نظائرها في الكائن الحي من حيث التشابهات فالمجتمع كالفرد مزود بجهاز للتغذية يتمثل في هيئاته وطبقاته المنتجة، ومزود بدورة دموية تتمثل في نظم التوزيع وطرق المواصلات، ومزود بجهاز هضمي وإخراجي يتمثل في نظام الاستهلاك، ومزود بجهاز عصبي يتمثل في الجهاز التنظيمي والإدارة والحكومية التي تتولى قيادة المجتمع، والإشراف على مصالحه. ومن حيث الفروقات تمثل في النقاط التالية:

أ. عناصر الكائن الحي تكون كلا متماسكاً ومتحدداً بصفة مباشرة. هذه الكلية تتمظهر في اتحاد مادي محسوس لجميع العناصر.

ب. ولكن في المجتمع فإن العناصر/ العوامل إنما تؤدي إلى الوحدة/ الكلية لأنها عناصر خارجية وليست عضوية كما هو التركيب العضوي للفرد. وهذه العوامل تتجلى باللغة والعواطف والانفعالات والأفكار والمعتقدات والتقاليد والعرف... الخ.

ج. إن الجهاز العصبي مثلاً، في عقل الكائن يشغل جزء صغيراً من التركيب البيولوجي العضوي للفرد، بينما في المجتمع نجده ممثلاً بالجهاز التنظيمي والإدارة والقيادة. أي أنه موزع بين الأفراد ولكل إنسان الحق في المساهمة فيه في إطار توجيه المجتمع.

د. المجتمع يشبه الفرد من حيث النشأة والتكوين، حيث ينشأ بصورة بسيطة ضيقة النطاق ثم يأخذ حجمه بالنمو وعدد أفراده بالتكاثر. إذن المجتمع يشبه الكائن الحي في حالة النشأة أي في الحالة التي يتبعها تميز في الهيئات والأعضاء والتركيب المعقد [انتقال من التجانس اللامحدود إلى التباين المحدود] ولكن نمو المجتمع لا يكون عن طريق التزايد البسيط الضيق بل من خلال اندماج هيئاته واتحاد بعض المجتمعات الصغيرة وتفاعل اتجاهاتها والتيارات التي تسودها، هنا تبدأ حالة التعقيد في بنية المجتمع وتركيبه.

المجتمع بين الاستقرار والانحلال

يقضي قانون النشوء والارتقاء بخضوع الكائنات الحية لوجهي القانون. فإذا كان الكائن الحي ينشأ وينمو فهو أيضاً ينحل. وهكذا المجتمع حيث يشبهه سبنسر بالكائن الحي فهو حتماً خاضع للوجه الآخر للقانون وهو الضعف والانحلال.

1. استقرار المجتمع:

إن نشوء المجتمع مرحلة تتواصل مع مرحلة النمو، وما بين اكتمال نمو المجتمع وتعقيده من جهة وانحلاله من جهة أخرى ثمة مرحلة استقرار يبلغ فيها المجتمع من القوة ما يزيد من اندماج عناصره وهيئاته وتماسكها. في هذه المرحلة يكون المجتمع في أوج استقراره. فما الذي يحدث عند استقرار المجتمع؟

ما أن تستمر الحياة الاجتماعية إلى حد ما حتى تأخذ الظواهر والنظم الاجتماعية في الارتقاء والتطور، وهذه العملية تعني الانتقال من حالة التجانس إلى حالة التباين والتخصص. وخلال انتقالها من حالة إلى حالة فإن الظواهر والنظم الاجتماعية ستتأثر بنوعين من العوامل:

- العوامل الداخلية: تتعلق هذه العوامل بالناحية الفردية، أي كل الخواص الفردية ذات الصلة بالتكوين الطبيعي والتكوين العاطفي العقلي للأفراد الذين يكونون المجتمع. فالظواهر التي تقوم في المجتمع تنشأ في واقع الأمر متأثرة بالخواص الفردية هذه. بمعنى أن الأفراد يشكلون ظواهر المجتمع وفق الخواص المشار إليها.
- العوامل الخارجية: هي كل العوامل التي تقع خارج نطاق الخواص الفردية ولكنها تؤثر على الأفراد تأثيراً مباشراً وعلى الظواهر الاجتماعية بوصفها نتاج لأوجه نشاط الأفراد، هذه العوامل هي البيئة: كالبيئة الجغرافية والطبيعية وظروف المجتمع المناخية وموقعه وما إلى ذلك من المؤثرات البيئية.

2. انحلال المجتمع:

إن ارتقاء وتطور المجتمع عملية تنسحب على شتى مناحي الحياة الاجتماعية من نمو في الوحدة السياسية (الأسرة، قبيلة، مدينة، دولة، هيئة،

أمم.. الخ) والوحدة الاقتصادية (صناعة منزلية، مهن، ثورة صناعية آلية ثم ثورة صناعية كهربائية، وكذلك نظم الشركات المساهمة والاحتكار والاستعمار... الخ) ونمو في الوحدة السكانية (عائلة ثم قرية ثم مدينة.. الخ).

إن التطور كان وما يزال مصحوباً بظاهرة ملازمة هي ظاهرة "تنافر القوى وتنوع الوظائف وتفرع الاختصاصات". فالعامل الاجتماعي ازداد تنوعاً فيما ازدادت المهن والصناعات تخصصاً وخضعت مظاهر الإنتاج الأخرى لهذه المبادئ. لا بل نجد تنوعاً بين خصائص الريف والمدن وبين دولة وأخرى أو بين وحدة إقليمية وأخرى، وفي كل ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية نجد تطبيقات صحيحة لهذه المبادئ في السياسة والدين والأخلاق والعلم والفن والاقتصاد.

وفي المقابل نجد انحلال يعقب التطور. إذ ثمة مجتمعات تضعف بعد قوة ومدنا تتقوض وتنحل وتفقد مكانتها، ودولاً يحل بها الظلم والهوان والفقر والتخلف بعد مجد وسلطان وأخرى تقوم من جديد وتأخذ بأسباب النشوء والارتقاء في عملية خلق متجددة في الحياة الإنسانية.

في ضوء ما سبق نلاحظ دولاً وشعوباً وقبائل تأبى الانعتاق من تخلفها وبدائيتها مقابل دولاً وشعوباً تصر على ديمومة الارتقاء وعدم الانتكاس.

رابعاً: نظريات سبنسر في شؤون المجتمع

كثيرة هي النظريات التي يعرض لها سبنسر في فلسفته الاجتماعية، منها ما يتعلق بالشؤون السياسية والاقتصادية وبعضها يتعلق بالشؤون الأخلاقية والدينية.

❖ نظريته في تصنيف المجتمعات

1. يقسم سبنسر المجتمعات باعتبارين:

من ناحية التكوين المورفولوجي (الشكلي): مجتمعات بسيطة أو مركبة

في هذا النوع تكون الوحدات الاجتماعية أو التجمعات البشرية متجانسة بما يشبه الفوضى البدائية شأنها في ذلك شأن الأنواع الدنيا من الحيوان ثم تأخذ في النمو كما ينمو جسم الإنسان فترتقي وتتجه بالتدريج نحو التعقيد في التركيب والتنوع في الوظائف والظواهر والنظم ومن ثم الاستقرار. ومن الضروري أن يحدث اتحاد بين هذه التجمعات إما عن إرادة وقصد وإما عن طريق القهر والتغلب لكي يحصل الانتقال من حالة التجمعات البسيطة الساذجة إلى حالة التعقيد والتركيب.

2. من ناحية الوظيفة: مجتمعات حربية أو صناعية

يرى سبنسر أن بعض المجتمعات من يعيش سكانها رغبة في القتال كالتي سادت نظم الحياة الإقطاعية في أوروبا سابقاً وهو حال المجتمعات الحربية، وهناك من المجتمعات من يقتصر عيشها على مكافحة المتاعب في الحياة والصراع في معركتها. مثل هذه المجتمعات ليس لها غاية إلا العمل للتغلب على مصاعب الحياة وهو حال المجتمعات الصناعية.

النظرية الوظيفية في تفسيرها لتشكيل الجماعات

أولاً: جذور النظرية

كما نتعرض للوظيفية بالبحث والتحليل والفهم، علينا أولاً أن نأخذ بعين الاعتبار أن النظرية الوظيفية، تقوم على عدة ركائز:

(1) جذوراً ابستمولوجية (Bstomology) معرفية تسبق تحول الوظيفية إلى نظرية، ولما نبحث عن الجذور فإننا في الواقع نقوم بمقاربة للوظيفية كمفهوم قبل أن نقف عليها كنظرية هذه الجذور المعرفية نجدها لدى علماء الاجتماع الأوائل أمثال سان سيمون وأوجست كومت وأميل دور كايم ومارسيل موس وحتى أمثال سان سيمون وماكس فيبر. وهي في وضعها هذا لا تعدو أن تكون مجرد مقاربة ولكنها قابلة للارتقاء إلى مستوى النظرية.

(2) إن النظرية الوظيفية هي نظرية جزئية وليست نظرية كلية في علم الاجتماع وهذا هو حالها فيما لو قارناها بالنظرية الماركسية التي تقدم نظرة شاملة للمجتمع.

(3) بدء من العقود الأولى للقرن العشرين، أخذت الوظيفية بالهيمنة على ساحة علم الاجتماع، خاصة بعد أن نشطت المدرسة (الأنجلو سكسونية) التي ضمت كلا من روبرت ميرتون وراد كليف براون وتالكوت بارسونز ومالينوفسكي في إنجاز أبحاث استندت إلى النظرية الوظيفية أو ما عرف بالبنائية الوظيفية.

هكذا علينا أن نقر أنه من العبث فهم هذه المقاربة الجديدة قبل أن نرجعها إلى جذورها المعرفية الأولى، أي إلى المقاربة الوضعية التي انبثقت منها، كيف؟

لقد أوجد أوجست كومت قطعية بين ما يسميه هو بقرون الميتافيزيقيا والقرن التاسع عشر أو ما يسميه بالقرن الوضعي العلمي. هذه القطيعة ترتب عليها بروز تصورات جديدة تتعلق بالنظام السياسي والاجتماعي والمعرفي. كما أن كومت بشر بوراثة العلماء والفلاسفة والصناعيين لرجال العهد والفلسفة والصناعة. وهكذا، فكلما تغيرت المعرفة بالاتجاه العلمي والوضعي كلما أمكن التوصل إلى إقامة نظام سياسي وضعي.

السؤال: ما هي قيمة التصور الوضعي للاجتماع والسياسة والمعرفة؟

قيمة التصور الوضعي تنعكس على علاقة المعرفة بواقعها. أي أن المعرفة لم تعد نظرية مجردة بالقدر الذي ستصبح فيه تطبيقية. في هذا الإطار من التصور الوضعي سيكون دور المقاربة الوظيفية هو التعامل الواقعي مع الظواهر الاجتماعية. فهل حصل مثل هذا التعامل؟

في واقع الأمر نعم. فقد بدأ هذا التعامل الواقعي مع الظواهر مع سان سيمون لما اعترف- مثلاً- بمفهوم المواطنة وأعلى من شأنه على حساب مفهوم الكومتيه، ثم لما اعتبر الدين ظاهرة اجتماعية وجردها من كل مقدس. ولكن مع أوجست كومت كان التعامل الواقعي مع الظواهر أبلغ أثراً حيث جعل من ظاهرة الدولة نمطية فقسمها إلى ثلاثة أقسام/ أنماط تعبر عن ثلاث مراحل هي:

* الدولة المثيولوجية تعبير عن المرحلة اللاهوتية.

* الدولة الميتافيزيقية تعبير عن المرحلة الفلسفية/ الميتافيزيقية- الطبيعية.

* الدولة العلمية تعبير عن المرحلة الأخيرة/ الصناعية أو الفكر الوضعي العلمي.

بعد هذه التجربة المعرفية في تنميط مراحل التطور البشري الفكري توصل كومت إلى تجاوز الفلسفة النظرية المجردة التي أخفقت لأنها عجزت عن تحليل واقع الإنسان وشرع كونت في بناء شجرة المعرفة متوجاً إياها بعلم الاجتماع الذي كان عليه أن يلعب دوراً أساسياً في تحليل واقع الإنسان. وهكذا ستكون المقاربة الوظيفية ترجمة لكل التصورات التي حصلت داخل المقاربة الوضعية.

ثانياً: المرجعية العلمية للمقاربة الوظيفية

حين نبحث عن المحددات العلمية المرجعية للوظيفية سيكون أمامنا اثنتين من المرجعيات هما:

الأولى: هي العلوم الطبيعية

الثانية: هي العلوم البيولوجية

ستأخذ الوظيفية هاتين المرجعيتين بعض العناصر الأساسية:

العنصر الأول: هو القوانين

فالطبيعة تقوم على عدد من القوانين التي تتحكم بظواهرها فإذا ما حدثت تطورات جيولوجية معينة فمن الطبيعي أن يصاحبها أو يتولد عنها عدداً من الظواهر الطبيعية. وثمة قوانين طبيعية تندثر بفعل عوامل طبيعية أخرى لا نجد أوجست كومت يعرف الظواهر الاجتماعية تماماً كتعريفه للظواهر الطبيعية ومثال ذلك تعريفه للدين كظاهرة اجتماعية تولد وتنمو وتكبر ثم تشيخ. أي تبدأ مرحلة التآكل والاندثار.

العنصر الثاني: هو الوظيفة الكامنة في التحليلات البيولوجية للمجتمع

إذ نلاحظ أن مفهوم الوظيفة هو مفهوم قديم في علم الاجتماع، فقد بدأ التفكير فيه مع هربرت سبنسر ثم تواصل مع أوجست كومت وتطور مع أميل دوركايم ومارسيل موسن، وأيضاً مع سان سيمون. كل هؤلاء هم ممثلي المدرسة الوظيفية الفرنسية.

لا شك أن هاتين المرجعيتين (الطبيعية والبيولوجية) أرستا مبدأين أساسيين انطلقت منهما المقاربة الوظيفية هما:

الأول: أن المجتمع كالجسم البشري كلية متكاملة.

الثاني: أن كل عضو من أعضاء هذا الجسم لا يمكن فهمه إلا في إطار كلي.

السؤال: ما هي النتيجة التي يمكن أن نستخلصها بداية من هذين المبدأين؟

الجواب: إن العضو جزء من كل، والعلاقة الرابطة بينهما هي حصراً علاقة تكاملية.

والنتيجة القابلة للاستخلاص تبين أنه ثمة تكامل بين الوظيفة والكلية.

ثالثاً: الجماعة من منظور وظيفي

في إطار هذا التكامل نستطيع القول أن المجتمع يتحدد من خلال وظيفته أو وظائفه. بمعنى أن الوظيفة تتحدد داخل المجتمع، لذا نجد أنثروبولوجي بحجم راد كليف براون يشير في كتابه "الوظيفة العامة" إلى هذه الأخيرة بأنها تلك التي تشمل بقية الوظائف الأخرى ولكن هذه بلا ريب نظرة حتمية. وفي هذا السياق ينبغي الإشارة إلى أن مفهوم الوظيفة حين انبثق في القرن (19) اتخذ طابع الحتمية متأثراً بأطروحات المدرسة الاجتماعية البيولوجية التي ترى أنه طالما أن كل جسم بشري يتمتع بعدد من الوظائف الثابتة والحتمية الثابتة فالمجتمع أيضاً يتمتع بعدد من الوظائف الثابتة.

مثل هذا الطرح نجده لدى هربرت سبنسر وخاصة لدى أوجست كونت، وفيما بعد سنجد هذا المنطق الحتمي الذي يرى أن مبدأ الوظيفة العامة يتحكم في بقية الوظائف الأخرى شائعاً عند رواد المدرسة الأنجلو سكسونية في علم الاجتماع أمثال مالينوفسكي وراد كليف براون وتالكوت بارسونز.

هكذا كان لابد من العودة إلى دوركايم لإخراج المفهوم من إطار الحتمية إلى إطار النسبية، فالحتمية والإطلاقية ليست واردة، ولا يمكن أن تكون من

سمات الوضعية التي تنظر إلى الظواهر نظرة نسبية. لهذا يشار إلى المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع بجهود دوركايم التي نحت بالوضعية التقليدية نحو ما عرف بالوضعية الصحيحة.

رابعاً: مفهوم الوظيفية لدى دوركايم

يميل دوركايم إلى جعل مفهوم الوظيفة مفهوماً نسبياً خالياً من الحتمية. فإذا لم يكن من الضروري اعتبار كل وظيفة تعبير عن حاجة الجسم فليس من الضروري أيضاً أن تكون لكل حاجة وظيفة في الجسم. فما هي أسباب هذه النسبية الوظيفية لدى دوركايم؟

ثمة ثلاثة أسباب تفسر ذلك عند دوركايم:

(1) يريد دوركايم أن يحتكر تأسيس العلم الجديد. لذا لن يكون بإمكانه تبني نفس التعريفات التي نجدها عند كل من كومت وسيمون وسبنسر. ولا يجب أن ننسى أيضاً أن دوركايم يعتبر الكومتية (أ. كومت) ضرباً من ضروب الفلسفة المجردة في حين أنه يدعي لنفسه تأسيس العلم الجديد.

(2) رغب دوركايم أن يتميز في أطروحاته عن كومت مبيناً أن علم الاجتماع لا يقوم على مبدأ الحتمية ولا يستند إليها.

(3) أراد دوركايم أن يتخلص من هذه المرجعيات غير الاجتماعية وأن تكون للظاهرة الاجتماعية مرجعيتها المحضة وليست المرجعية البيولوجية أو الطبيعية.

في المقابل:

(4) بدأ المجتمع عند كومت وسبنسر على أنه كلية اجتماعية، وعليه فإن

الحياة الاجتماعية والحياة العضوية ستكونان خاضعتين لنفس القانون، قانون التطور.

مثال:

فالمؤسسات مثلاً تملك نفس الأهداف والوظائف التي تمثل أعضاء الإنسان وهو ما يرفضه دوركايم كون سبنسر يختزل النشاط الإنساني في الوظيفية التي تقوم بها كل ظاهرة اجتماعية والتي يتم إرجاعها إلى حاجيات الجسم الإنساني.

الاستنتاجات

إن الاستنتاجات الرئيسية التي يمكن الخروج بها من خلال عرض المثال السابق:

أ. إن الوظيفية كانت قبل دوركايم تعرف على أنها حالة من التطابق ما بين الجسم وحاجاته، فكلما عبر الجسم عن حاجة ما إلا واستشعر الحاجة إلى وظيفة ما.

ب. إن المقاربة الوظيفية انطلقت من هذا التطابق الكلي ما بين الوظيفة والحاجة. لماذا؟ لأن علوم البيولوجيا كانت تشكل نوعاً من مرجعيات علم الاجتماع لدى دوركايم وكومت وسيمون... الخ.

ج. أراد دوركايم أن يقصي العلوم البيولوجية والطبيعية من أي تأثير في علم الاجتماع، وحرص على استقلاله والحد من تدخل علوم البيولوجيا فيه، لذا ستتخذ الوظيفية لدى دوركايم منحىً آخر غير التطابق وهو المنحنى المعرفي.

د. يعتبر دوركايم أن الممارسة السوسيولوجية لا ينبغي أن تعتمد على

الحتمية لذا يؤكد على نسبية الوظيفة "فليس الشعور بالحاجة يستوجب الوظيفة".

هـ. من جهة أخرى هناك اعتبارين لدى دوركايم يقفان خلف تنسيبه للظاهرة الاجتماعية:

الاعتبار الأول: هو صعوبة اعتماد التحليل الحتمي في علم الاجتماع. فالظاهرة الاجتماعية نسبية بحكم ظروف نسبية إنتاجها وظروف التحكم فيها.

الاعتبار الثاني: هو أن الظواهر المعتلة والشاذة هي أيضاً لها وظائف ولا يمكن القول بأنها ظواهر غير طبيعية. وهذا يعني أن علم الاجتماع لا يبحث في علة الظواهر بقدر ما يبحث عن الوظيفة التي يمكن أن تؤديها (في العلاقات والأدوار).

خامساً: قضايا الوظيفية وتصوراتها

للوظيفية قضايا كبرى تشكل منطلقات لها في أي تحليل سوسيولوجي. إذ يمكن الحديث عن بعض المفاهيم التي ينبغي التعرف عليها بالنسبة للوظيفية كرؤية سوسيولوجية. فما هي أبرز هذه القضايا أو المفاهيم؟

أولاً: تصورها للمجتمع

والسؤال هو: كيف تنظر الوظيفية إلى المجتمع؟ وكيف تتصوره؟

** المجتمع عند الوظيفية هو:*

- نسق من الأفعال والبنى المحددة والمنظمة. هذا النسق المجتمعي يتألف من متغيرات مترابطة بنائياً (بنى) ومتساندة وظيفياً (وظائف).

- وذو طبيعة متسامية ومتعالية تتجاوز وتعلو كل مكوناته بما فيها إرادة الإنسان.

- هذا التجاوز أو التعالي الذي تتحدد شروطه من خلال الضبط والتنظيم الاجتماعيين اللذين يُلزمان الأشخاص بالانصياع لهذه الطبيعة المتسامية والالتزام بها. إذ أن أي انحراف عنها يهدد أسس بناء المجتمع التي تعد المحافظة عليه وصيانته وتدعيم استمراريته غاية بحد ذاتها.

إن عبارة التصور الاجتماعي ذو الطبيعة المتعالية هي عبارة ذات جذور دوركايمية توازي مقولة دوركايم الممثلة بـ(الضمير الجمعي)؛ فللمجتمع ضمير يسمو ويتعالى على ضمائر الأفراد مجتمعين أو منفردين.

وحسب الوظيفية فالمجتمع مجموعة لا متناهية من البنى وكل منها يقوم بوظيفة فإذا تساءلنا مثلاً: لماذا بنية المجتمع الأسرية صغيرة؟ نجيب بأن المجتمع يحتاج إلى مثل هذا النوع من الأسر كونها تلبي حاجات ووظائف اجتماعية. أن الضبط الاجتماعي هو أية وسيلة يستخدمها المجتمع للتحكم بسلوك الأفراد سواء عن طريق اللغة، الأعراف، التقاليد.. الخ، فهذه العملية تمثل رقيب اجتماعي. فالأفراد الذين يتكلمون لغة معينة أو يختصون بعادات وتقاليد وأعراف وتصورات معينة يصبحوا تلقائياً مقبولين في المجتمع ومعبرين عنه وعن احتياجاته ووظائفه وضميره الجمعي.

إن التنظيم الاجتماعي هو نتيجة للضبط الاجتماعي. وهاتان الآليتان (التنظيم والضبط) هما المسؤولتان عن إلزام الأفراد والجماعات بالانصياع لهما والالتزام بهما. وأي انحراف عنهما سيهدد الأسس الاجتماعية. ولا شك أن الوظيفية تمتاز بحساسية كبيرة تجاه عوامل التغير في المجتمع. فالتغير الاجتماعي

ليس غاية إنما هو تهديد في حين أن الوظيفية تستهدف المحافظة على المجتمع وتحقيق الاندماج الاجتماعي.

ثانياً: مسألة التوازن الاجتماعي

توصف الوظيفية في بعض الأحيان بأنها:

أ. اتجاهات للتوازن: أي أنها ترى التوازن واقعاً وهدفاً يسعى المجتمع إلى أداء وظائفه وبقائه واستمراره.

ب. إذا كانت الوظيفية عبارة عن اتجاهات للتوازن فإن هذا التوازن يتحقق بعمليات التناسق بين مكونات البناء الاجتماعي والتكامل بين وظائفه الأساسية.

ج. هذا التوازن يعمل على تحقيقه شريط مفاهيمي تشترك فيه القيم والمعايير الثقافية والأفكار التي يرسمها المجتمع لأفراده وجماعاته الذين لا يملكون حق الخروج عليها وإلا وقعوا تحت وطأة جزاءات الضبط الاجتماعي الرسمي وبالتالي تصنيفهم في عداد المنحرفين الخارجين عن مسيرة المجتمع.

سؤال: إذا ما تحدثنا عن بارسونز، فما هي الآلية التي تحافظ على حالة التوازن في المجتمع؟

الإجابة: نجدها لدى الكثيرين من الوظيفيين. والمسألة تتصل بالنسق الثقافي الذي يشمل على القيم والأفكار والمعايير والأساطير كما يسميها بيير برديو أو بالرموز. لذا يؤكد بارسونز على أهمية التوازن الثقافي لتحقيق التوازن

الاجتماعي فاختلال النسق الثقافي سيؤدي إلى فقد المجتمع لتوازنه وذلك يعني انهياره.

البنيوية الوظيفية:

أولاً: مكانة البنيوية الوظيفية في علم الاجتماع نالت هذه النظرية النصيب الأوفر من الكتابات التي تصدت لموضوع النظرية الاجتماعية. وحتى أواخر الستينات من القرن العشرين ظلت هي النظرية المهيمنة على ساحات علم الاجتماع بل إنها أكثر النظريات انتشاراً وهيمنة.

ومع أنها شهدت تراجعاً ملحوظاً عن مكانتها منذ السبعينات من القرن العشرين بسبب ظهور نظريات أخرى كعلم الاجتماع الديناميكي، وعلم اجتماع التنظيمات، والفردوية المنهجية، والبنيوية التكوينية، إلا أن هذا التراجع لا يبرر عدم التوقف عندها ومحاولة فهمها لاسيما إزاء المدة الطويلة التي هيمنت فيها على المساحة الاجتماعية.

أيضاً وقبل الدخول في ماهية النظرية ينبغي الاعتراف بأن البنيوية الوظيفية هي نظرية كبيرة وليست نظرية صغيرة، فهي تنطلق من المجتمع ولا تعطى أهمية للفرد، ولكونها نظرية مجتمعية فهي غير مستوحاة من الفرد.

في أواخر أيامها تعرضت النظرية لموجة من النقد. فقد قام عالم الاجتماع الأمريكي (الفن غولندر) سنة 1970، بتحليل نقدي لعلم الاجتماع الغربي من خلال نقده للبنيوية الوظيفية ذاتها. وثمة من نعتها بالطغيان الامبريالي. أما عالم الاجتماع الأمريكي (ويلبرت مور 1978) الذي ارتبط اسمه كثيراً بالنظرية الوظيفية فقد شهدِ شاهد من أهله حين اعترف بأن استخدام البنيوية الوظيفية أصبح محرجاً في علم الاجتماع المعاصر.

ثانياً: ما هي البنيوية الوظيفية؟

أحياناً نكتفي باستعمال اللفظ "الوظيفية" للدلالة على النظرية. ولكن من أين أتت التسمية بـ"البنيوية الوظيفية"؟

لقد أسمى دوركايم المجتمع بالحقائق الاجتماعية. وعندما ننظر إلى المجتمع بهذا المحتوى فإننا ننظر إلى البنى الاجتماعية بما فيها المؤسسات والبنى الطبقية والنوع الديمغرافي للسكان باعتبار المجتمع مدني. فلو نظرنا إلى البنية الأسرية [أب، أم، أخ،... الخ] كإحدى بنى المجتمع المدني وتساءلنا: ما هي وظيفة هذه البنية بالنسبة لاستقرار المجتمع؟ سنلاحظ أننا بصدد مواجهة عبارة "البنيوية الوظيفية" التي تفسر لنا الوظائف التي تؤديها البنى في المجتمع.

إذن البنيوية الوظيفية هي:

[رؤية سوسيولوجية ترمي إلى تحليل ودراسة بنى المجتمع من ناحية والوظائف التي تقوم بها هذه البنى من ناحية أخرى].

هذا يعني أن البنى لم توجد بطريقة عشوائية لأن لها وظائف سوف تقوم بتحقيقها. وبهذا المعنى فإن للبنى الاجتماعية حتمية لا مفر منها وهي وجود وظائف لها. هكذا فلكل بنية اجتماعية وظيفية تؤديها، وبما أن كل شيء محكم فسوف تسير الأمور على ما يرام في المجتمع دون انتظار طويل للصراعات والثورات، فالمجتمع عبارة عن سيمفونية من الوظائف تتسم بالتناسق والتوازن.

ثالثاً: أشكال البنيوية الوظيفية

صحيح أن البنيوية الوظيفية تهتم بدراسة البنى ووظائفها بيد أنها ليست نظرية سوسيولوجية ذات لون واحد بل يمكن الوقوف على ثلاثة أشكال لها:

1. الوظيفية الفردية

في هذا الشكل من النظرية فقد وقع التركيز على حاجات الفاعلين الاجتماعين والبنى الاجتماعية التي تظهر لتلبية هذه الحاجات.

مثال:

الأسرة النووية التي تتكون عادة من أبوين وبضعة أولاد ظهرت لتلبي بعض الحاجات الفردية كالتمتع بالحرية والعيش بالاستقلالية، والعمل والتربية الخاصة، في مقابل ذلك لم تعد الأسرة الممتدة المكونة من الأبوين والأبناء والأزواج والزوجات وأبناءهم؛ لم تعد قادرة على تلبية الحاجات الفردية.

2. الوظيفية العلاقاتية

في هذا الشكل يقع التركيز على آليات العلاقات الاجتماعية التي تساعد في التغلب على التوترات التي قد تمر بها العلاقات الاجتماعية. هذا النوع نجده موضوع اهتمام لدى الانثربولوجين أمثال راد كلييف براون ومالينوفسكي. فالوظيفية العلاقاتية تعمل، مثلاً، عبر شعيرة طقسية من الشعائر، على التخفيف من التوترات في إطار العلاج النفسي.

3. الوظيفية الاجتماعية

هنا يقع التركيز على البنى والمؤسسات الاجتماعية الكبرى وعلى علاقاتها ببعضها البعض، وتأثيراتها الموجهة لسلوكات الأفراد والمجتمعات كالوظيفية التي تقوم بها مؤسسات كالجامعة أو المستشفى أو الإذاعة أو التلفزيون أو الأسرة أو دور العبادة أو المدرسة... فالمسألة تتعلق بالمجتمع لا بالأفراد.

رابعاً: الأصول الانثروبولوجية والبايولوجية للنظرية

ظهر مصطلح الوظيفية في الثلاثينات من القرن العشرين عند علماء الانثربولوجيا على الخصوص أمثال راد كليف براون وبرونسلوي مالينوفسكي. وفي الأربعينات درَّس هذان العالمان في جامعة شيكاغو مما أدى إلى انتشار مصطلح الانثربولوجيا الوظيفية في الولايات المتحدة الأمريكية. وفيما بعد مثلت أعمال كل من (تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون) البنيوية الوظيفية في أعمق ما كتب حول النظرية التي تنظر إلى المجتمع باعتباره نظاماً نسقياً يتمتع بالكثير من الانسجام بين مكوناته البنيوية. أما النظرية البيولوجية فتعد أحد مرجعيات الوظيفية، ومنها يمكن القول أنه إذا كانت العناصر المكونة للجسم الإنساني تكون وحدة بيولوجية متكاملة، أي سيفونية متكاملة تتسم بالانسجام، إلا أن الوظيفيين وكما هو الحال في النظرية الاجتماعية البيولوجية في ملاحظاتها لفورق بين الجسم البشري والمجتمع لا يتجاهلون أيضاً عنصر الصراعات في المجتمعات لكنهم ينظرون إليها بوصفها توترات بريئة. أي أنها عبارة عن تمهيدات إلى إقامة نظام اجتماعي أفضل. فهي في منظورهم إيجابية وليست هدامة للمجتمع.

خامساً: الأصول السوسيولوجية للنظرية

إن البنيوية الوظيفية كنظرية سوسيولوجية تعتبر المجتمع مجموعة من التنظيمات المتراتبة التي يساهم كل منها في الاستقرار الاجتماعي للمجتمع هذا يعني أن الوظيفية تركز أكثر ما يكون التركيز على التوازن الاجتماعي للمجتمع وليس على التغير الاجتماعي. فالعناصر المكونة للمجتمع تُدْرَس من حيث الوظيفة الخاصة والمحددة التي تقدمها للحفاظ على ترابط النسق الاجتماعي لهذا

المجتمع أو ذاك. أما النسق الاجتماعي فهو عبارة عن مجموعة من العناصر المترابطة بعضها ببعض، وأي خلل في أحدها لا بد وأن يؤثر في باقي العناصر. وبدورهم يقول الوظيفيون أن النسق الاجتماعي يمكن أن يحافظ على الاستقرار طالما أن كل عنصر يقوم بوظيفة.

أخيراً يمكن القول أن كومت ودوركايم وسبنسر كانوا أهم ثلاثة رواد اجتماعيين أثروا تأثيراً كبيراً على النظرية البنيوية الوظيفية، ويمكن تحديد ذلك بالنقاط التالية:

(1) الوظيفيه أوجست كومت

نظر كومت إلى المجتمع باعتباره وحدة تتمتع بالكثير من الاستقرار، وعلى الرغم من أنه عارض الثورات والانقلابات والانتفاضات إلا أنه لم يبد قلقاً على مصير المجتمع بما أن الاستقرار يغلب عليه. بل أن كونت كان مؤمناً بأن المجتمع يتصف بالتوازن وليس بالصراعات. لذا رأى في الأنساق الاجتماعية وكأنها أنساق عضوية أو بيولوجية.

(2) الوظيفية عند سبنسر

رأى سبنسر أن المجتمع في أنساق يتشابه مع كثير من الأنساق البيولوجية بل أنه أكثر الرواد الذين شبهوا المجتمع بالأنساق البيولوجية، فالكائنات العضوية والأنساق الاجتماعية في المجتمع هي كائنات متشابهة من حيث قدرتها على النمو والتطور. إن ازدياد حجم الأنساق الاجتماعية كازدياد الكثافة السكانية- مثلاً- سيؤدي إلى ازدياد انقسام المجتمع إلى أنساق أكثر تعقيداً وتمايزاً وهذا هو حال الأعضاء البيولوجية أو الكائن الحي. وقد لاحظ سبنسر أن التمايز التدريجي للبنى في كل الأنساق الاجتماعية والبيولوجية يقترن بتمايز

تدريجي في الوظيفة. ولعل أهم ما جاء به سبنسر هو استخدامه لمصطلحي "البنية والوظيفة" هاتين الكلمتين بلورهما سبنسر أكثر من كومت.

أخيراً فإن قانون التطور الاجتماعي الذي جاء به سبنسر قد أثر في نظريات التطور لدى علماء الاجتماع الوظيفيين الذين جاؤوا بعدة آراء واتجاهات وفي طليعتهم تالكوت بارسونز ودوركايم.

(3) الوظيفية عند أميل دوركايم:

لاميل دوركايم دور مؤثر في تأسيس النظرية الوظيفية. ومبدئياً فإن تأثيرات كونت وسبنسر في الوظيفية تجد امتداداتها عند دوركايم في الكثير من أبحاثه سواء المتعلق منها بـ "تقسيم العمل الاجتماعي" أو "الأشكال الأولية للحياة الدينية". أما فعلياً فثمة معالجة لمفهوم الوظيفة وعلاقتها بالبنى الاجتماعية كالدين والعمل والثقافة والفرق بين السبب الاجتماعي والوظيفية الاجتماعية... الخ.

بعض إسهامات دوركايم في تأسيس البنيوية الوظيفية

أولاً: إن اهتمام دوركايم بالوقائع الاجتماعية جعله يهتم أيضاً بالأجزاء المكونة للنسق الاجتماعي من جهة وعلاقات الأجزاء ببعضها البعض ومن ثم تأثيرها على المجتمع. ففي حديثه عن الوقائع الاجتماعية وجد نفسه مضطراً لإعطائها أهمية كونها تندرج في إطار بنى المؤسسات ويسعى دوركايم إلى البحث عنها.

ثانياً: اعتنى دوركايم كثيراً بالبنى والوظائف وعلاقاتها بحاجيات المجتمع. وهذا يعني اهتمامه بالبنية والوظيفة كعنصرين هامين في التحليل السوسيولوجي.

ثالثاً: من أهم الأمور التي قام بها دوركايم تمييزه بين مفهومين هما "السبب الاجتماعي، " و "الوظيفية الاجتماعية".

إذ أن دراسة "السبب الاجتماعي" سيعني الاهتمام بمبررات وجود البنية. أما دراسة "الوظيفة الاجتماعية" فستعني الاهتمام بحاجيات المجتمع الكبيرة وكيفية تلبيتها من طرف بنية معينة.

مثال: إذا درسنا سبب ظهور الأسرة النووية فسنفكر ما إذا كان التصنيع وانتقال الناس من حال إلى حال هو السبب في ذلك، كما سنتساءل عن وظيفة الأسرة النووية كبنية جديدة في المجتمع الصناعي.

رابعاً: رفض دوركايم رفضاً قاطعاً فكرة أسطورية الدين، وأكد في المقابل على أنه ظاهرة عالمية وبالتالي لابد وأن تكون له وظيفة في المجتمعات البشرية. فمن بين وظائف الدين عند دوركايم وابن خلدون العمل على توحيد الناس وخلق روح التضامن الاجتماعي بينهم عن طريق القيم الثقافية والاعتقادات الدينية التي يدعو إليها هذا الدين أو ذاك.

مثال: وظيفة الشعائر الدينية: يقدم دوركايم في كتابه "الأشكال الأولية للحياة الدينية" نموذجاً للمعنى الاجتماعي للشعائر الدينية أو الحفلات المراسمية. ففي نظره تحقق الشعائر الدينية التماسك الاجتماعي من خلال أدائها لأربع وظائف:

أ. مراسم الحفل، وهذه تهيئ الفرد للحياة الاجتماعية من خلال فرض الطاعة عليه.

ب. إن وظيفة الشعائر الدينية تتمثل في كونها تقوي من تماسك المجتمع وترابط العلاقات بين الأفراد والمجموعات.

ج. تجدد الشعائر الدينية لدى ممارستها التزام الفرد لتقاليد المجتمع.

د. يشعر الفرد بالراحة والحماس الاجتماعي أثناء مشاركته بالحفل الديني.

عبر هذه الحالات الأربع فإن الشعائر الدينية تساهم بتلبية الحاجات الدينية للفرد، ومن ثم يتضح من التفكير السوسيولوجي الدوركايمي أن كل وحدة اجتماعية في المجتمع لها علاقة بالمجتمع الكبير، وفي كل الوحدات الموجودة فيه، ويعتقد دوركايم أن الانسجام في المجتمع يصبح واقعاً مجسماً عندما تسود هذه الحالة الطبيعية. أي عند قيام هذه الوحدات الأربع بوظائفها في المجتمع ككل.

خامساً: مفهوم الوظيفة عند دوركايم، يعرفها كما يلي: "تتمثل وظيفة العناصر الاجتماعية في مساهمتها في الحفاظ على مجرى الحياة في المجتمع".

فالثقافة هي التي تمثل جانباً من العناصر الاجتماعية فتشمل اللغة، العادات، والتقاليد، والعقائد الدينية، القيم الثقافية، وكل هذه العناصر تمثل مؤسسات اجتماعية لها وظيفتها ولا يمكن الاستغناء عنها لأهميتها في مجرى الحياة الاجتماعية ولكونها تشكل العناصر البنيوية في المجتمع.

ومن ملامح الوظيفية النظرية أنها تنظر إلى المجتمع كنسق اجتماعي أي وحدات اجتماعية مختلفة نسبياً تساهم في وظائف مختلفة لدفع المجتمع وتقدمه. وحسب دوركايم فإن الانسجام من ملامح الرؤية الوظيفية" لا بل أنها تنظر إلى المجتمع على أساس أنه مستقر وليس هناك ما يعكر صفوه من صراعات ونزاعات بما أن أجزاءه تتكامل في القصد والهدف.

الوظيفية والصراع الاجتماعي عند دوركايم

من خلال كتاب: "تقسيم العمل الاجتماعي"

يعتبر كتاب أميل دوركايم في تقسيم العمل الاجتماعي، الرؤيا المنهجية في إمكانيات تطبيق المقاربة الوظيفية انطلاقاً من مبدأ دوركيمي يعتبر الوظيفية مبدأ نسبياً منهجياً.

إذن الوظيفية لدى دوركايم هي تطبيق نسبي. هذا ما يتوصل إليه انطلاقاً من تجربة المجتمعات الأوروبية عامة وفرنسا خاصة حيث لا يتجاهل دوركايم وصف كونت الذي كان يعتبر القرن الثامن عشر تكريساً للقطعية مع الفكر اللاهوتي والميتافيزيقي. أي قطيعة مع كل فكر إطلاقي حتمي.

يعتبر دوركايم الظاهرة نسبية بحكم ظروف نسبية إنتاجها وظروف التحكم بها وفي نفس الوقت يرى أن الظواهر المعتلة والشاذة هي أيضاً لها وظائف وليس صحيحاً أنها ظواهر غير طبيعية. فظاهرة الاختلال في عمل المؤسسات أو في التجارة هي ظواهر معتلة وشاذة ولكنها أيضاً طبيعية أما حالات الانحراف الكامل كانحراف النظام الاجتماعي فهذه- مثلاً- حالة غير طبيعية لأنها تعبر عن صراع مدمر وهو ما يرفضه دوركايم الذي يعتبر فكرة الصراع المدمر هي حالة غير طبيعية بامتياز. ولكن لماذا هذه النظرة الرافضة لفكرة الصراع؟

لـ دوركايم تبريراً علمياً، ذلك أن مفهوم الوظيفية عنده يتضمن أصلاً بعداً أخلاقياً واضحاً، ومن المهام العلمية التي يطرحها على نفسه هي تأسيس علم الأخلاق، فهي أخلاق اجتماعية مدنية. كما أن دوركايم يربط بين الوظيفية وشيء آخر هو "التجانس"، وهو مفهوم مركزي لديه. لذا نراه يصر على نسبية

الظاهرة وعدم اطلاقيتها كون التحليل الاجتماعي لا يبحث في علة الظواهر بل في وظيفتها. وهذه الوظيفة ذات بعد متجانس. كيف؟

في كتابه "التربية الأخلاقية"، المنشورات الاجتماعية بفرنسا (1966) يعرف دوركايم المجتمع كما يلي:

1. المجتمع لا يمكن أن يستمر إلا إذا وجدت درجة كافية من التجانس والتربية ترسخ وتدعم هذا التجانس.
2. أما وظيفة المجتمع فهي تحقيق التجانس، وأدوات التجانس هي التربية.

وفي نفس الكتاب نجد نفس الفكرة تقريباً: "أن المجتمع والجماعة هو قبل كل شيء ضمير، وهو ضمير المجموعة الذي يجب إيصاله إلى الطفل".

يبدو من خلال هذين التعريفين، أن الوظيفة التي يشير إليها دوركايم هي وظيفة اجتماعية بحتة، تحقق تجانس المجتمع، وبما أن دوركايم يشتغل في حقل اجتماعي متكون "ناجز" فمن الطبيعي أن يُنسِّب الوظيفة الاجتماعية وخلاف مالينوفسكي وراد كليف براون اللذان دافعاً عن حتمية الوظيفية. فكيف نفسر هذا الاختلاف؟

الوظيفية في علم الاجتماع الأمريكي

إن ظهور المدرسة الوظيفية عند بعض رواد علماء الاجتماع الغربيين ما لبث أن انتقل إلى العالم الجديد، وبالتحديد إلى المجتمع الأمريكي، حيث عرفت الوظيفية أوج نموها بين العديد من علماء الاجتماع الأمريكي، فيما بين الخمسينات (1956)م والسبعينات (1975)م من القرن العشرين، إذ أصبحت المدرسة السيوسيولوجية تتمتع بسلطة لاتضاهي في هذه الفترة بالذات، أي أنها كانت سيدة الموقف كنظرية سوسيولوجية معاصرة والأكثر انتشاراً.

أولاً: الوظيفية عند تالكوت بارسونز

يعد بارسونز أشهر عالم اجتماعي وظيفي في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الغربي على العموم، وعلى امتداد أكثر من نصف قرن من الكتابة والبحث، استطاع طبع علم الاجتماع بتحليلاته الوظيفية، وهو مثل ألن تورين وبيير بورديوم وجاك بيرك وآرون تتميز كتاباته بالأسلوب الصعب في حين أن كتابات روبرت ميرتون هي الأسهل في علم الاجتماع.

إن أكبر مساهمة جاء بها بارسونز في علم الاجتماع هي تركيزه في التحليل السوسيولوجي على المجتمع ككل، ويرى بارسونز أن هذا التركيز يساعد عالم الاجتماع على تحاشي الاهتمام بدراسة مواضيع معزولة كجنوح الأحداث أو المشاكل العائلية. ويعتقد أنه يجب دراسة تلك القضايا في إطار عمل النسق الاجتماعي ككل.

هذا الوظيفي العملاق يلاحظ أن الرؤية الوظيفية تبدأ من الكل وتتجه نحو الأحداث، فعندما نرى جزئية في المجتمع فإننا سنحاول تفسيرها وليس العكس، بأن نفسر المجتمع من خلال جزيئاته، وفي توجهاته النظرية يتشابه بارسونز مع كارل ماركس في هذه النقطة بالذات، أي أن كلاً منهما يركز تحليله على المجتمع ككل، وهذا واضح في كتابات كارل ماركس الذي انطلق من المجتمع في طبيعته، من الناس ومن المجتمع ككل، لذا نرى بارسونز أيضاً يتبنى منهج كارل ماركس الذي انطلق من الكل لتحليل الجزئيات.

إن علماء الاجتماع الوظيفيين الذين ساروا على خطى بارسونز جعلوا من الاستقرار الاجتماعي الهدف النهائي للتحليل السوسيولوجي، وهذا يعني أنهم يركزون في المقام الأول على الظروف التي تؤدي إلى علاقات اجتماعية متلاصقة

وإلى الإدماج السهل للعديد من الأجزاء المفصولة في المجتمع وترتيبها في وحدة مترابطة.

فتحليل بارسونز يفيد بأن تركيبة المجتمع الأمريكي تتكون من [فئات بيضاء وسوداء وأسيوية وأمريكية لاتينية] ومداخل مختلفة [أغنياء، وفقراء، متوسطو الدخل ومتدينون] وفئات عمرية مختلفة [كهول، شيوخ، أطفال... الخ]. ويتساءل بارسونز: كيف تستطيع هذه الفئات المتباينة أن تتضامن مع بعضها بطريقة متناسقة نسبياً، دون أن يذهب كل في طريقه بحيث تكون النتيجة الصراع الخطير؟.

هذا التساؤل يطرح في واقع الأمر قضية "التآلف" لدى دوركايم أو ما يعرف بالتضامن الآلي في المجتمعات البدائية والتضامن العضوي في المجتمعات الحديثة. هذا ما شدد عليه بارسونز الذي يعتقد أن التحليل الوظيفي يؤكد أنه رغم التباينات والاختلافات والفروقات فإن المجتمع يؤمن لنفسه الاستقرار وبالتالي ينبغي ألا نتخوف من تنوع التركيبة المجتمعية، فثمة نوع من الإدماج الذي يتكون من أجزاء تترابط بفعل عوامل اللغة مثلاً. فاللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية وكل شخص يحضر إلى الولايات المتحدة عليه واجب تعلم اللغة الإنجليزية.

لقد عالج بارسونز بعض المؤسسات المحددة، كالأسرة، والاقتصاد، والدين والحكومة، ليبين كيف يساهم كل منها في الاستقرار الاجتماعي، ولو أخذنا الأسرة كنموذج لدراسته ووظيفتها في الاستقرار الاجتماعي، فسنرى كيف يبين لنا بارسونز أن للأسرة النووية الأمريكية وظيفتين هما:

(1) التنشئة الاجتماعية للأجيال الجديدة، فالكل يقع على عاتقه دمج هذه

الأجيال بالمجتمع الكبير، وينبغي عليها أن تتعلم القيم الاجتماعية، والثقافية، والأنشطة، والمهارات الاجتماعية لمجتمعها.

(2) تعمل الأسرة النووية بنظر بارسونز على تمكين شخصية الكهول من الاستقرار، فالعمل والعلاقات الخارجية عن الأسرة في المجتمع يمكن أن تكون صعبة ومصدراً للضغوطات على الأفراد والكهول، ومن ثم يعتقد بارسونز أن وظيفة الأسرة الحديثة تتمثل في التقليل من درجة التوتر الناتج عن المحيط الخارجي للأسرة، وهكذا تحافظ الأسرة النووية على توازن واستقرار شخصية الكهول، وهو ما لم تعد توفره الأسرة الممتدة في المجتمع الصناعي.

ثانياً: الوظيفية عند روبرت ميرتون [= الوظيفية الامبريقية المتوسطة] و "الوظيفيون الجدد"

يعد مقال روبرت ميرتون "Toward the codification of Functional analyes in Sociology" أهم نقد وجه للبنيوية الوظيفية في علم الاجتماع. فما هو محتوى المقال؟

نقد ميرتون:

يتتقد ميرتون ثلاث مسلمات يتصف بها التحليل الوظيفي:

1. الوحدة الوظيفية للمجتمع

ترى هذه المسلمة أن كل العقائد والممارسات الثقافية والاجتماعية تؤدي وظيفة واحدة لكل من الأفراد والمجتمع. كما تعتقد أن أجزاء النسق الاجتماعي تتمتع بدرجة عالية من التكامل، وفي هذه النقطة بالذات يشير ميرتون إلى

صحتها، ولكن بالنسبة للمجتمعات البدائية الصغيرة، وليس بالنسبة للمجتمعات الكبيرة المعقدة، لذا ينبغي عدم تعميم هذه المسلمات.

2. الوظيفية الشاملة

تعني هذه المسلمة أن كل الأشكال والبنى الثقافية والاجتماعيه في المجتمع تقوم بوظائف إيجابية، ويرى ميرتون أن هذا قد يكون مخالفاً لواقع الحياة إذ ليس بالضرورة أن تكون كل بنية أو تقليد أو عقيدة تتصف بوظائف إيجابية، ومن واقع المجتمعات العربية فإن فكرة الوحدة العربية على سبيل المثال، ربما لا تصمد في بعض الأحيان أمام الفكرة الوطنية التي تسعى إلى إبراز الهوية القطرية على حساب الهوية القومية، كما أن الفكرة قد تثير تحفظات بين العرب لاسيما لمن يحاولون إحياء التراث القديم كالفرعونية، والأمازيغية، وكذلك الأمر ينطبق على فكرة الوحدة الإسلامية، حيث يبدو الدين يلعب دوراً وظيفياً متفاوتاً بين الشعوب العربية والإسلامية.

3. ضرورة وجود الأجزاء

ترى هذه المسلمة أن الأجزاء المكونة للمجتمع لا تقوم بوظائف إيجابية فحسب بل هي تمثل عناصر ضرورية لعمل المجتمع ككل، وهذا يعني أن البنى الاجتماعية والوظائف ضرورية بالنسبة لمسيرة المجتمع الطبيعية، أي أنه ليس هناك بنى وظائف أخرى قادرة على القيام بمسيرة المجتمع، كالوظائف القائمة الآن. وحسب ميرتون المتأثر بأستاذه بارسونز لابد من الاعتراف بوجود عدة بنى ووظائف داخل نفس المجتمع.

مشروعية النقد:

يتلخص بطموح: [نحو نظرية اجتماعية إمبريقية متوسطة أكثر شمولية

وأقدر على تفسير الأحداث من الوظيفية التقليدية التي يعتبرها ميرتون جزئية وسطحية وغير قادرة على التفسير].

يرى ميرتون أن المسلمات الثلاثة السابقة لا تستند إلى معطيات امبريقية بقدر ما هي مجرد أفكار وأنساق نظرية بحتة، في حين أن واجب عالم الاجتماع فحص مدى مصداقية كل منها إمبريقياً. لماذا؟، لأن الاختبار الإمبريقي وليس المقالات النظرية هو الذي يمكن التحليل الوظيفي من التوصل إلى إرساء منظور واضح، أو شكل تحليلٍ يكون بمثابة مرجع لتكامل النظرية مع البحث الإمبريقي.

لذا يرى ميرتون أن التحليل الوظيفي ينبغي أن يدرس ظواهر محدودة مثل الأدوار الاجتماعية، الأنماط المؤسسية، العمليات الاجتماعية، الأنماط الثقافية، البنية الاجتماعية، وأدوات الضبط الاجتماعي. ومن الواضح أن (ميرتون) أولى أهمية للدراسات الإمبريقية في النظرية الوظيفية، بدلاً من التركيز على الدراسات الإمبريقية لظواهر محدودة كجنوح الأحداث، أو مدى علاقة أدوات الضبط الاجتماعي في الانحراف، وما إذا كانت الانحرافات ناجمة عن خلل في التنشئة الاجتماعية أو المنظومة القيمية والمعيارية كمايشير ميرتون يرجع إلى فكرة الصراعات في المجتمع، ويزداد تنوعاً وتخصصاً في المجتمعات المعقدة وبين "الوظيفية"، فالفرد مثلاً يمكن أن يؤدي أدواراً معقدة ومتخصصة ولكنه يعجز عن القيام بكل الوظائف. لهذا تبرز فكرة التخصص في الأدوار عوضاً عن القيام بشتى الوظائف.

العوق الوظيفي [الاختلال الوظيفي]

يؤمن ميرتون بأن العناصر الاجتماعية يمكن أن تكون لها انعكاسات سلبية، ولإصلاح هذا السهو الخطير في النظرية الوظيفية، كما لجأ ميرتون إلى

استخدام مفهوم "الاختلال الوظيفي". إذ يرى ميرتون أن البنى والتنظيمات الاجتماعية مثلما تساهم في الحفاظ على الأجزاء الأخرى للنسق الاجتماعي للمجتمع مثلما يمكن أن تكون لهما انعكاسات سلبية هدامة للمجتمع والجماعة.

مثال:

كان للنظام العبودي في الولايات المتحدة آثاراً إيجابية على المواطنين البيض لاسيما فيما يتعلق بتوفير الأيدي العاملة الرخيصة التي ساعدت على تحسين اقتصاد القطن، وحسن من المكانة الاجتماعية للبيض، غير أن لهذه الميزة العنصرية آثاراً سلبية جعلت السكان الجنوبيين في الولايات المتحدة يعتمدون كثيراً على الاقتصاد الزراعي، مما أبقاهم غير مؤهلين "مهيئين" لتقبل التصنيع. فالفروق بين سكان الشمال وسكان الجنوب الأمريكي يمكن إرجاعه إلى العوق الوظيفي للنظام العبودي في الجنوب، ففي حين أدى النظام العبودي وظيفة النمو الاقتصادي والاجتماعي في الشمال نراه أعاق عملية التقدم الاقتصادي في الجنوب.

تصنيفات ميرتون للوظائف

قسم ميرتون الوظائف في المجتمع إلى نوعين:

1. الوظائف الظاهرة

وهي التي ترمي إلى تحقيقه التنظيمات الاجتماعية، مثلاً بأن تكون الجامعات مخصصة للدراسة والبحث العلمي، والخدمة الاجتماعية.

2. الوظائف غير الظاهرة

وهي التي لا تأخذ التنظيمات الاجتماعية بالحسبان تحقيقها أو العمق

لأجلها، كأن تمارس الجامعة وظائف سياسية، أو اقتصادية، أو تمثل فضاءات اجتماعية للتسلية، والترفية، وإضاعة الوقت، أو تحقيق مكانات اجتماعية.

ومما لا شك فيه بأن توضيحات ميرتون تمثل إضافات هامة بالنسبة لعلماء الاجتماع الذين يصرون على استخدام التحليلات الوظيفية في دراستهم للوظائف الاجتماعية، فتعديلات (ميرتون) للصيغ القديمة للنظرية الوظيفية، تعد تعديلات ضخمة، بحيث يمكن تسمية علماء الاجتماع الذين تبنوا تفكيره بـ (الوظيفيين الجدد).

النظرية الاجتماعية المعاصرة في تفسيرها لتشكيل الجماعات

نظرية الصراع الاجتماعي "رالف داهرندوف RDahrendof"

مفهوم الصراع الاجتماعي:

يحدث الصراع الاجتماعي نتيجة لغياب الانسجام والتوازن والنظام والإجماع في محيط اجتماعي معين، ويحدث أيضاً نتيجة لوجود حالات من عدم الرضا حول الموارد المادية كالسلطة، والدخل، والملكية أو كليهما معاً. أما المحيط الاجتماعي المعني بالصراع، فيشمل كل الجماعات سواء كانت صغيرة كالجماعات البسيطة، أو كبيرة كالعشائر، والقبائل، والعائلات، والتجمعات السكنية في المدن وحتى الشعوب والأمم.

والفكرة الأساسية تتجلى في القول إن قضية الصراع بين المجموعات البشرية هي في الواقع ظاهرة عضوية في الحياة الإنسانية، والعلاقات السائدة بينها. ويمكن إيراد نوعين من الأسباب حول استيطان الصراع الاجتماعي كظاهرة اجتماعية بين المجموعات البشرية:

(1) ثمة ما يسمى بـ"الرموز الثقافية"، وهو نوع من الأسباب التي تؤدي إلى انسجام بين البشر أو إلى خصام، والخصام في هذا السياق قد يتجلى في الاختلاف على مفهوم السلطة المادية، فمن له الحق في السلطة وتملكها؟ ولماذا؟ هو سؤال يسمح بنشوب صراع.

(2) ومن وجهة نظر ماركسية فإن قضية العدالة الاجتماعية، تعد متغيراً بنيوياً في إثارة الصراعات الاجتماعية طالما أن هناك توزيع غير عادل للثروة.

بعض تعريفات الصراع الاجتماعي

يقدم علماء الاجتماع السياسي وعلماء الانثروبولوجيا، بعض التعريفات التي تساعدنا في التعرف على معنى الصراع، في أدبيات العلوم الاجتماعية، ولنأخذ اثنين من هذه الأدبيات:

أولاً: رالف داهرندوف

يقدم عالم الاجتماع الألماني هذا الصراع على أنه "حصيلة العلاقات بين الأفراد الذين يشكون من اختلاف في الأحداث".

ثانياً: لويس كوزر

هو عالم اجتماع أمريكي معاصر، اهتم بالنظرية الوظيفية وقدم مساهمة في نظرية الصراع الاجتماعي.

هذه المساهمة تعرف الصراع، بـ: "أنه مجابهة حول القيم، أو الرغبة في امتلاك الجاه، والقوة، أو الموارد النادرة".

وفي هذا السياق للتعريف فإن الأطراف المتصارعة لا ينحصر اهتمامها

بكسب الأشياء المرغوب فيها، بل إنها تهدف إلى وضع المناوئين إما في حالة حياد أو أن يقع الأضرار بهم أو القضاء عليهم.

مشروعية الصراع الاجتماعي

❖ الجذور:

تهتم النظريات السوسيولوجية باستكشاف أسباب الصراع الاجتماعي وانعكاساتها، وتحاول أن تطرح رؤىً فكرية بخصوص إمكانية نفي المفهوم أو التحكم فيه، أي البحث في استخدام المفهوم، وتوظيفه لتبرير غايات سياسية أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو حتى فلسفية. ولكن كيف؟

إن الفكرة النظرية حول الصراع الاجتماعي، هو فكر قديم جداً ولعل نظرية (كارل ماركس) حول الصراع الطبقي، تمثل حصيلة لتراكم الزاد المعرفي لهذه النظرية، فالصراع الاجتماعي لدى ماركس له جذور اقتصادية تشكل الطبقات الاجتماعية أساسه عند المجموعات البشرية، فالصراع الطبقي حسب الماركسية هو القوة المحركة للتاريخ.

من جهة أخرى يرى البعض (كروبرت مالثولس)، صاحب النظرية الشهيرة في السكان بأن الثروات وقتل الملايين من الأفراد عبر وسائل العنف المتعددة والمتنوعة، هي مسألة ضرورية لتقدم البشرية، بعبارة أخرى فالصراع الاجتماعي من هذا المنظور أساسياً وضرورياً لإحداث تغير اجتماعي إيجابي وكأن فلسفة التقدم والتنمية التي اجتاحت أوروبا في القرن (19)م ما كان لها أن تنجح لولا البعد العنفي الكامن فيها، وفي هذا السياق يبدو أن للصراع وظيفة إيجابية.

❖ في علم الاجتماع

بالنسبة لنظرية الصراع في علم الاجتماع فيمكن الإشارة إلى المعالم التالية:

فمن جهة تُعَدُّ نظرية الصراع الاجتماعي كطليعة للفكر الماركسي، ومن جهة ثانية تُعَدُّ بديلاً للنظرية البنيوية الوظيفية، بل أنها تمثل مخرجاً للنظريتين فهي من جهة تحمل بذور الوظيفية وفي نفس الوقت تحمل بذور الماركسية، لذا فهي تستعمل مضامين، وجواهر كلا من الوظيفية والماركسية بحيث يستحيل ردّ أطروحاتها إلى أي من هما منفردة.

كنا قد أشرنا إلى النقد الذي تعرضت له البنيوية الوظيفية على عدة مستويات، باعتبارها نظرية محافظة ذات طابع أيديولوجي، وغير قادرة على التعامل مع التغيرات الاجتماعية، كونهّا ركزت في انطلاقاتها على استقرار البنى الاجتماعية، حتى فقدت القدرة على تحليل الصراع الاجتماعي، لذا يمكن القول بأن نظرية الصراع الاجتماعي، تمثل محاولة قام بها العديد من علماء الاجتماع للمحافظة على الاهتمام بمفهوم البنية والاعتناء بنفس الوقت بمفهوم الصراع.

ويعد كتاب عالم الاجتماع الأمريكي "لويس كوزر" المنشور تحت اسم (وظائف الصراع الاجتماعي)، (1950) "أول محاولة تنظيرية في هذا الصدد، أي أنه أول محاولة أمريكية تتعامل مع الصراع الاجتماعي انطلاقاً من رؤية البنيوية الوظيفية، مما يعني أن كوزر انفرد نوعاً ما بنظرة إيجابية للصراع الاجتماعي، ومع ذلك فالبعض يرى أن دراسة الصراع الاجتماعي يجب أن يتجاوز الوظائف الاجتماعية الإيجابية لهذا الصراع. فما الذي يعنيه هذا البعض؟

المعنى يكمن في النظرية الماركسية، فلعل أبرز ضعف تشكو منه نظرية الصراع الاجتماعي هو فقدانها لأرضية النظرية الماركسية، ولعل الاستثناء

الوحيد في هذا الميدان هو عالم الاجتماع الألماني "رالف داهر ندوف"، الذي حاول تلقيح نظرية الصراع الاجتماعي، بأطروحة الفكر الماركسي فكان كتابه "الطبقة وصراع الطبقات" يعُد أهم عمل سوسيولوجي حول نظرية الصراع الاجتماعي.

ومع هذا فإن داهر ندوف، يكاد يستخدم نفس الإطار التحليلي الذي تبناه علماء الاجتماع الوظيفيون "البنى والتنظيمات الاجتماعية"، ومن ناحية أخرى فقد نبه داهر ندوف إلى أن عناصر النسق الاجتماعي، يمكن أن تعمل معاً متناسقة ويمكن أن تعرف صراعاً وتوترات، فالمجتمعات تتمتع بحركية والصراع هو أحد ملامحه ومثلما هناك تناسق اجتماعي فثمة هناك مجابهات وتوترات اجتماعية.

وفي النهاية يمكن النظر إلى نظرية الصراع الاجتماعي، على أنها مرحلة عابرة في تاريخ تكون النظرية السوسيولوجية. ويعود فشل تبلورها إلى عدم الاستفادة الكافية من الفكر الماركسي، الذي كان انتشاره ضئيلاً قبل الخمسينات في القرن العشرين بين علماء الاجتماع الأمريكان، ومع ذلك فالنظرية الصراعية هيأت الظروف المناسبة لقبول الفكر الماركسي بين المثقفين الأمريكان مع مطلع الستينات من القرن الماضي.

الخاتمة

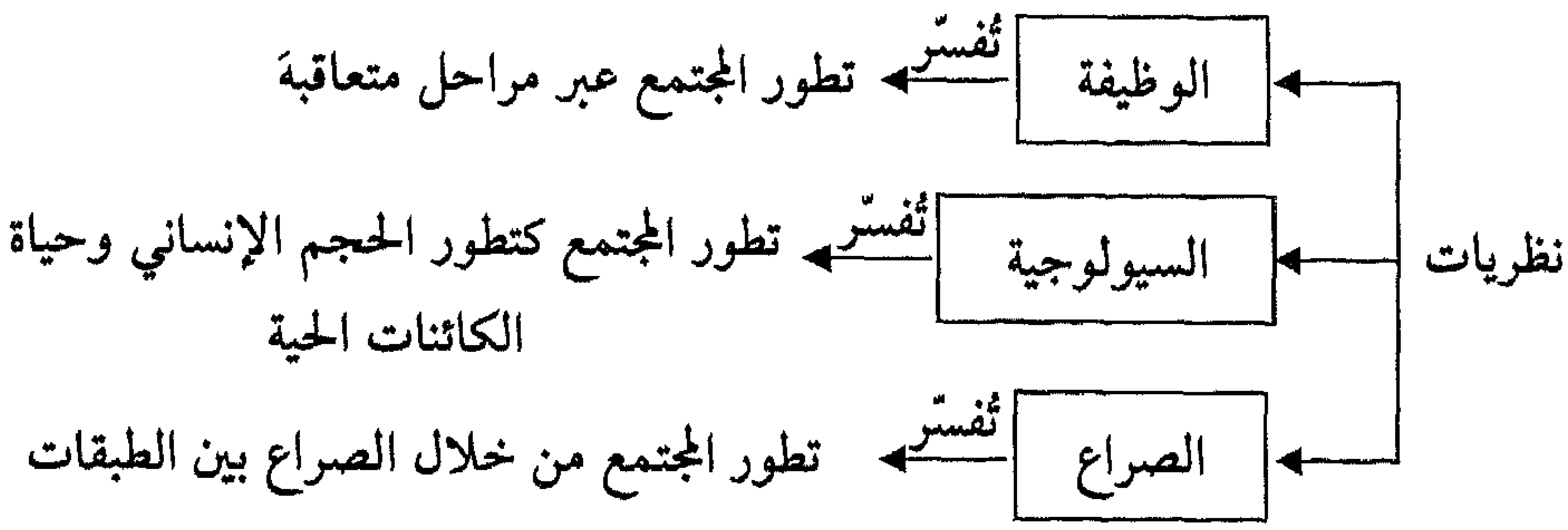
ما تم التعرض له من نظريات في هذه الوحدة تعتبر مركزية في علم الاجتماع، خاصة في تفسيرها لمجادلات التفاعل الاجتماعي، والبناء الاجتماعي لدى المجتمعات، فإن تلك النظريات جاءت بصورة أو بأخرى مفسرة لعملية البناء الاجتماعي، والحراك الاجتماعي، الذي يتم داخل المجتمعات والجماعات وهذا يقودنا أن نستنج ثلاثة نقاط أساسية حول هذا الموضوع:

1) إن هذه النظريات جاءت في مجملها مفسرة لعمليات التشكيل والتغير داخل المجتمعات بشكل عام والجماعات بشكل خاص، حيث وضحت الأسباب الظاهرة والكامنة لتلك العمليات، وهذا ما سيتم توضيحه في الوحدة الثانية عشرة.

2) إن هناك أسباباً حقيقية لعملية التغير والبعض منها ركز على علاقة البناء الاجتماعي في التغير الاجتماعي، وخير مثال على ذلك ما جاءت به نظرية أوجست كومت التي ارتكزت على هذا الغرض في العملية البنائية خاصة في عملية التحليل والتفسير، لبعض الظواهر الاجتماعية التي تحدث داخل المجتمعات.

3) ركزت بعض النظريات على التطور الذي له دلالة واضحة ومميزة في حياة الإنسان، ممثلاً ذلك بتطور المجتمعات من مرحلة إلى أخرى وهذا ما أكدته

نظرية أوجست كومت الوظيفيه، والبعض الآخر من النظريات حاول إجراء مقاومة أمبريقية بين المجتمعات والجسم الإنساني وهذا ما أكدته نظرية هربت سبنسر، حيث فسر التشكيل والتغير من خلال هذه المقاربة، والبعض الآخر من هذه النظريات ركز على عملية الصراع بصفتها المحرك الأول نحو التغير والتشكيل والبناء لتكوين المجتمعات الجديدة على أنقاض المجتمعات المنقرضة أو البائدة، وهذا بحد ذاته يرى في الصراع عنصراً هاماً في عملية التغير والتشكيل معاً، في ضوء ما تقدم عرضه من نظريات اجتماعية تفسر كيفية تشكيل المجتمعات والجماعات، يمكن أن نعّرض النموذج التالي:



الوحدة الثانية عشرة

التغير والتشكيل داخل الجماعات

الوحدة الثانية عشرة

التغير والتشكيل داخل الجماعات

- مقدمة.
- أسباب التغير.
- النتائج الملتزمة على أسباب التغير.
- مراحل التغير.
- خلاصة.
- نماذج تطبيقية.

الوحدة الثانية عشرة

التغير والتشكيل داخل الجماعات

مقدمة

التغير والتشكيل صفتان مرتبطان مع بعضهما البعض التي تتصف بهما جميع الأشياء والكائنات الحية على وجه البسيطة، في (علم الكيمياء) نجد الذرة تتكون من مجموعة البروتونات والالكترونات، وهي لا تميل إلى الثبات فأي تغيير في مساراتها يؤدي إلى تشكيلها من جديد ضمن ظروف معينة، وكذلك الحال بالنسبة (لعلم الأحياء) نجد أي تغير في ترتيب الكروموسومات يؤدي إلى إيجاد نوعٍ جديدٍ في شكل الكائنات الحية، وهو ما يطلق عليه بالهندسة الجينية، سواء في زيادة الطول أو في لون العيون، والشعر أو لون البشرة وما إلى ذلك.

وكذلك الحال في (علم الفيزياء) ممثلاً في العلاقة بين زيادة السرعة، والتقليل من الجاذبية الذي يؤدي إلى تقليل الزمن بين المسافات. كل تلك الظواهر السابقة في مجال العلوم الطبيعية، تخضع لقوانين التغيير والتشكيل، وفي ضوء ما سبق فإن الظواهر التي تحدث في المجتمعات والجماعات سابقاً واليوم، حالها كما هو الحال في الظواهر الطبيعية وعلى هذا الأساس سنقدم في هذه الوحدة، مجموعة الأساسيات التي تؤدي إلى التغيير، الذي يؤدي في المحصلة النهائية التي تشكيل جماعات جديدة تقوم على مرتكزات بناء اجتماعي أو سياسي اقتصادي، وتشكل عاملاً هاماً في تغيير النسق القديم، وتشكيل نسقٍ جديدٍ قائم على بنية جديدة تلبي رغبات الأفراد والجماعات، وهذا يحتاج إلى

مجموعة من الظروف الموضوعية والذاتية، بحيث تلبي رغبات وأهداف المجتمع بأسره، وهذا بحد ذاته يؤدي إلى إزاحة النظام القديم وتشكيل نظام جديد قائم على تلبيه طموحات الجماعات.

فالتغيير يُعد بذرة التجديد التي تكون في جميع المجتمعات الإنسانية، وقد تكون في مَرّحلة ضعيفة، وفي مرحلة أخرى تصبح قوية، وهو بحاجه إلى المقومات الاجتماعية الاقتصادية والسياسية.

وقد تكون هناك مجموعة صغيرة مستاثرة في حكم الجماعات بحيث تؤدي إلى عَدَم انسجام أفرادها، وهذا بحد ذاته ينعكس سلباً على حياتهم، مما يشكل ضغوطات وارهاصات تراكمية لديهم.

فالاحباط والضغوط يؤثران على مستوى حياة الافراد داخل الجماعات التي ينتمون إليها، بحيث يصبح لديهم ارهاصات تراكمية، مما يستدعى ذلك إلى التغيير الذي يمكن ان نجملُ أسبابة بالنقاط التالية:

أسباب التغيير:

(1) عدم توزيع الثروة بشكل عادل من قبل جماعات الحكم، وهذا ممثل في نظام الحكم الاستبدادي، بحيث يتم توزيعها على مجموعة دون أخرى، وتلبي متطلبات الجماعة المستبدة دون غيرهم، مما يشكل حالة من التوتر والتنفير والضغوطات لدى الجماعات الأخرى وهذا ما يحدث الآن في بعض المجتمعات العربية، ودول الأفريقية ودول أمريكيا اللاتينية، أي بشكل عام في دول العالم الثالث.

(2) حكم الأقلية للأغلبية، وما يسمى حكم الصفوة، وبالتالي فإن هذا بحد ذاته لا يحقق العدالة الاجتماعية، التامة ولا يسمح لمساحة واقعية من

الديمقراطية والتعبير عن الرأي، وهذا يعزى للحكم الفردي المستبد الذي يقوم على إيجاد مؤسسات لا تمثل الجماعات داخل المجتمع، مما يجعل نوعاً من عدم الانتماء لديها، ويؤدي إلى غربة أعضائها داخل المجتمع.

(3) إهمال الأفراد والجماعات، ممثلاً في عدم قيام مجموعة الحكم بسد حاجاتهم، والمساواة فيما بينهم في التوظيف، وعدم إنشاء مؤسسات خدماتية تسد حاجاتهم بشكل كافٍ، مما يؤدي ذلك إلى خلل في بنية المجتمع من ناحية اقتصادية واجتماعية وسياسية، مما يجعل الظروف المواتية لظهور الطبقة الغنية، واختفاء الطبقة الوسطى، وظهور طبقتين اجتماعيتين لا ثالث لهما، طبقة اجتماعية غنية متنفذة، وطبقة فقيرة مهمشة.

(4) تزاوج أصحاب رؤوس الأموال مع السلطة الحاكمة مما يؤدي إلى سياسة الاهمال والتهميش والتذمر، مما يرسم سياسة قائمة على عدم توفر العدالة الاجتماعية، ويشكل الفساد والمحسوبية داخل المجتمع بما ينعكس ذلك على انعدام التنمية التي تحرم العامة ويؤدي إلى الخصخصة التي تستفيد منها رؤوس الأموال من ناحية والسلطة الحاكمة من ناحية أخرى.

(5) أدلجت المجتمع بجماعته وأفراده بألوان الحزب الواحد بأفكار واتجاهات السلطة الحاكمة، مما يؤدي ذلك إلى رفض آراء واتجاهات الجماعات الأخرى، أي منع التعدد الفكري الحزبي الأيدولوجي، مما يؤثر على مساحات الحريات العامة، وخلق نوع من الفجوة بين الجماعات وجماعة السلطة الحاكمة مما يؤثر سلباً على التعبير عن الرأي بشكل مكتوب أو مقروء أو بشكل احتجاج.

(6) التدليس والتّزوير في عمليات الانتخابات مما يجعلها مصطنعة، ويشكل

التوترات القائمة على عدم رضا الآخرين الذين يشعرون بالإحباط، وعدم اختيار من يمثلهم بشكل حقيقي.

(7) انتشار البطالة، والتضخم المالي وهذا بحد ذاته يخلق نوعاً من عدم الاستقرار، بحيث يؤثر ذلك على الأمن الاجتماعي والعدالة الاجتماعية، مما يجعل الاضطرابات تصيب بنية المجتمع وتؤثر سلباً على البناء الاجتماعي.

(8) عدم استقلالية القضاء أو الجهاز القضائي بحيث يحرم تلك المجموعة، في حصولها على العداله والمساواه القضائية وهذا بحد ذاته يؤثر على السلم الأهلي للجماعات، ويشكل ظاهرة مرضية ضمن المجتمع بحيث يؤدي إلى الحقد والكراهية، وعدم الانسجام، وعدم الوثوق في نزاهة القضاء.

من خلال عرض النقاط السابقة، هناك بعض العوامل التي تعد حاسمة في الإسراع في التغيير لكي يصل الأفراد والجماعات إلى تحقق العدالة الاجتماعية.

النتائج المترتبة على التغيير:

(1) **نتائج اجتماعية:**

اختلال في بنية الجماعات، وانقسامها، مما يؤثر على بنية المجتمع، ممثلاً في عدم الانتماء والمسؤولية اتجاه المجتمع والجماعة، وهذا بحد ذاته يؤدي إلى التفكك الاجتماعي ممثلاً في عدم توفر الأمن الاجتماعي والاستقرار، والسلم الأهلي. ويؤدي ذلك إلى انتشار الفقر والجريمة، والتفكك الأسري، وزيادة مستوى الرذيلة داخل المجتمع.

(2) نتائج اقتصادية:

ارتفاع مستوى الفقر لدى الأفراد والجماعات، ويعزى ذلك لتدنِ مستوى الدخل، وانتشار البطالة، وغلاء الأسعار للسلع الضرورية الأساسية، مما يؤثر سلبياً على الحياة الاجتماعية والنفسية للأفراد والجماعات داخل المجتمع.

(3) نتائج سوسيوسيكلولوجية:

ممثلاً ذلك في تعرض الأفراد والجماعات للغربة والاغتراب، وعدم المسؤولية، والخوف والقلق، وعدم الثقة بالنفس، مما يؤدي إلى إصابة الأفراد والجماعات بالأمراض الاجتماعية كالجريمة والدعاره وانتشار الأمراض النفسية كالاحباط والاكتئاب، نتيجة لذلك. تنتشر ثقافة الخوف، وعدم الثقة بين الأفراد والجماعات خوفاً على بقائها، وتهديدها في مصادر عيشها.

مَراحل التغير:

تشير الدراسات والأبحاث في هذا المجال أن التغير قد يكون له عدة أنماط وأشكال، يمكن إجمالها على النحو الآتي:

(1) التغير السريع الذي يأتي عن طريق استخدام القوة الجبرية لتنحي نظام سياسي أو اجتماعي ما، وهذا يأتي عن طريق الانقلابات العسكرية والسياسية، وهذا التغير يعتبر غير مجدي، وغير مؤثر لأنه لا يأتي من الجماعات وأفرادها المظلومة والمسحوقة.

(2) التغير التدريجي، يأتي بصورة تدريجية من قبل جماعات يصبح ذات قاعدة جماعية واسعة بحيث تؤثر على تغير شكل النظام السياسي والاجتماعي ويتم ذلك عن طريق الانتخابات الصحيحة غير مزيفه، والتي لا يوجد فيها نوعاً من التدليس والتزيف.

(3) الاحتجاجات السلمية المنظمة، التي يؤدي إلى شل نظام الحياة، مما يؤثر على عدم استمرارية النظام الحاكم، وهذا بحد ذاته يعد أرقى أنواع التغير، وهو ما يطلق عليها بالثورات السلمية، البرتقالية أو الوردية، وهذا ما حدث في دول أوروبا الشرقية، وما يحدث في مصر وتونس في الآونة الأخيرة وما يطلق عليه بالربيع العربي.

على ضوء ما تقدم يمكن أن نطرح مراحل التغير، حيث يمكن اجمالها على النحو التالي:

(1) مرحلة النفور وعدم التقبل للواقع الذي تعيشه الجماعة، نتيجة لسياسة التهميش، والظلم وعدم إطلاق الحريات والتساوي، فهذه المرحلة تخلقها مجموعه الظروف الموضوعية والذاتية، التي هي في المحصلة النهائية ناتجة عن الظروف السيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية، بحيث لا يكون للجماعة هدف محدد، (Non aime) وهذا ينطبق على كثير من المجتمعات في العالم اليوم.

(2) مرحلة تحديد المشكلات الرئيسية التي تتبلور حول الهدف أو عددٍ من الأهداف المراد تحقيقها، وهنا تبدأ مرحلة جديدة تكون في البداية بصورة عشوائية، وسرعان ما تصبح منظمة موجهة ومقصودة.

(3) مرحلة التنفيذ قد تأخذ صداماً مع السلطة الحاكمة، وتكون بشكل دمُويّ كما هو الأمر في بعض المجتمعات كما هو الحال في ليبيا، أو بصورة شبه سلميه كما هو الحال في كل من تونس ومصر واليمن.

(4) مرحلة العشوائية ومن ثم التخطيط: من خلال ذلك لابد من المجموعات المعارضة الجديدة التي ظهرت من الاتفاق والتوافق في تحديد خطتها

المستقبلية، وبناء استراتيجياتها التي تتوافق مع متطلبات التغيير الذي حصل، وما يطلق عليها في بعض الدول بالتنسيقيات.

(5) مرحلة التنظيم وإبراز القيادات التي تمثلها في تحقيق مطالبها سواء أكان ذلك على صعيد سياسي أو اجتماعي أو عمالي نقابي وما إلى ذلك.

خلاصة:

من خلال ما تم عرضة، يمكن إجمال عملية تشكيل الجماعة المعارضة في عدة نقاط:

أولاً: ارتقاء فرد أو أكثر في موقف ما، سواء كان ذلك بشكل عشوائي أو مقصود.

ثانياً: تحديد التجاذب بين أفراد الجماعة حول موضوع يخصهم والاتفاق على ذلك.

ثالثاً: نشر الفكر الذي تتبناه الجماعة بين أفرادها الذين يعانون نفس المشكلة.

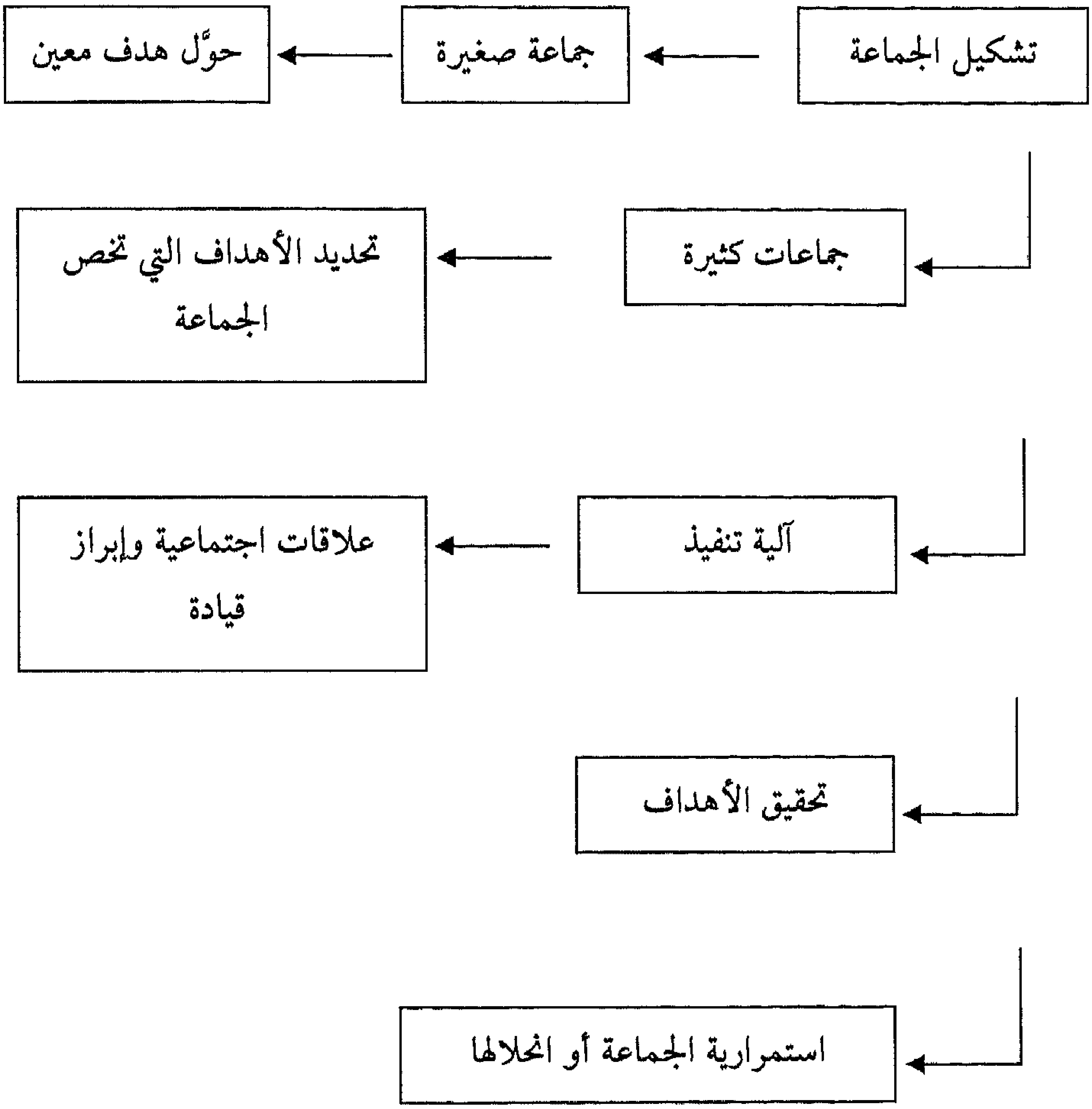
رابعاً: تحديد الأهداف المراد تحقيقها عن طريق العمل العشوائي وسرعان ما يصبح عملاً منظماً.

خامساً: تحدد مجموعة من العلاقات ذات صلة في تشكيل بنية هيكلية، تبرز من خلالها أفراد ذات تأثير واضح في المجموعة وسرعان ما تصبح قيادات للجماعة.

سادساً: بقاء واستمرار الجماعات حسب الأهداف التي وجدت من أجل تحقيقها، فكلما كانت الأهداف بحاجة إلى وقت طويل لتحقيقها، يؤدي إلى استمراريتها والعكس صحيح.

على أية الحال إن الجماعات الإنسـانية تمـر في مرحلـة التشـكيل والثبـات والتغير والاستقرار، وهذا يتوقف على مجموعـة الظـروف الـتي تتعـرض إليهـا، وهذا بحد ذاته يحدد أهدافها وطموحاتها، ولتحقيقها يحتاج منـا إلى آليـات عمـل تنفيذية، لتغير الجماعات مـن شـكل إلى للآخـر، لأن في عـدم الـتغير يـؤدي إلى اضمحلالها.

والنموذج التالي يوضح ذلك



نماذج تطبيقية

ما يحدث اليوم داخل المجتمعات الإنسانية بشكل عام، والجماعات العالمية بشكل خاص، ما هو إلا نتاج عن عدم تلبية حاجات الأفراد والجماعات الأساسية، وعدم منحها قدراً كافياً من الحرية الفكرية في التعبير عن فكرها، وهذا بحد ذاته وضع بذور التغير داخلها، وحسب النظريات السيكولوجية المتعلقة في تشكيل الجماعات وحراكها، لابد لتلك الجماعات أن تتوجه إما بشكل عشوائي نحو التغير لتطالب في تحقيق أبسط حقوقها، وسرعان ما يرتفع سقف المطالب، للتغيير ويصبح جذرياً، الذي من خلاله تشكل جماعات جديدة تصل إلى سدة القياده، وتعبر عن رغبات أفرادها الحقيقية في تحقيق العدالة الاجتماعية، وهذا بحد ذاته يقوم على ركيزتين وهما:

(أ) المطالبة بالتغير للشكل أو البناء الاجتماعي بجميع مقوماته الاقتصادية والسياسية والقانونية نتيجة لعدم تلبية رغبات الجماعة التي تعد الركيزة الأساسية لبناء الاجتماعي الكلي للمجتمع.

(ب) البناء الجديد الذي نجم عن التغير، ويحتاج إلى وقت كاف لتشكيل بناء الجماعة، وهيكليتها بحيث ينسجم مع رغباتها، ومتطلباتها، وهذا ما يطلق عليه التشكيل الاجتماعي السياسي.

الخاتمة العامة للكتاب

لقد ورد في الكتاب اثني عشر وحدة، ألقت الضوء على سيكولوجية تشكيل الجماعات وحِراكها ومدى تأثير ذلك على سلوك أفرادها الذين ينتمون إليها، وهذا بحد ذاته يعد مؤشراً هاماً في التعرف على بيئاتها التي لها أهمية في تشكيل البناء الاجتماعي للمجتمع، ولهذا جاء الكتاب موضحاً الأهداف والغايات التي تتشكل من أجلها الجماعات، وكيفية تغيرها وتحولها؛ والأسباب الواقعية التي تؤدي لذلك. ولابد لنا كباحثين ودارسين في هذا المجال التعرف على مفهوم الجماعة، والنظريات التي فسرت تشكيلها وحركتها التي تُعبّر عن هوية الفرد السيكولوجية الاجتماعية، وهذا يقودنا إلى التعرف على نقطتين:

الأولى: كيفية تشكيل البناء الاجتماعي للجماعة، سواء أكانت اجتماعية، سياسية، مهنية، دينية، وهذا يحتاج منا إلى دراسة تحليلية تقوم على المفهوم البنائي لتلك الجماعة، وما يطلق عليه بالمفهوم الاستاتيكي للجماعة.

الثانية: التعرف على عملية التفاعل الاجتماعي التي تتم داخل الجماعات، وعلاقاتها مع الجماعات الأخرى، لابد لنا هنا من التركيز على نظريات التفاعل الاجتماعي، التي تُعد مكملاً لعملية البناء الاجتماعي للجماعة وبنائها وتغيرها، ولهذا لا يمكن استيعابه إلا من خلال معرفة القوانين التي تضبط سلوكها، خاصة فيما يتعلق بعملية التواصل الاجتماعي بداخلها.

لقد حاول الكتاب الإجابة على النقطتين السابقتين من خلال الوحدات

التي قدمها، والاتجاهات التي تتعلق في هذا المجال، من خلال مجموعة النظريات الاجتماعية السيكولوجية التي امتزجت مع بعضها البعض لكي تشكل اتجاهاً موضوعياً نقدياً علمياً لكي يفسر ذلك.

على أية حال إن نظريات الصراع والتوازن الاجتماعي التي كانت من بين هذه النظريات التي فسّرت ذلك، والذي يُعد بحد ذاته مؤشراً هاماً، يقودنا إلى تلك التفاعلات الاجتماعية التي تتم في بوتقة الجماعات.

من خلال عرض ما سبقَ نتوصل إلى عدة نتائج تتعلق في الوحدات السابقة يمكن إجمالها على النحو التالي:

(1) إن مفهوم الجماعات الإنسانية يعد مفهوماً ارتقائياً إذا ما قورن في جماعات الكائنات الحية الأخرى، فالجماعة الإنسانية امتازت بالتعقيد والارتقاء عن باقي الكائنات الحية الحيوانية الأخرى.

(2) إن الجماعات تشكل السلوك الاجتماعي، عبر استقرارها وحراكها، وهذا بحد ذاته يشكل هوية الفرد ضمن جماعته التي ينتمي إليها، في سلوكه الاجتماعي والشخصي، مما يجعله أكثر قدرة على التوافق والتكيف مع الأساس الثقافي لجماعته.

(3) من خلال قراءة الوحدات التي جاء بها الكتاب والتأمل بها، يمكن أن نشير إلى العمليات الاجتماعية القائمة على التواصل والاستمرارية بين أفرادها بحيث ينعكس ذلك على سلوك الأفراد في تشكيل عملية التعاون والتعارض والتنافس، بحيث يشكل ذلك منحى خاص لدراسة المجتمع.

(4) من خلال الإطلاع على الوحدات التي جاء بها الكتاب، يمكن أن نتعرف على منهجية البحث الاجتماعي، التي هدفها التعرف على كيفية تشكيل

الجماعات بنائها وحراكها وهذا يقودنا إلى إجراء الدراسات والأبحاث في هذا المجال، التي لها أهمية في تفسير تشكيلها.

(5) يمكن أن نشير إلى الخطوط العريضة التي توضح الهيكلية العامة التي تشكل البناء الاجتماعي، والمكانة الاجتماعية والأدوار الاجتماعيه لأفراد الجماعة وسلوكهم داخل جماعاتهم التي ينتمون إليها.

في ضوء ما سبق يمكن أن نتوصل إلى توصيات من أهمها:

(1) إجراء أبحاث ودراسات ذات علاقة في توضيح أهمية الجماعات في عملية التنشئة الاجتماعية وترسيخها في نقلها لأفرادها.

(2) توضيح علاقات الجماعات الأولية بالثانوية، والكشف أيهما أكثر تأثيراً على الأخرى.

(3) إجراء دراسات مقارنة توضيحية، أيهما أكثر تأثيراً في التغيير، الجماعات الاجتماعية، أم السياسية، أم المدينة، داخل المجتمع.

(4) من خلال الإطلاع على الوحدات التي جاء بها الكتاب، يمكن الاستفادة منها في إعداد دراسات حول دور الجماعات في عملية التغيير والاستمرارية وظهور قياداتها.

Psychology of groups

(Formulation and movement)

This book aimed at exploring the relationship of economic social and psychological variables with the formulation of groups and movement.

The book discusses twelve units that summaries different social and psychological fields and figure out the differences between phonology formulation of groups and movement. It contains a unit to define groups and their kinds. In addition, there are several theories.

The book also undertakes methods to study social phonology, which is specialized in groups. Unit 12 discusses the reasons behind the changes of groups. Toward that end, the author adopts the critical, analytic and qualitative approach based on different sources, which shed- light on these issues.

It is anticipated that the book is likely to achieve two important points,whichare:

First: groups are in a dynamic continuation that can be static and/ or dynamic.

Second: the formulation and changing of groups have special

features, so as to bridge the gap for groups, conflict and/ or groups, compatibility.

To understand the main idea of this book, it is supposed that the reader will read the contents included so as to enable him to have an objective view about the book.

مسرد المصطلحات

(أ)	
down up connection	اتصال صاعد
up down connection	اتصال هابط
horizontal connection	اتصال أفقي
self connection	اتصال ذاتي
personal connection	اتصال فردي
mass connection	اتصال جماعي
public connection	اتصال جماهيري
contact decentralized permanent	اتصال مركزي دائم
spiritual connection	اتصال روحاني
Communication	الاتصال
ideas	أفكار
direction	اتجاه
Emotion	انفعال
test	اختبار
projection	إسقاط
referendums	استفتاء
connection sources	اتصال بالمصدر
innovation	ابتكار
supervision	إشراف

styles	أساليب
Respect	احترام
elections	انتخابات
performance	أداء
preparation	إعداد
ready	استعداد
Completion of duties	انجاز الواجبات
Members	أعضاء
Goals	أهداف
Suggest	الإيحاء
Decision-making	اتخاذ القرارات
Persuasion	الإقناع
The Autocratic style	الأسلوب الأوتوقراطي
Members	أفراد
Needs	احتياجات
Innovation	الابتكار
Creativity	الإبداع
dependence	اعتماد
settlement	استيطان
The analytical framework	إطار تحليلي
(ب)	
dimension of violent	البعد العنفي

(ت)	
Feed back	تغذية مرتدة راجعة
Experiments	التجارب
Analysis	تحليل
Analysis report	تقرير تحليلي
Stress	توتر نفسي
registration	تسجيل
behavior modification	تعديل سلوك
evolution group	تطوير الجماعة
cooperation	تعاون
experiments	تجارب
periodic report	تقرير دوري
Traditions	التقاليد
Strengthen relations	تعزيز العلاقات
Awareness	التوعية
Organization	تنظيم
Interaction	تفاعل
Influence	التأثير
Appreciation	تقدير
Balance	توازن
Clarify	توضيح
Development	التطوير

Cooperation	تعاون
Planning	تخطيط
Self-reflection	التأمل الذاتي
Integration	تكامل
Encourage	تشجيع
Legislation	التشريعات
Self-control	التحكم بالذات
Responsibility	تحمل المسؤولية
Threat	التهديد
Coping and adaptation	التلاؤم والتكيف
(ث)	
Culture	ثقافة
Reward	الثواب
Social culture	ثقافة اجتماعية
Emotional stability	الثبات الانفعالي
(ج)	
Community	الجماعة
Encourage	الجدية
The theoretical	الجهاز النظري
Roots	الجذور
(ح)	
Autonomy	الحكم الذاتي

Recreational needs	حاجات ترويجية
Needs	حاجات
(خ)	
Personal characteristics	خصائص شخصية
Subject	خاضع
Experience	خبرة
(د)	
Dictatorship	الديكتاتورية
Integration in society	الدمج في المجتمع
Studies	الدراسات
(ر)	
Great man	الرجل العظيم
Opinion	الرأي
Cultural symbols	الرموز الثقافية
(س)	
Behaviors	السلوكيات
Control	السيطرة
The authority of oppression	سلطة القهر
(ش)	
leading figures	شخصيات قيادية
Popular	شعبية
Public life	شؤون الحياة

(ص)	
Difficulty	صعوبة
Hardness	صلابة
Class struggle	الصراع الطبقي
(ض)	
Settings	الضبط
Poor	ضعيف
Pressure	الضغوط
Social necessity	ضرورة اجتماعية
(ط)	
Blind obedience	الطاعة العمياء
Conflicting parties	الأطراف المتصارعة
(ظ)	
The Circumstances surrounding	الظروف المحيطة
(ع)	
Considerations	الاعتبارات
Punishment	العقاب
Social justice	العدالة الاجتماعية
Sociologists	علماء الاجتماع
Anthropologists	علماء الأنثروبولوجيا
Social sciences	العلوم الاجتماعية
Elements of the social pattern	عناصر النسق الاجتماعي

(غ)	
الغير مشروعة	Non legitimate
(ف)	
الفرق فردية	Individual differences
الفرق الرياضية	Sports teams
الفكر الماركسي	Marxist thought
(ق)	
قيم	Values
قادة	Leaders
قواعد	Rules
قيادة مهنية	Professional leadership
قوانين	Laws
قرارات	Decisions
(ك)	
كفء	Efficient
الكاملة	Full
الكائنات البدائية	Primitive organisms
(ل)	
اللوائح	Regulations
(م)	
مهارات	Scills
ميول	Orientation

Cv problem	مشكلات ذاتية
Levels	مستويات
Social culture	مهارات اجتماعية
Individual interview	مقابلة فردية
Methodolgy	منهجية
Organization	مؤسسة
Interests	المصالح
Organization	المنظمة
Face	مواجهة
Position	الموقف
Influential	مؤثراً
Emotional	منفعل
Assistant	مساعد
Exhibitions	معارض
Institutions	مؤسسات
Accepted	المتعارف
Responsibility	المسؤولية
Competition	المنافسة
Specialized	متخصصة
Understood the	متفهماً
Advice	مشورة "نصيحه"
Central	المركزية

Project	مشروع
Requirements	متطلبات
Talent	المواهب
Pertcpation	مشاركة
Perseverance	المثابرة
Social environment	محيط اجتماعي
(ن)	
Trait theory	نظرية السمات
Great man theory	نظرية الرجل العظيم
Interactive theory	النظرية التفاعلية
Situational theory	النظرية الموقفية
Integrative theory	النظرية التكاملية
Maturity	النضج
Extroversion	الانبساط
Growth	النمو
Theory of social conflict	نظرية الصراع الاجتماعي
Functional theory	النظرية الوظيفية
Structural functional theory	النظرية البنيوية الوظيفية
Sociological theory	النظرية السوسيولوجية
Theory of symbolic interaction	نظرية التفاعل الرمزي
The theory of harmony	نظرية الوفاق
Ecosystem	نظرية البيئي

المراجـــع

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم

2- إنجيل يوحنا، اصحاح (17)، أية (22).

3- إبراون، س، (1960)، علم النفس الاجتماعي؛ ترجمة سيد محمد خير الدين، الطبعة الأولى، القاهرة: دار المعارف.

4- أوزي، أحمد، (2006) المعجم الموسوعي للعلوم التربوية، الطبعة الأولى، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

5- تماشيف، نقولا، (1975)، نظريات علم الاجتماع؛ ترجمة محمد عاطف غيث، الطبعة الثالثة، القاهرة: منشأة المعارف.

6- الخولي، سناء، (1976)، مدخل لعلم الاجتماع، الطبعة الأولى، الإسكندرية: دار المعارف الجامعية.

7- زهران، حامد، (1977)، علم النفس الاجتماعي، الطبعة الثالثة، القاهرة، عالم الكتب.

8- السيد، الحسيني، (2002)، مفاهيم علم الاجتماع، الطبعة الثانية، الدوحة: دار القطري للنشر والتوزيع.

9- صحيح مسلم.

10- لطفي، عبد الحميد، (1972)، علم الاجتماع، الطبعة الثانية القاهرة: دار المعارف.

11- عبـد الباسـط، محمـد حسـني، (1982)، علـم الاجتمـاع، الطبقـة الأولى، القاهرة، مكتبة دار المعارف.

12- عبد الحميد، سعيد، (1980)، دراسات في علم الاجتماع الثقـافي الـتغير والحضارة، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق.

13- عبد الرحمن، سعد، (1974)، أسس القياس النفسي الاجتماعي، القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة.

14- عبد الهادي، نبيل، (2011)، تشكيل السلوك الاجتماعي، الطبعـة الأولى، عمان: دار اليازوري.

15- عطية السيد عبد الحميد (2002)، ديناميكية الجماعات أساسـيات نظريـة وعملية، الطبعة الأولى، الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث.

16- محمد الجـوهري وآخـرون (1995)، الـتغير الاجتمـاعي، الطبعـة الأولى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

17- معوض خليل مخائيل (1982)، علم الـنفس الاجتمـاعي، الطبعـة الأولى، بيروت: دار العلم للملايين.

18- ميل، جورج، (1969)، القيادة وديناميكية الجماعة؛ ترجمة محمد العريـان، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

المصادر الأجنبية

19 - Aleen, fklein, (1972), **Effactive group work**, New york.

20 - Bernard M, (1960) **Leader ship of two group, and organization behavior**, New york: Brother Book shop

21 - Ferstger & others (1993), **social Group Dynamic**, first edition, London

22- George Ritzer, (2008), Modern sociological theory, seventn edition, Newyork: Mc Graw- Hill.

23- George Ritzer (2004), classical sociological theory, fifth Edition, Newyork: Mc Graw- Hill.

24- Kreitner a kinicki, (2008), organizational Behavior, eighthedition, Newyork: Mc Grow- Hill.

25 - Levin, Day, (1971), **The Theory and Practies of group psychology** New York: Basic books

26 - http://www.anaba.org/nbanews/61/299htm,

مصطلحات اجتماعية: ديناميكية الجماعة

27 - http://ww.cahawolat.com/cms/article.pnpgoid_articale=204

كيف تتشكل هوية الجماعات، العدد (6)، كانون الثاني، 2005؛ ترجمة وأعداد ماري شهرستان.

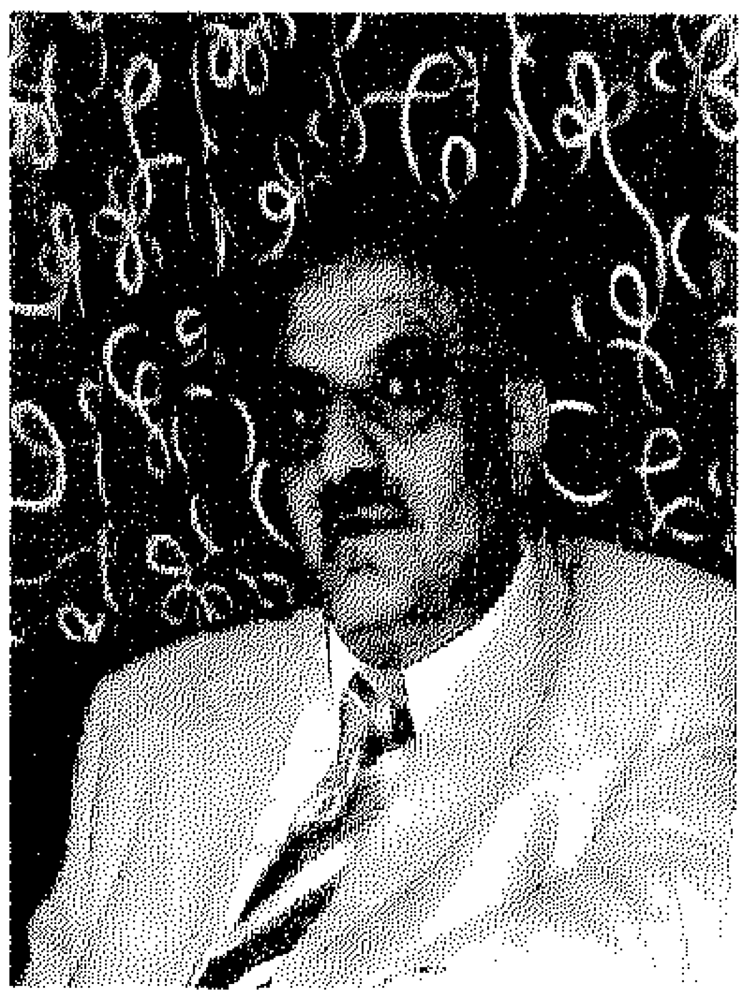
28 - http://cfijdida.over-blog.com/arricle-28137778

مفهوم الدينامية الجماعة

29 - www.toob.net/vb/t126095-3ntml

30 - http://hamdisocio.blogspoc.com/2010/02/blogpost1552.ntml

31- Richardt, (2006), sociology Matlers thirdedition, Boston: Mc Graw-Hill.



المؤلف في سطور

- مواليد عام (1958).
- من قرية عصيره الشمالية/ نابلس.
- انهي التوجيهي (1978) في الفرع الأدبي، كلية الروضة الوطنية.
- حاصل على شهادة البكالوريوس علم اجتماع/ خدمة اجتماعية، علم نفس/ جامعة بيت لحم- فلسطين. (1983).
- حاصل على دبلوم في التربية جامعة بيت لحم فلسطين (1984).
- حاصل على ماجستير علم نفس تربوي جامعة اليرموك/ اربد- الأردن (1988).
- حاصل على دكتوراه علم النفس التربوي، جامعة القديس يوسف بيروت لبنان (1995).
- حاصل على شهادة دكتوراه (الدولة) في علم الاجتماع التربوي، جامعة القديس يوسف/ بيروت (2003) لبنان.
- حاصل على شهادة البكالوريوس في القانون جامعة القدس ابوديس/ فلسطين (2009).
- يعد للحصول على ماجستير في الدراسات الأمريكية.
- عمل مساعد بحث وتدريس، جامعة اليرموك/ اربد- الأردن (1985- 1988).

- عمل في كليات المجتمع في الأردن/ 1988-1996.
- عمل مشرفا تربوياً، ومديراً لتطوير البرنامج التربوية، في المدارس الخاصة في السعودية. (1996- 1998).
- عمل استاذاً مساعداً في جامعة القدس، ورئيس لدائرة التربية (1988-2002).
- عمل استاذاً مُسّاعداً في كلية التربية التابعة لوزارة المعارف السعودية، الرياض السعودية (2002- 2004).
- يعمل الآن في جامعة القدس (أبو ديس) ومنسقاً للدراسات العليا لغاية تاريخه.
- درَّس العديد من المساقات في برنامج البكالوريوس، وبرنامج الماجستير.
- أشرف على العديد من رسائل الماجستير.
- له أكثر من (خمسُ واربعون) مُؤّلفاً في التربية، وعلم النفس، والاجتماع والقانون، وأساليب التدريس، وكتاباً في الأدب والشعر والنثر.
- له عدة أبحاث محكمة منشورة في مجلات علمية.
- بالاضافة أنه متدرب على ممارسة مهنة المحاماة في المحاكم الفلسطينية.
- بالاضافة أنه الآن عضوٌ في رابطة الكُتّاب الفلسطينيين.

Psychology of Groups

سيكولوجية الجماعات

تشكيلها . حراكها

الإرشاد الجمعي

يعد تشكيل الجماعات وحراكها من الموضوعات الهامة التي تتصل بحياة الإنسان، لذلك جاء هذا الكتاب معرفاً بهذا الموضوع ومحدداً له، لاسيما أن الإنسان يعد كائناً اجتماعياً، ولا يستطيع العيش منعزلاً بأفكاره ومعتقداته عن الآخرين، ولذلك تعتبر الجماعة، بوتقة هامة لتشكيل الواقع الاجتماعي الثقافي السيكولوجي لأفرادها.

وتأكيداً لذلك، جاء هذا الكتاب ليلقي مزيداً من الضوء على هذا الموضوع، واشتمل على عدة وحدات، تعد ذات أهمية في تغطية هذا المجال، الذي يكشف عن العلاقة الجدلية بين تشكيل الجماعات وحراكها من ناحية وأهدافها وتأثيرها على الفرد من ناحية أخرى، كما جاء بأمثلة تطبيقية ودراسات علمية في مجال دمج الجماعات المختلفة، وجاء بخاتمة عامة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

ويعد الكتاب محاولة متواضعة في طبعته الأولى للكشف عن هذا الموضوع، معتمداً على النظريات الاجتماعية، والسيكولوجية وآراء الباحثين واتجاهاتهم في مجال علم الاجتماع والنفس والخدمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مستقاة من مصادر ومراجع متنوعة في تفسير الظواهر الاجتماعية.

الرضوان للنشر والتوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية
عمان - الأردن - العبدلي - شارع الملك حسين
قرب وزارة المالية - مجمع الرضوان التجاري رقم 118
هاتف : 4616436 6 962+
فاكس : 4616435 6 962+
ص.ب. : 926414 عمان 11190 الاردن
E-mail : gm@redwanpublisher.com
gm.redwan@yahoo.com
www.redwanpublisher.com

الأمين ناشرون وموزعون
دار الامين للنشر والتوزيع
رام الله - البيرة
شارع منتزه البيرة بجانب البنك الإسلامي الفلسطيني
تلفاكس : 7808 298 2 970+
خلوي : 769 49 996 5 970+
E-mail : aminamin1969@yahoo.com

9789957760915